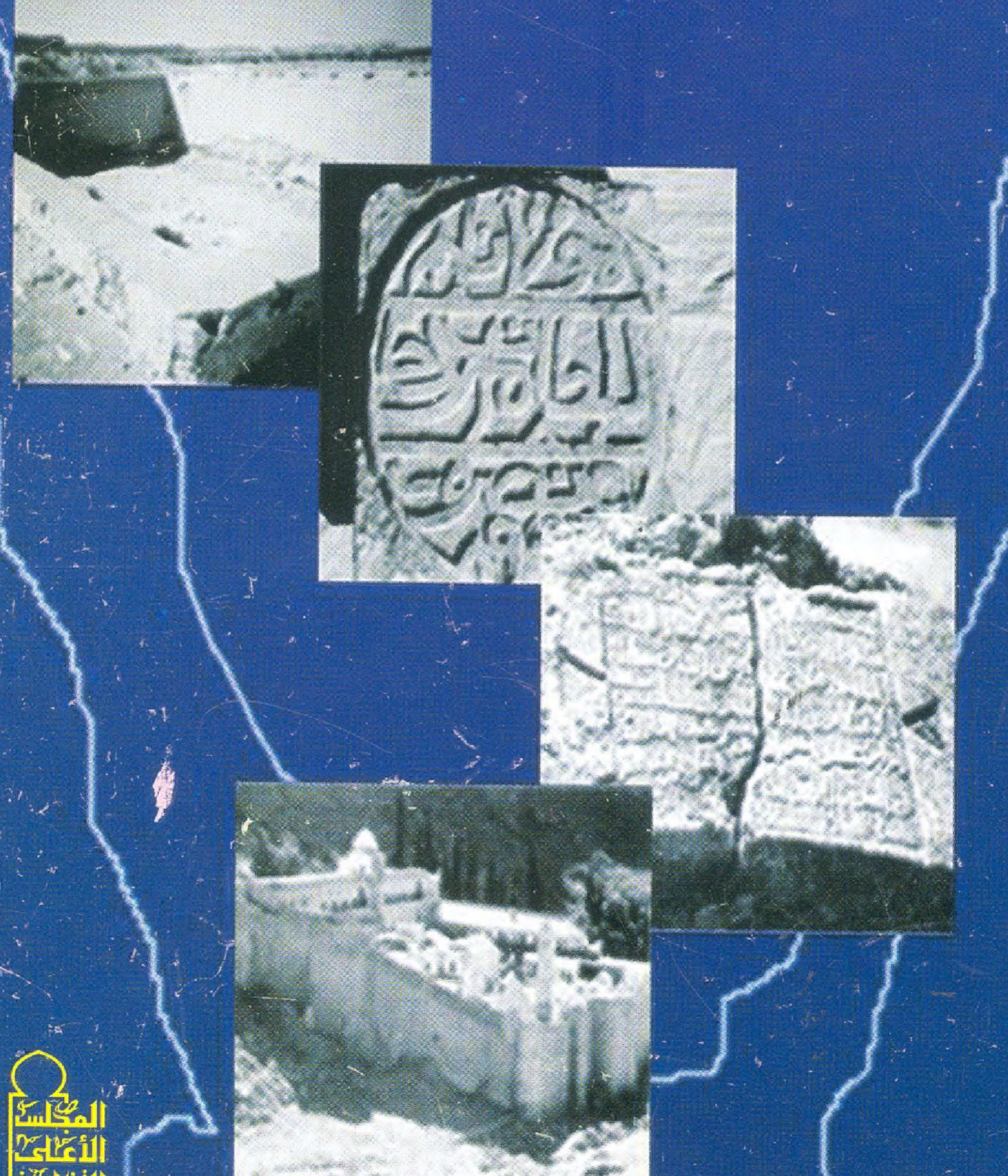
ندوة
آثار سيناء عبر العصور



المجلس الأعلى للثقافة
لجنة الآثار

نـــدوة
آثار سيناء عبر العصور
١٨-١٩ نوفمبر ٢٠٠٠

" آثار سيناء فى العصر العثمانى "

أ . د . ربيع حامد خليفة



٢٠٠٢

أهتم السلاطين العثمانيون بسيناء اهتمامًا بالغًا نظراً لإدراكهم أهميتها الاستراتيجية والحربية خاصة وأنهم تمكنوا من دخول مصر عبر أراضيها(١) .

وأدرك العثمانيون أيضًا أهمية سيناء الدينية إذ أن طريق الحج المصرى كان يمر بها ، وهو الطريق الذى يربط مصر بمكة المكرمة والمدينة ، وعليه كانت تسير قوافل الحجاج المسلمين القادمين من مصر ، بالإضافة إلى وجود دير القديسة كاترينا فى طور سيناء أحد المراكز الأرثوذكسية للتنسك والتوحد .

كما أدركوا أيضًا أهمية سيناء التجارية حيث كانت سيناء تمثل منطقة عبور بين مصر وبلاد الشام .

وتهدف هذه الورقة فى المقام الأول إلى إلقاء الضوء على اهتمام العثمانيين بسيناء من خلال المنشآت والأعمال التى أقاموها فيها وما تبقى منها حتى اليوم وذلك من خلال محورين أساسيين هما الاهتمام بالمنشآت الدفاعية والاهتمام بالمناطق الدينية .

---

(١) سلكت القوات العثمانية بعد سقوط مدينة غزه الطريق المؤدى إلى خان يونس حتى وصلت العريش ومنها إلى قبر الساعى وبئر العبد ثم قرية قطية ومنها إلى الصالحية ثم قرية خطاره ثم بلبيس . وعن هذا الموضوع راجع متولى (أحمد فؤاد) الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له . القاهرة ١٩٧٦ ص ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ .

المحور الأول : الاهتمام بالمنشآت الدفاعية :

أهتم سلاطين الدولة العثمانية وخاصة العظام منهم أمثال السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني والسلطان مراد الثالث ببناء وتجديد القلاع في سيناء لحمايتها والدفاع عنها اهتماماً كبيراً ، كما أن مسألة تخصيص الأموال اللازمة لتحقيق هذا الغرض من أموال الخزانة التركية المصرية كانت تأتي في المقام الأول وتقدم على غيرها من مقررات الصرف بل إنها كانت تشمل أحياناً بناء وتجديد قلاع أخرى تقع خارج الحدود المصرية مثل قلعة المويلح على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على طريق الحج المصري بالحجاز وقلعة الأزلم إلى الجنوب من العقبة اللتان انشأهما داود باشا الخادم ، وقلعة خان يونس على الحدود الشمالية لشبه جزيرة سيناء والتي جددها علي باشا السلحدار .

بل ويلاحظ أيضاً حرص بعض سلاطين آل عثمان على أعمار وتجديد بعض قلاع سيناء على نفقتهم ومن أموالهم الخاصة مثلما حدث عند تجديد قلعة نخل في عهد السلطان سليمان القانوني .

وكانت أعمال العثمانيين في مجال الاهتمام بالمنشآت الدفاعية في سيناء تسير في اتجاهين ، الاتجاه الأول ويتمثل في بناء القلاع الجديدة مثل قلعة الطور وقلعة العريش ، والاتجاه الثاني ويتمثل في تجديد وترميم وتوسيع بعض القلاع التي كانت قائمة بالفعل وعلى وجه الخصوص تلك الواقعة على مسار درب الحج المصري بوسط سيناء مثل قلعة عجرود وقلعة نخل وقلعة العقبة (شكل رقم ١) .

وسوف نعرض في البداية للقلاع التى أمر ببنائها بعض سلاطين الدولة العثمانية وذلك على النحو التالى :

أولاً - بناء القلاع :

قلعة الطور :

كانت هذه القلعة تقع جنوب مدينة الطور(٢)، ومشرفة على خليج السويس ، وقد أمر السلطان سليم الأول ببنائها وجعل لها حامية من العساكر الطوبجيه(٣) على رأسهم ضابط تابع للقائد العام التركى بالسويس .

ويبدو أن عدد رجال هذه القلعة كان يزيد قليلاً عن خمسة وعشرين رجلاً على امتداد القرن ١٢ هـ/١٨م ، إذ ورد فى وثيقة مؤرخة سنة ١١٨٥ هـ أن عدد رجال قلعة السويس لا يزيد عن ثلاثة وخمسين رجلاً وهو ضعف عدد رجال قلعة الطور(٤) .

---

(٢) من المحتمل أن تكون هذه القلعة قد شيدت على بقايا الحصن العتيد الذى بناه هناك الملك عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وكان قد أنفق عليه الأموال الجمة ، وأحكمها غاية الإحكام ، فلما كان فى سنة ٦١٥ هـ أن خرج الفرنج من وراء البحر طالبين بيت المقدس أمر ابنه ليخربها .
زكى (عبد الرحمن) قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة القاهرة ١٩٦٠ص١٣٢ .

(٣) الطوبجى فى التركية طوب بالباء المشربه بمعنى المدفع وأداة النسب التركية إلى الصنعة (جى) والطوبجى هو المدفعى . راجع سليمان (أحمد السعيد) تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل . القاهرة ١٩٧٩ ص ١٤٣ .

(٤) عبد اللطيف أحمد (ليلى) دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى . القاهرة ١٩٨٠ ص ١١٦ ، ١١٧ .

ويعاون الضابط محافظ إدارى[٥] على المنطقة المحيطة بالقلعة وقاضى يعين عن طريق قاضى السويس[٦] .

ويبدو أن قلعة الطور ظلت عامرة حتى نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) حيث أشار الجبرتى إليها فى أحداث سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م عند حديثه عن قلعة السويس[٧] .

وقد أهملت القلعة بعد فترة قصيرة ، وبدأت تتحول إلى خرائب ، ثم أخذت أجزاء منها تنهار ، وفى عام ١٨٢٦م لم يكن هناك من بقايا القلعة إلا أكوام من الحجارة استخدمها أهل المدينة فى بناء منازلهم ، كما أتخذ بعض موظفى الحكومة ما بقى من حجارة أساسًا لبناء منازل الحكومة ، وقد كان تخطيطها ظاهراً فوق سطح الأرض حتى زال[٨] .

ولا يوجد بين أيدينا معلومات يمكننا من خلالها التعرف على مخطط قلعة الطور وإن كان الراجح أن تخطيطها كان يتشابه مع تخطيط القلاع

---

(٥) من المحافظين الذين تولوا الأمور فى قلعة الطور ، على أغا عام ١٥٩٣م وعابدين بن مصطفى عام ١٥٩٦م ، وظفر أغا عام ١٦٨٤م ، ومحمد أغا عام ١٦٩٢م .

فتوح (سليمان محيى الدين) سيناء بوابة مصر الشرقية ، المكان والتاريخ منذ الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧م وحتى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ج١ ١٩٩٤ ص ٦٥ .

(٦) كان فى قلعة الطور سجل كتبت فيه صور الدعاوى والأحكام والمبايعات والرهونات عن الأراضى الزراعية أو النخيل وتحرير عقود الزواج والطلاق والأرقاء والتركات ويعرف باسم «كتاب الأم» يذكر البعض أن راهبًا سوريا استولى عليه . فتوح (سليمان محيى الدين) المرجع السابق ص ١٣٢ فى حين يشير (زكى) عبد الرحمن المرجع السابق ص ١٣٢ إلى أن أهل الطور حفظوا هذا السجل فى وكالة دير طور سيناء بناء على رغبتهم .

(٧) الجبرتى ، عجائب الآثار ج١ ص ٣٩١ .

(٨) زكى (عبد الرحمن) المرجع السابق ص ١٣٢ .

العثمانية الأخرى بسيناء واتخذت الشكل المربع أو المستطيل وفى كل ركن من أركانه برج .

قلعة العريش :

وكانت تقع فى الجزء الجنوبى الغربى لمدينة العريش على ربوة عالية[٩] ، أمر بإنشائها السلطان العثمانى سليمان القانونى فى الفترة من ١٥٤٩ - ١٥٥٣م زمن ولاية على باشا الوزير . وتعتبر قلعة العريش إحدى القلاع الهامة التى أعتمد عليها الأتراك العثمانيون فى سيناء نظراً لإشرافها على الطريق الرئيسى المؤدى إلى الشام ومصر واستخدم فى بناء هذه القلعة الحجر الرملى الصلب ، وكان يحيط بها قديماً خندق متسع ، ويتكون تخطيط هذه القلعة من مستطيل طول كل من ضلعيه الشرقى والغربى نحو ٧٥م . وطول كل من ضلعية الشمالى والجنوبى نحو ٨٥م ويبلغ ارتفاع سورها نحو ثمانية أمتار ، وفى أعلاه ستة مزاغل لضرب النار ، وفى كل ركن من أركان القلعة الأربعة برج سداسى وضع فيه مدفع ، وفى أسفل كل برج قبو لخزن الذخيرة والقنابل[١٠] . (شكل رقم ٢) .

---

(٩) تقع قلعة العريش فى أعلى نقطة بمدينة العريش ويمكن للناظر منها أن يرى المدينة كاملة ، ويقال أن بالقلعة سرداباً طويلاً يصل ما بين القلعة والبحر المتوسط كانت تصل منها الإمدادات للقلعة عن طريق البحر وتزويدها بالمؤن والعتاد اللازم .

محيى الدين فتوح (سليمان) المرجع السابق . ص ٦٨ حاشية ١ ، ويقوم على هذه الربوة العالية الآن . مستشفى العريش الأميرى .

(١٠) زكى (عبد الرحمن) المرجع السابق ص ١٣٧ ، وكان يرابط بقلعة العريش جماعتان من العسكر من الفرسان والمشاة ويعرفون باسم «عساكر محافظين يوسف (عراقى) الاوجاقات العثمانية فى مصر من القرنين السادس عشر والسابع عشر . رسالة ماجستير غير منشورة جامعة عين شمس ١٩٧٨ ص ٩٩ .

وكان للقلعة باب عظيم بقنطرة مصفح بالحديد الصلب ، يبلغ ارتفاعه ٥م وعرضه ٣,٥م ، يعلوه ستة ألواح من الرخام نقش عليها بعض الكتابات التى تؤرخ لعمارة القلعة وهى تبدأ من أسفل كالتالى :

اللوح الأول : نقش عليه عبارة «أمر بإنشاء هذه القلعة مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد ... خلد الله ملكه وقوى شوكته وأعز دولته بمحمد وآله وسلم ...» .

اللوح الثانى والثالث والرابع : نقش عليها ثلاثة أبيات شعر بالتركية على كل حجر بيت شعر وسنة إنشاء القلعة ، وتشير هذه الأبيات إلى فتح السلطان سليم خان الثالث ووزيره الأعظم يوسف ضياء باشا لقلعة العريش فى سنة (١٢١٤هـ / ١٧٩٩م)(١١) .

اللوح الخامس : نقش عليه طغراء السلطان سليم الثالث .

اللوح السادس : نقش عليه عبارة وما النصر إلا من عند الله .

وكان على يمين الداخل من باب القلعة ، غرفة لحرس القلعة ، وعلى اليسار غرفتان لخزينه المحافظة ومحفوظاتها القديمة .

---

(١١) نجحت القوات العثمانية بقيادة الوزير الأعظم يوسف باشا فى استرداد قلعة العريش من القوات الفرنسية بعد أن حاصروها وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها ، وذلك فى ١٧ ديسمبر ١٧٩٩م واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب ويذكر الجبرتى أنه وقعت نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة وكان شيئًا كثيراً فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور . الجبرتى ج ٣ ط الشعب ص ٣٣٦ .

وفى فناء القلعة بناء واسع من طابقين خصص الطابق السفلى لديوان كتاب المحافظة . فى حين خصص الطابق العلوى لسكن ناظر القلعة ومفتش المحافظة .

وإلى الجانب الشرقى من السور مكتب الناظر والمحكمة الجزئية ومكتب التلغراف والبريد وإلى الجانب الجنوبى منازل للبوليس ومصلى ، وبين بناء الوسط والجنوب حديقة صغيرة ، بينها وبين بناء الشرق بئر عمقها ثمنون قدماً وقطرها أربعة أمتار ماءوها يميل إلى الملوحة[١٢] .

ثانيا - تجديد وتوسيع وترميم القلاع :

تقع مجموعة القلاع التى اهتم العثمانيون بتجديدها وتوسيعها وترميمها على طريق درب الحج السلطانى[١٣] وهى تتمثل فى قلعة عجرود وقلعة نخل وقلعة العقبة .

قلعة عجرود[١٤] : إلى الشمال من غرب مدينة السويس بنحو ٢٠ كم ، وتعد هذه القلعة أولى قلاع درب الحج المصرى ، انشأها الأمير الكبير خاير بك العلائى الشهرى بالمعمار[١٥] . السلطان الغورى عام (٩١٥هـ / ١٥٠٩م) .

---

(١٢) زكى (عبد الرحمن) المرجع السابق ص ١٣٨ .

(١٣) يقع هذا الدرب ما بين صحراء القاهرة ، وعقبة أيله ، وسوف نتناول أهم المنشآت المدينة التى شيدت فى مراحله المختلفة فى العصر العثمانى من خلال المحور الثانى من الدراسة .

(١٤) سمى المكان باسم نازله من العلماء ويدعى العجرود ولا يزال يزار إلى اليوم .

(١٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ص ١٥٢ ، مرسى (جمال محمود) درب الحج المصرى فى العصر العثمانى رسالة دكتوراه مخطوط بجامعة القاهرة ص ١٥٣ .

وقد جدد هذه القلعة أو هذا الخان الكبير(١٦) السلطان العثماني سليم الأول ، ثم أعيد تجديدها مرة أخرى في عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ، في عهد السلطان محمد الثالث .

وكانت الخزانة المصرية تتكفل بالأموال اللازمة لتطهير بئر القلعة والإنفاق على المعدات اللازمة لرفع المياه وتغذية الثيران التي تدير الساقية ، بالإضافة إلى الأموال اللازمة للأنفاق على حراس القلعة وجرايتهم(١٧) .

وشيدت قلعة عجرود والبرك الملحقة بها على ربوة يتراوح ارتفاعها ما بين ٢-٣م ، ومخططها مستطيل الشكل ، أقيمت جدرانها من الأحجار الجيرية المصقولة رصت في صفوف عرضية منتظمة وتماسكت فيما بينها بملاط شديد الصلابة من الجير والرمل .

ويدعم بناء القلعة في كل ركن من أركانها الأربعة برج نصف دائري، لازالت بقاياها قائمة وخاصة البرج الشرقي الذي يبلغ قطره (٤,٧٠م) وسمك جدرانه (٠,٧٥م) .

---

(١٦) انشأ الحاج ملك الجوكندار في عجرود خان يضم بئر وساقية تديرها الثيران ، أما القلعة التي تم تجديدها في العصر العثماني فهي القلعة التي انشأها السلطان الغوري والتي عرفت باسم «الخان الكبير» .

(١٧) بلغ عددهم في عام (١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥م) خمسة وعشرين رجلاً كانوا يتقاضون راتبًا سنويًا قدره (١٠٠٠٠) بارة ثم استقر عددهم في عام (١٢٠٩ هـ / ١٧٨٤م) على واحد وخمسين رجلاً بلغت رواتبهم السنوية (٢٣١٨٤) بارة .

راجع في ذلك مرسي (جمال محمود) المرجع السابق ص ١٥٤ ، ١٥٥ عن حمد الجاسر: رحلتا الدرعي ص ٥٣ ، الرحلة الناصرية ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ رحلة المنالي الزبادي ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

ويتوسط الضلع الجنوبى الغربى للقلعة المدخل الرئيسى ، ويؤدى إلى دركاة مستطيلة مسقوفه بقبو حجرى وعلى جانبيها حجرة شبه مربعة ، مسقفة بقبو من الآجر (شكل رقم ٣) .

وفى القسم الشمالى الشرقى من فناء القلعة بئر مستديرة ، أقيمت من الحجر الجيرى المصقول ، يبلغ قطرها ٤م وعمقها حوالى ٣٠م ، وتخرج من هذه البئر قناة كسى مجراها بالأحجار الجيرية ، ويبدو أنها كانت تمتد لتصل إلى البركة الثالثة التى استحدثت فى العصر العثمانى[١٨] .

وكانت الخزانة المصرية تتكفل بالإنفاق على حراس قلعة عجرود ، إلى جانب صرف جراية لهم من بيت المال نظير تأمينهم القلعة وحراسة أمتعة الحجيج وما يخزن فيها من الأزودة .

قلعة نخل[١٩] :

من القلاع الحصينة التى أمر ببنائها السلطان الغورى بإشراف الأمير الكبير خاير بك المعمار عام (٩١٥ هـ / ١٥٠٩م) وكانت تعرف بالخان[٢٠] .

---

(١٨) مرسى (جمال محمود) المرجع السابق ص ١٥٣ ، حمد الجاسر ، الرحلة الناصرية ص ٤٢٥ ، رحلة المنالى الزيادى ص ٥٢٩ .

(١٩) تقع مدينة نخل فى بلاد التيه فى قلب شبه جزيرة سيناء وقد كانت عاصمة سيناء قبل وقوع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ، وتدمير جزء كبير من القلعة فانتقلت العاصمة إلى مدينة العريش .

(٢٠) يشير المؤرخ ابن ايا (المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٢) إلى ذلك بقوله «لما رجع الحجاج اخبروا بما فعله السلطان قنصوه الغورى من وجه الخير من العمارة بالعقبة ... وانشأ برجا بعجرود وبرجًا بنخل ، ومما هو جدير بالذكر العثور على رنك السلطان الغورى أثناء موسم حفاير ١٩٩٤/٩٣م التى يقوم بها المجلس الأعلى للآثار بموقع القلعة ، وهو مكسور إلى جزئين وعليه طبقة من الملاط وقد تعرض لمحو اسم السلطان الغورى منه حيث يقرأ النص المتبقى على النحو التالى «مولانا السلطان ... عزه نصره» .

وهى تقع على هضبة مرتفعة عن يمين وادى أبو طريفة ، وتبعد عن قلعة عجرود غرباً ١٣٥ كم وعن قلعة العقبة غرباً ٢٠٠ كم ، وتتميز قلعة نخل بموقعها الإستراتيجى فهى تشرف على المناطق المحيطة بها من كل الإتجاهات مما يسمح برؤية القوات الغازية عن بعد وهذا يعطى استعداداً للقوات المتواجدة لحماية مدخل المدينة(٢١) ، وقد أهتم بها العثمانيون نظراً لموقعها الهام على مفترق طرق رئيسية بوسط سيناء .

وقد كان لقلعة نخل نصيب كبير من الإعمار والتوسيع والترميم فى العصر العثمانى ، ففى عام (٩٥٩ هـ/ ١٥٥٢م) جرت توسعه لخان نخل على نفقة السلطان سليمان القانونى وكان الساعى فى ذلك الأمير زين الدين بن شهاب الدين خولى السواقى السلطانية على درب الحج المصرى . وذلك بعد أن شكا للسلطان من ضيقها فأمر بتوسعتها فتوجه إليها وصحبه جماعة من المعمارية وقدر وافر من المؤن ، واجتهدوا فى توسعتها فى أيسر مدة ، فزاد فيها زيادة بطولها تمت على أحسن وجه من الكمال(٢٢) .

ثم تجدد بنيانها عام (٩٨٩ هـ / ١٥٨١م) فى عهد السلطان مراد الثالث وسجل ذلك فى لوحة تذكارية على واجهة القلعة تتمثل فى رنك كتابى يتضمن رسم السلطان وتاريخ تجديد القلعة ويقرأ «مولانا السلطان مراد خان عز نصره سنة تسع وثمانية(٢٣)» (لوحة رقم ١) .

---

(٢١) فتوح (سليمان محى الدين) المرجع السابق ص ٦٦ .

(٢٢) مرسى (جمال محمود) المرجع السابق ص ١٥٨ ، الجزيرى . ج ٢ ص ص ١٣٢٧ - ١٣٢٨

(٢٣) عثر على هذا الرنك فى موسم حفائر ٩٣ - ١٩٩٤ التى يقوم بها المجلس الأعلى للآثار بموقع القلعة .

وفى عهد السلطان أحمد الثالث (١١١٥ - ١١٤٣ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٣٠م) جددت القلعة مرة ثالثة وسجل ذلك فى لوحة كانت أعلى المدخل الرئيسى للقلعة قبل تدميرها يقرأ فيها النص التالى «جدد هذا المكان المبارك مولانا السلطان أحمد بن السلطان محمد خان عز نصره مدة رامى محمد باشا سنة (١١١٧ هـ / ١٧٠٦م)»[٢٤] .

كما أعيد النظر فى أمر تجديد وترميم القلعة مرة رابعة فى عهد السلطان محمود الأول (١١٤٣ - ١١٦٧ هـ / ١٧٣٠ - ١٧٥٣م) .

وكان يتولى الحراسة بالقلعة فى العصر العثمانى عدد قليل من الحراس المصريين والمغاربة والحجازيين من قواسه وعساكر وطوبجية ومخزنجي وبلوك باشي وغيرهم[٢٥] .

وقد ظلت قلعة نخل عامرة تؤدى وظيفتها حتى بدأت أهميتها تتراجع خاصة بعد تحول طريق الحج عبر البحر عن طريق خليج وميناء السويس وإنشاء خط سكك حديد فلسطين على طول الساحل الشمالى وتحول التجارة إلى هذا الطريق بدلاً من القوافل التى كانت تمر بنخل إلى شرق الأردن وغزه وبلاد الشام ، بالإضافة إلى تعرضها للتدمير أكثر من مرة فى حروب متتالية بدءاً من الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م) ومروراً بحرب فلسطين عام (١٩٤٨م) وانتهاءً بالعدوان الثلاثى على مصر عام (١٩٥٦م) .

---

(٢٤) زكى (عبد الرحمن) المرجع السابق ص ١٣٤ .

(٢٥) شقير (نعوم) . تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، ١٩٨٥ ص ١٥٨ .

ويمكن من الوصف الذى أورده المؤرخ نعوم شقير لهذه القلعة[٢٦] ، وكذلك من بعض الصور التى التقطت لها فى مطلع القرن العشرين (لوحة رقم ٢) بالإضافة إلى ما كشفت عنه بموقع القلعة أعمال الحفائر التى قام بها المجلس الأعلى للآثار فى المواسم ٩٣/١٩٩٤ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٨[٢٧] معرفة مخطط هذه القلعة ووضع تصور لما كانت عليه قبل تدميرها .

استخدمت فى بناء الواجهات الداخلية والخارجية لجدران القلعة ، كتل من الحجر الجيرى المصقول ، اختلطت بقطع أخرى غير منتظمة الشكل والحجم ، تماسكت فيها بينها بملاط يعرف بالحيب يتكون من الرمل والجير وطمى الأودية ، كما تلاحظ ثقوب فى الجدران كانت تثبت بها أوتار خشبية ، لتقويتها والربط بينها[٢٨] .

ويتكون تخطيط هذه القلعة من مساحة مربعة طول ضلعها ٢٨م ، وارتفاع جدرانها ٢٤ قدمًا وسمكها ١,٢٠م ويدعم أركانها الأربعة ، أربعة أبراج نصف دائرية ، فى حين يتوسط الضلع الشمالى الشرقى برج خامس نصف مستدير يبرز إلى الخارج وذلك لمراقبة برك المياه فى هذه الناحية (شكل رقم ٤) .

ويعلو أسوار القلعة وأبراجها مزاغل ومنافذ للسهام ، كما أن بمنتصف الضلع الجنوبى الشرقى سقاطة وأخرى أعلى المدخل الرئيسى

---

(٢٦) شقير (نعوم) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٢٧) تقارير حفائر قلعة نخل الأثرية ، موسم حفائر مايو - يونية ١٩٩٨ ، المجلس الأعلى للآثار .

(٢٨) مرسى (جمال محمود) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

للقلعـة فى الركن الجنوبى الشـرقى ويغلق عليـه باب خـشـبى مـصـفح بالحديد له خادعة لزيادة الأمن .

ويفضى هذا الباب إلى دهليز المدخل المغطى بقبو برميلى قطاع عقده نصف دائرى يفضى بدوره بعـد الإنكسـار يسـاراً إلى فناء القلعـة الذى تتـوزع حوله حـجـرات القلعـة على جوانب أسوارهـا من الجـهـات الأربع وهى من طابقين ، وكان بالقلعة مسجد صـغير وبئر للمياه ، وملحق بها ناحية الشمال الشرقى ثلاث برك للمياه . (شكل رقم ٥) .

قلعة العقبة[٢٩] :

تقع جنوبى مـدينة العـقبة من جهة الشرق على بعد خمسين متراً من شاطىء خليج العقبة وتتميز بموقعها الحربى الحصين إذ تسيطر على الخليج المعروف باسمها سيطرة مطلقة ، إلى جانب موقعها التجارى الفذ .

شـيـدها السلطان المملوكى الغـورى عـام (٩٢٢ هـ / ١٥١٦م)[٣٠] . وهى مبنية بالحجارة المنحوتة وتخطيطها مربع الشكل فى كل ركن من أركانه الأربعة برج ، ولها بوابة عظيمة بقنطرة تؤدى عبر دهليز إلى فناء القلعة .

---

(٢٩) العقبة : مدينة فى رأس خليج العقبة ، وهى حديثة العهد قامت على أنقاض مدينة أيلة التى ورد اسمها كثيراً فى الكتب السماوية وأخضعها النبطيون واليونان والرومان والغرب . (زكى) عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣٠) المرجع نفسه ، ص ١٣٦ ، فتوح (سليمان محيى الدين) المرجع السابق ، ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

وفى أول الدهليز على يمين الداخل وشماله ديوانان مشيدان بالحجر نقش على جدرانهما وواجهة البوابة بأحرف بارزة اسم مشيد القلعة ومجددها .

كما أن فى واجهة القلعة على صدغى القنطرة حجرين مستديرين (رنكان كتابيان) نقش على كل منهما عبارة «مولانا السلطان الملك الاشرف مراد بن سليم خان عز نصره جدد هذه القلعة» . وفى داخل البوابة إلى يسار الداخل حجران آخران مستديران نقش على كل منهما عبارة «مولانا السلطان مراد بن سليم عزه نصره ، جدد هذه القلعة سنة (٩٩٦ هـ / ١٥٨٧م) .

ومن الجدير بالذكر أنه حتى أوائل عام ١٨٩٢م كانت تقيم فى قلعة العقبة حامية من الجنود المصريين وبعدها سلمت إلى تركيا[٣١] .

المحور الثانى : الاهتمام بالمناطق الدينية فى سيناء :

أولاً - طريق الحج المصرى[٣٢] :

بعد ضم مصر إلى سلطة الدولة العثمانية أهتم بعض السلاطين العثمانيين بشئون الطريق ، كما نال اهتمام ورعاية الباشوات العثمانيين بمصر وبخاصة ولاة القرن العاشر الهجرى (١٦م) ، وابتداءً من القرن

---

(٣١) (زكى) عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣٢) لم يتغير مسار الطريق عما كان عليه فى العصر العثمانى ، وكان مساره ينقسم إلى أربعة أرباع يهمنا منها المربع الأول ويمتد من بركة الحاج الواقعة بظاهر القاهرة إلى العقبة ومراحله ست عشرة مرحلة .

الحادى عشر الهجرى (١٧م) ، أصبح أمراء الحج المصريون يباشرون معظم الأعمال المعمارية التى تجرى على الطريق ، ونجحوا فى تطوير عمارته .

ومن بين أمراء الحج المصرى الذين اشتهروا بإنشائاتهم الكثيرة نذكر الأمير بيرى بك الذى تولى إمارة الحج المصرى خلال السنوات (١٠٠٤ - ١٠١١هـ / ١٥٦٩ - ١٦٠٣م) والأمير رضوان بيك الفقارى الذى تولى إمارة الحج المصرى بين سنوات (١٠٣٨-١٠٦٦هـ/ ١٦٢٩-١٦٥٦م) ، وجميعهم من أمراء القرن الحادى عشر الهجرى (١٧م) .

وقد تميزت أعمال هؤلاء الأمراء بالتركيز على بناء الآبار والبرك بمحطات الطريق وتمهيد العقبات والممرات الصعبة وتنظيف مسار الطريق من الرمال التى تتجمع فيه[٣٣] .

وعلى الرغم من أن درب الحج المصرى الذى سلكه المسلمون فى العصر العثمانى عبر سيناء كان زاخراً بالمنشآت المعمارية ، متعددة الأنواع ، ومختلفة الوظائف . إذ شيدت على جنباته المساجد والأعلام والقلاع والقصور والخانات ، وحفرت فى مراحله البرك والأحواض والآبار والقنوات إلا أنه يلاحظ الآتى :

أولاً - إن كثيراً من هذه المنشآت قد تعرض للهدم بسبب تعدى الناس عليها واستخدام حجارتها أو نتيجة لإهمالها حتى زحفت الرمال

---

(٣٣) غبان (على إبراهيم) النقوش العثمانية الباقية على عمائر طريقى الحج الشامى والمصرى فى شمال غرب المملكة العربية السعودية . المؤتمر الثانى لمدونة الآثار العثمانية فى العالم ، زغوان - تونس ١٩٩٨ ص ٢١٨ .

عليها وطمرتها . خاصة وأن آخر قافلة من قوافل الحجاج سارت على هذا الطريق البرى كانت منذ ما يقرب من مائة وعشرين عاماً .

ثانيًا - إن بعض منشآت هذا الطريق أقيمت فى العصر العثمانى وبعضها الآخر يرجع إلى أزمنة سابقة وخاصة العصر المملوكى ثم أعيد تجديدها واستخدامها مرة أخرى خلال العصر العثمانى .

ومن المنشآت المدنية التى أقيمت فى العصر العثمانى على مسار طريق الحج المصرى البركة الثالثة التى استحدثت فى الجهة الجنوبية الشرقية خارج قلعة عجرود لسقاية الحجيج وتجديد مؤنتهم بالمياه ، وهى بركة مستطيلة ذات أركان مشطوفة أبعادها (٢٢,٣٠ × ١٣,٠٠م) وعمقها ٤م مبنية بالآجر ، ينزل إليها بدرج فى الركن الجنوبى الغربى[٣٤] .

ومنها أيضًا بركة المياه الثالثة إلى جوار البرج الشمالى لقلعة نخل ، وهى فى حالة جيدة وتبلغ مساحتها (١٠,٤٠ × ٨,٥٠ × ٣,٥٠م)[٣٥] .

ومن المنشآت المعمارية المدنية التى أعيد تجديدها واستخدامها فى العصر العثمانى بركة المياه الشمالية بمنطقة القريص (بير محمد)[٣٦] ، وتقع إلى الغرب من البئر على مسافة ٢٥م ، ويتكون تخطيطها من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول ٢٩م ، ومن الشمال

---

(٣٤) راجع حاشية رقم ١٨ وشكل رقم (٥) .

(٣٥) كشف عن هذه البركة خلال الحفائر التى أجراها المجلس الأعلى للآثار موسم يونية ١٩٩٥م حيث عثر بهذه البركة على بعض التحف المنقولة ممثلة فى قطع من الشوبك التركى وبعض المسكوكات العثمانية المتأخرة .

(٣٦) تمثل منطقة القريص (بير محمد) المحطة الثالثة على درب الحج المصرى .

إلى الجنوب بعرض ١٦,٤٨م وعمقها ٤,١٥م ، مبنية بمداميك من الحجر الجيرى يربط بينها مادة بناء من طمى الوادي والجير المحروق ورماد النار .

وينزل إلى هذه البركة على درج فى الركن الشمالى الشرقى من اثنتى عشرة درجة وآخر فى الركن الجنوبى الغربى من تسع درجات ، فى حين أن فى الركنيين الآخرين دعامتين لتدعيم البركة لعلهما استخدمتا كذلك فى قياس منسوب المياه . (لوحة رقم ٣) .

وتشمل الحافة الشمالية للبركة على ثلاثة عشر حوضًا مستطيل الشكل أبعاد كل منها (١٨٠ × ١٧٠ سم) وعمقها ٣٣ سم ، وكانت تستخدم لسقاية الإبل ودواب قافلة الحج يملأها من البركة نفسها (لوحة رقم ٤) ، أما البركة الكبيرة وكانت بملأها عن طريق قناة مبطنة بالحجر تصل بينها وبين البئر الذى كان مركبًا عليه فيما بعد ساقية تديرها الإبل والثيران التى ترسل خصيصياً لذلك قبل بداية موسم الحج . (شكل رقم ٦) .

وتتضح أعمال التجديد والترميم فى البركة فى العصر العثمانى باستخدام كسر صغيرة من الأحجار بدلاً من المداميك التى تآكلت فى بعض المناطق ، وكذلك بكسوة البركة بطبقة جديدة من ملاط أحمر يختلف عن طبقة الملاط القديمة ذات اللون المائل إلى الإصفرار ، وتتكون طبقة الملاط من الجص والجير المحروق وهى شديدة الصلابة تمنع تسرب المياه .

وهذه البركة فى حالة جيدة وتعد من أفضل نماذج برك المياه على طريق الحج المصرى بوسط سيناء .

وفى عصر السلطان مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٤٩هـ / ١٦٢٣-١٦٤٠م) قام الأمير رضوان بيك الفقارى بإنشاء جملة عمارات على مسار درب الحج المصرى شملت إنشاء مجموعة من أعلام الطريق فى شبه جزيرة سيناء[٣٧] .

ثانياً - الاهتمام بدير سانت كاترين :

اهتم العثمانيون إلى جانب اهتمامهم بطريق الحج المصرى بدير سانت كاترين[٣٨] أحد المعالم الدينية الهامة فى سيناء ومركزاً من رموز التسامح الدينى فيها[٣٩] .

---

(٣٧) الرشيدى أحمد (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م) كتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ، تحقيق ليلى عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ١٨٠-٢٠٧ ، غبان (على إبراهيم) المرجع السابق ص ٢٢٠ .

(٣٨) يقع هذا الدير على قمة جبل طور سيناء الغربى ، ويرتفع عن سطح البحر حوالى ٥٠١٢م . كان قد أقامه الإمبراطور جستينيان وقرينته ثيودورا ليحمى المتوحدين الذين كانوا يقطنون حول العليقة المقدسة ، وقد شيدت الكنيسة الرئيسية فى الزاوية الشمالية الشرقية من البرج ، فى الوقت الذى بنى فيه الدير كحصن عظيم منيع يحيط بأبنية القديسة هيلانة ويضم إلى جانب الكنيسة الكبيرة صومعة للنساك وذلك على يد المهندس استفانوس إيليسيوس سنة ٥٤٢م ، وانتهى العمل فى الكنيسة بعد تسع سنوات ، وقد توحدت كنيسة العليقة المقدسة مع البناء ، وسمى دير سانت كاترين نسبة إلى القديسة كاترينا التى عثر رهبان الدير على رفاتها ونقلت ووضعت فى هيكل الكنيسة فى صندوق رخامى .

بابا يوانو (افانجلوس) دير طور سيناء ترجمة صليبا خورى وفيليب نحابره ص ٨ ، ١٦ .

(٣٩) فتوح (سليمان محيى الدين) المرجع السابق ص ٧٤ .

ونستطيع أن نبين ذلك منذ دخول السلطان سليم الأول مصر سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) حيث تعهد بحماية الدير واحترام حقوقه والإبقاء على ما كان يتمتع به رهبانه من امتيازات منذ الفتح العربى[٤٠] .

والواقع أن دير سانت كاترين حقق خلال الحكم العثمانى نشاطاً واسعاً لما تمتع به من حقوق ومزايا حصل عليها القائمون عليه من السلاطين العثمانيين ، وامتداد هذا النشاط خلال القرن الحادى عشر الهجرى (١٧م) إلى أن وصل إلى بلاد اليونان التى كانت خاضعة آنذاك للعثمانيين ، فأسست مدرسة العلوم والرسوم الشهرية إراكليون كريت ، حيث تخرج فيها كثير من رجالات ذلك العصر ، كذلك امتد نشاطه فى مصر وتركيا وفلسطين ورومانيا وروسيا والهند ، حيث كانت الأديرة السينائية[٤١] .

وقد أهتم سلاطين آل عثمان بإصدار مجموعة متعاقبة من الفرمانات السلطانية منذ عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠م) وحتى عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) إلى باشوات ولاية مصر وقضاة ولاية مصر والشام بشأن دير سانت كاترين ورهبانه تطمئنهم وتحقق لهم الرعاية الكاملة من أمن واستقرار[٤٢] .

---

(٤٠) سوف نعرض لمضمون الفرمان الذى أصدره السلطان سليم الأول بمدينة دار الخلافة مصر بهذا الخصوص عند الحديث عن الفرمانات التى أصدرها السلاطين العثمانيون بشأن طائفة الرهبان والقساوسة القاطنين جبل طور سيناء .

(٤١) بابا يوانو (فانجلوس) المرجع السابق ص ١١ .

(٤٢) تحتفظ مكتبة دير سانت كاترين ضمن ما تحفتظ به من وثائق مختلفة بمجموعة من الوثائق العثمانية تبدأ على وجه التحديد منذ ضم مصر إلى حوزة الدولة العثمانية فى أوائل القرن ١٠هـ /١٦م وحتى القرن ١٣هـ / ١٩م وهى مقسمة إلى مجموعتين الأولى =

وكانت حماية الدير فى العصر العثمانى موكولة إلى حاكم تعينه الدولة العثمانية اطلقت عليه الوثائق اسم «الحاكم الشرعى بالطور المبارك أو اسم «أغات قلعة» الطور[٤٣] .

وقد اعتنى حكام الطور على مر الوقت بأوامر السلاطين العثمانيين وتنفيذ فرماناتهم الخاصة بقوانين الدير وأنظمته .

وإلى جانب أهمية هذه الفرمانات المكتوبة باللغة التركية من حيث هى أحد المصادر الهامة لدراسة التاريخ العثمانى فهى تشكل كذلك أهمية كبرى لتاريخ دير سانت كاترين على امتداد ما يجاوز ثلاثمائة وخمسين عاماً .

ولما كانت هذه الفرمانات تتضمن موضوعات مختلفة فقد وقع اختيارنا على سبعة فرمانات منها تغطى تاريخ الدير فى العصر العثمانى لترجمتها إلى العربية وتحليل ما جاء فيها من معلومات

= وتشمل فرمانات من العهد العثمانى ، والثانية ويطلق عليها اسم معاهدات ، ويهمنا منها المجموعة الأولى ، ويبلغ عددها ٢٠٧ فرمان تغطى حكم جميع سلاطين آل عثمان فيما عدا حكم السلطان مصطفى الأول الذى حكم فترة قصيرة (١٦١٧هـ / ١٦٢٢-١٦٢٣م) وقد قام Schwarz (K.) بنشر مجموعة من هذه الوثائق فى دراسة باللغة الألمانية بعنوان :

Osmanische Sultausurkuden des Sinai-Klosters in Turkischer Sprache. 1970.

معتمداً على نسخة الميكروفيلم الموجودة بمكتبة الكونجرس فى واشنطن والتى قامت البعثة الأمريكية منذ عام ١٩٥٠ بتصويرها من أرشيف دير سانت كاترين .

(٤٣) السروجى (محمد محمود) دير سانت كاترين فى تاريخه الحديث . مجلة كلية الآداب – جامعة الأسكندرية . م ١٨ ، ١٩٦٤ ، ص ١٢٣ .

وهى جميعها توضح مدى التسامح والرعاية والحماية التى قدمت لرهبان دير سانت كاترين من قبل السلاطين العثمانيين بل والإهتمام بعمارة الدير وتجديد المتهدم منها .

نجمل ذلك فى النقاط الآتية :

أولاً – الإلتزام بعدم تدخل العربان فى شئون الرهبان والقساوسة فى جبل طور سيناء ، والتسامح معهم فى حقوقهم ورسومهم وأحكارهم وأعشارهم وبساتينهم ومحاصيلهم ، وبساتين النخيل والزيتون الخاصة بهم فى البلاد الطورية والشامية والمصرية .

– عدم التعدى على أوقافهم وبيوتهم وبساتينهم ومزارعهم فى جزيرتى كريت وقبرص ، والتسامح معهم فى الحقوق الديوانية التى تؤخذ منهم من الصابون والزيت الجبلى والنذور والصدقات الواردة إليهم من الاسكندرية ورشيد ودمياط والبرلس وقطية وغزة ويافا وبيروت وصيدا وطرابلس واللاذقية وسائر النواحى المصرية والشامية .

– مواصلة عاداتهم القديمة فى زيارة كنائسهم فى القدس الشريف وعدم معارضة أحد فى دفن موتاهم وعدم التدخل فى مواريثهم[٤٤] .

ثانياً – تمكين رهبان وقساوسة جبل طور سيناء من بيع ما كانوا يبيعونه من قديم ، كالكسبة والحرير والبسط والخمر والصابون والزيتون والعدس والحمص والفول والجبن والعسل والمسلى والخيش والغراء

---

(٤٤) وثيقة رقم ٥٤ فرمان ممهور بطغراء السلطان سليم الأول محرر فى أواخر شهر آخر الجمادين سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة بمدينة دار الخلافة مصر – ملحق رقم ١ .

وذلك بغرض انفاق اثمانها فى شراء القمح والأطعمة الأخرى ، وعلى أمناء وعمال الميناء واليندر عدم منعهم من البيع حيث إنهم لا يفعلون ذلك بقصد الإتجار[٤٥] .

ثالثاً – ابعاد الجماعة اليهودية التى تجمعت فى جبل طور سيناء بحجة الهرب من مرض الطاعون[٤٦] .

رابعاً – منع الغرباء من التدخل فى شأن الإمامة والآذان بالمسجد داخل دير سانت كاترين لأنهم يأتون بقصد الإتجار ، وعدم تعرض أحد من الأمناء والعمال وغيرهم بأية صورة لاديرة الرهبان وإعادة أى شىء أخذوه منها بدون وجه حق[٤٧] .

خامساً – عدم الإلتفات إلى الأوراق المزورة التى بعث بها البطارقة الحاليون من استانبول والقدس الشريف بشأن اعتراضهم على قيام رهبان وقساوسة طور سيناء بإطعام الحجاج وعابرى السبيل ، وعدم التدخل فى شئون هؤلاء بما يتنافى والبراءة والأمر الشريف الممنوحين لهم[٤٨] .

---

(٤٥) وثيقة رقم ٥٩ فرمان ممهور بطغراء السلطان سليمان بن سليم خان محرر فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة بمقام القسطنطينية المحروسة . ملحق رقم ٢ .

(٤٦) وثيقة رقم ٦٦ فرمان ممهور بطغراء السلطان سليم بن سليمان خان محرر فى أواسط صفر المظفر سنة خمس وسبعين وتسعمائة بمقام القسطنطينية . ملحق رقم ٣ .

(٤٧) وثيقة رقم ٧٦ فرمان ممهور بطغراء السلطان مراد بن سليم خان محرر فى اليوم السابع عشر من محرم الحرام سنة إحدى وتسعين وتسعمائة بمقام القسطنطينية ، ملحق رقم ٤ .

(٤٨) وثيقة رقم ١٢٣ فرمان ممهور بطغراء السلطان أحمد بن إبراهيم خان محرر فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى الحجة الشريفة سنة اثنتى مائة وألف بمقام ادرنه المحروسة . ملحق رقم ٥ .

سادسًا - تعمير الحوائط المحيطة بالدير التى تهدمت بفعل أحد الزلازل وتبلغ أربعين باعًا ، وإعادتها إلى ما كانت عليه دون زيادة أو نقصان فى مساحتها أو ارتفاعها طبقًا للشرع الشريف(٤٩) وذلك فى سنة تسع وعشرين ومائة وألف زمن السلطان أحمد الثالث (لوحة رقم ٥) .

سابعًا - عدم قيام الخازندارية وأهل العرف بتحصيل جزية أو خراج أو خلافة من الإثنى عشر راهبًا الذين يتولون جمع الصدقات والنذور فى بعض مناطق الروملي والأناضول وخانيات البحرين الأبيض والأسود(٥٠) .

وإلى جانب ما ورد من معلومات فى الفرمانات السلطانية بشأن عمارة سور دير سانت كاترين في العصر العثماني فإنه من دراسة الدير ومشتملاته نسبة بعض الأعمال الفنية الأخرى إلى هذه الحقبة وهى :

أولاً - كسوة هيكل كنيسة العليقة المقدسة(٥١) بالبلاطات الخزفية :

وتتكون كنيسة العليقة المقدسة من مساحة صغيرة مستطيلة

---

(٤٩) وثيقة رقم ١٣٨ فرمان ممهور بطغراء السلطان أحمد بن محمد خان محرر فى جمادى الأول سنة تسع وعشرين ومائة وألف بيورت صحراء أدرنه . ملحق رقم ٦ .

(٥٠) وثيقة رقم ٢١١ فرمان ممهور بطغراء السلطان مصطفى خان بن عبد الحميد خان محرر فى اليوم التاسع عشر من ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف بمقام القسطنطينية المحروسة . ملحق رقم ٧ .

(٥١) تقوم كنيسة العليقة المقدسة اليوم خلف كنيسة الدير الرئيسية ، حيث يدخل الزائر إليها حافى القدمين ، إحياء لذكرى أمر الله لموسى ، وقد كرست هذه الكنيسة لبشارة =

تبلغ (٣×٥م) ، يتصدرها حنية معقود (الهيكل) بداخلها مذبح صغير . (لوحة رقم ٦) .

ولبست جدران العليقة المقدسة وكذلك الهيكل بكسوة من البلاطات الخزفية العثمانية يرجع تاريخها إلى سنة (١٠٨٢هـ / ١٦٧١م)[٥٢] ، أى إلى زمن السلطان العثمانى محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧م) . (لوحة رقم ٧) .

وبلاطات هذه الكسوة مربعة الشكل مقاس ٢٤×٢٤ سم ، ويمكن تقسيم زخارفها إلى أربعة طرز هى :

الطراز الأول :

ويتألف من ورقة كبيرة لوزية الشكل ذات حواف مسننة بداخلها حزمة من الأزهار والأوراق النباتية .

الطراز الثانى :

ويتألف من دائرة مفصصة بداخلها أربع أوراق ثلاثية الفصوص تحصر فيما بينها وريدات حول زهرة مركزية ، وتنتهى الوريدات بفصوص من الزخرفة العربية المورقة (الأربيسك) .

= السيدة العذراء ، وتتكون كنيسة العليقة المقدسة من حجرة مستطيلة يبلغ مقاسها (٣ × ٥م) يصدرها حنية معقودة (الهيكل) تضم مذبحًا صغيرًا محمولاً على أربعة أعمدة رخامية فوق فجوة تحدد الموضع الأصلى للعليقة . بابا يوانو (افانجلوس) المرجع السابق ص ٢٤ .
Kamil (J.), The Monastery of Saint Catherine in Sinai Cairo 1992. P. 50.

(٥٢) بابا يوانو (افانجلوس) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

الطراز الثالث :

ويتألف من دائرة مفصصة بوسطها زهرة مركزية ، تدور حولها زخارف نباتية من أزهار وأوراق ، ويلاحظ أن كل أربع بلاطات من هذا الطراز تكون وحدة زخرفية متكاملة (تجميعة) .

الطراز الرابع :

ويتألف من شكل نجم ذى ثمانية أطراف ينتهى كل طرف من أطرافه بزهرة .

واستعمل فى تنفيذ زخارف هذه الكسوة الخزفية اللون الأزرق والأخضر بدرجاته والأرجوانى والأسود لتحديد الرسوم .

وتذكرنا هذه الكسوة الخزفية بكنيسة العليقة المقدسة من حيث الزخارف والألوان بالبلاطات والخزف العثمانى الذى كانت تنتجه مدينة ازنيق والمعروف خطأ باسم خزف دمشق[٥٣] . غير أننا لا نستبعد أن تكون هذه الكسوة الخزفية قد صنعت فى مدينة دمشق فى النصف الثانى من القرن (١١هـ / ١٧م) ، نظرًا للتشابه الواضح بين زخارفها

---

(٥٣) اطلق تجار العاديات فى القرن التاسع عشر الميلادى على ثلاثة أنواع من الخزف العثمانى من إنتاج مدينة ازنيق أسماء مراكز صناعية أخرى وهى كوتاهية ودمشق ورودس ، والحقيقة أن هذه الأنواع الثلاثة كانت تنتج فى مدينة ازنيق .
خليفة (ربيع حامد) البلاطات الخزافية فى عمائر القاهرة العثمانية . رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٣٤ .

وزخارف بعض البلاطات الخزافية التى كانت تزدان بها عمائر دمشق فى العصر العثمانى(٥٤) فضلاً عن اضمحلال صناعة الخزف فى مدينة ازنيق خلال هذه الفترة .

ثانياً - كسوة أرضية الكنيسة الرئيسية بالرخام :

يلاحظ أن أرضية الرواق الأوسط للكنيسة الرئيسية وكذلك المسافة التى تتقدم الايقونسطاس (الحجاب الخشبى) قد فرشت بالرخام الأبيض والرخام الخردة الذى يتألف من قطع من الرخام ذات لون أبيض وأحمر وأسود ورصاصى .

ويغلب على هذه الأرضية الرخامية استخدام التكوينات الهندسية إذ قسمت فى الجانبين إلى مناطق مستطيلة وأخرى مربعة ، وفى الوسط إلى مناطق مربعة كبيرة وأخرى مستطيلة لوحة رقم ٨) .

وتزدان المناطق المستطيلة فى الأجناب بأشرطة تحصر بداخلها زخرفة متكررة بهيئة حرف S أو بهيئة مثلثات ، فى حين شغلت المناطق المربعة بوحدات هندسية بهيئة مثلثات ومعينات ، أما الوحدات المربعة الكبيرة فى الوسط فتزدان إما بشكل نجم كبير متكرر ثمانى الأطراف بواسطه دائرة ، أو بشكل سداسى صغير بوسطه دائرة تحيط به أشكال مربعات وأشكال سداسية بها استطالة . فى حين ازدانت الوحدات

---

(٥٤) عن أمثلة هذه البلاطات انظر :
Al-Ush (M.A) Catalogue Du Musee National De Damas, Damas 1969 P. 251 Fig. 143.

المستطيلة بزخرفة تشبه أسنان المشط وأخرى بهيئة معينات ومثلثات متكررة .

ويتضح من أسلوب فرش أرضية كنيسة دير سانت كاترين بالرخام الملون التأثر بالأساليب والتقاليد الفنية المملوكية فى صناعة الرخام حيث إن هذه الصناعة ظلت محافظة على تقاليدها طوال العصر العثمانى ولم يحدث عليها تغيرات كبيرة[٥٥] .

والراجح أن تكون هذه الأرضية عملت فى القرن (١٢هـ/ ١٨م) حيث تذكرنا زخارفها التى يغلب عليها التكوينات الهندسية بزخارف الأرضيات الرخامية بعمائر القاهرة العثمانية فى القرنين (١١-١٢هـ/ ١٧ - ١٨م)[٥٦] وكذلك الأرضيات الرخامية بالمنازل الدمشقية فى العصر العثماني ومن أمثلتها أرضية القاعة الدمشقية بمتحف دمشق الوطني والتى يعود تاريخها إلى سنة (١١٥٠هـ / ١٧٣٧م)[٥٧] .

ثالثاً - التحف المنقولة :

لا تخلو الكنيسة الرئيسية وكنيسة العليقة المقدسة بدير سانت كاترين من بعض التحف المنقولة المعدنية والخشبية التى تماثل فى طرازها الفنى وزخارفها التحف الفنية التى أنتجت فى العصر العثمانى .

---

(٥٥) خليفة (ربيع حامد) فنون القاهرة فى العهد العثمانى القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٩٥ .
(٥٦) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
(٥٧) Al-Ush (M.A) OP. cit., P. 212 PL XIV.

ومن أمثلة التحف المعدنية المنقولة زوج من الشماعد ذات الارتفاع الكبير على جانبى هيكل كنيسة العليقة المقدسة ، اتخذ كل منهما شكلاً يتكون من قاعدة دائرية يليها جزء كهيئة قبة صغيرة يعلوها عمود أسطوانى مرتفع يتخلله عدد من الانتفاخات الكروية والكمثرية وينتهى من أعلى ببيت الشمعة(٥٨) .

وقد عرف هذا الطراز من الشماعد فى العصر العثمانى فى القرن (١٢هـ / ١٨م) لكنه لم يكتب له الانتشار إلى القرن (١٣هـ/ ١٩م) .

ومن أمثلتها أيضًا مجموعة من الثريات الفضية تتدلى من سقف الكنيسة الرئيسية(٥٩) وهى تذكرنا إلى حد كبير بالثريات الفضية التى ترجع إلى عهد كل من السلطان العثمانى عثمان الثالث (١٧٥٤-١٧٥٧م) . والسلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) ، والمحفوظة بمتحف الفنون الإسلامية التركية بمدينة استانبول(٦٠) .

أما أمثلة التحف الخشبية فأهمها صندوق صغير من الخشب المطعم بالصدف منشورى الشكل(٦١) بكنيسة العليقة المقدسة ، يغلب على زخارفه استخدام العناصر الهندسية ، ومما هو جدير بالذكر أن

---

(٥٨) انظر لوحة رقم ٧ .

(٥٩) انظر لوحة رقم ٨ .

(٦٠) عن هذه الثريات الفضية انظر :

Kurkman (G) Ottoman Silver Marks, Istanbul 1996 P. 164, 165, 175.

(٦١) انظر لوحة رقم ٧ .

استخدام الأشكال المنشورية فى عمل التحف المعدنية والخشبية من كراسى وصناديق قد عرف فى العصرين المملوكى والعثمانى[٦٢] .

وبعد فقد أمكن من هذه الورقة التعرف على المنشآت التى أقامها سلاطين آل عثمان فى سيناء والإشارة إلى ما تبقى منها سواء فى مجال المنشآت الدفاعية وخاصة القلاع أو فى مجال الاهتمام بالمناطق الدينية خاصة طريق الحج المصرى ومنشآته وكذلك دير سانت كاترين وتأمين رهبانه وتعمير الحوائط المحيطة به وكسوة هيكل العليقة المقدسة بالبلاطات الخزفية وفرش أرضية الكنيسة الرئيسية بالرخام .

---

(٦٢) خليفة (ربيع حامد) العناصر المعمارية ودورها فى مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية .مجلة كلية الآثار . العدد السادس ١٩٩٥ ، ص ١٠٩ .

ملاحق البحث

ملحق رقم ١ فرمان ممهور بطغراء السلطان سليم الأول (وثيقة رقم ٥٤) نص الترجمة العربية للأصل التركى : **سليم بن بايزيد خان المظفر دائماً .**

حكم التوقيع الشريف العالى الشأن السلطانى ، الطغراء الغراء للفاتح الخاقانى المنفذ بالعون الربانى :

تردد طائفة الرهبان والقساوسة القاطنين جبل طور سيناء . والحاملين للقربان الواجب الإتباع ، إنهم يقومون باستضافة وإكرام المترددين عليهم من كل صوب ، أى أنه يلزم عدم تدخل العربان فى شئونهم على الإطلاق ، كما يلزم التسامح معهم فى حقوقهم ورسومهم وأحكارهم وأعشارهم وبساتينهم ومحاصيلهم وبساتين النخيل والزيتون الخاصة بهم ، فى البلاد الطورية والشامية والمصرية ، وعدم التعدى على أوقافهم وبيوتهم وبساتينهم ومزارعهم فى جزيرتى كريت وقبرص ، والتسامح معهم فى الحقوق الديوانية التى تؤخذ منهم من الصابون والزيت الجبلى والنذور والصدقات الواردة إليهم من البر والبحر والنهر من الإسكندرية ورشيد ودمياط والبرلس وبولاق وقطية وغزة ويافا وبيروت وصيدا وطرابلس واللاذقية وسائر النواحى المصرية والشامية ، وأن يواصلوا عادتهم القديمة فى زيارة كنائسهم فى القدس الشريف ،

وعدم معارضة أحد فى دفن موتاهم ، وعدم التدخل فى مواريثهم ، وتمكينهم من حقوقهم الثابتة على آخر كائنا من كان دونما نقصان ، وقيام الحكام بالوقوف فى وجه من يريدون التدخل فى شئونهم . طبقًا لما يتضمنه العهد الشريف الممنوح لهم من النبى عليه السلام والخلفاء الراشدين والأمراء والسلاطين . وقد اطلعنا على العهد المذكور وأقررنا ما جاء فيه . وأصدرنا لهم هذا الحكم الشريف الواجب الإتباع ، وأمرنا برعاية وحماية الطائفة المذكورة فى الجبل المذكور على الوجه المذكور ، كما كان عليه الحال فى السابق ، فلا يتعرض لهم أحد كائنا من كان دون وجه حق ، ولا يضايقهم أحد ، وإلا فالعتاب أليم والعقاب عظيم للمخالفين . ويلزم أن يعيش للدعاء بدوام دولتى . وعلى الجميع مراعاة كل ما سبقت الإشارة إليه .

والعمل بمقتضى العلامة الشريفة لسلطان العالم .

تحريراً فى أواخر شهر آخر الجمادين سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة **بمدينة دار الخلافة مصر .**

ملحق رقم ٢ فرمان ممهور بطغراء السلطان القانونى (وثيقة رقم ٥٩) نص الترجمة العربية للأصل التركى : **سليمان بن سليم خان المظفر دائمًا .**

إلى مفاخر القضاة والحكام ، معادن الفضائل والكلام ، قضاة ولاية مصر والشام زيد فضلهم :

ليكن معلوما لديكم حين وصول التوقيع الرفيع الهمايونى أن رهبان وقساوسة جبل طور سيناء قد بعثوا بأحد الرجال إلى أعتابنا العالية . وقد عرض المذكور أن المذكورين كانوا يقومون بجلب الأشياء التى يبتاعونها من الكفرة إلى سيناء لتقديمها للزوار . كما كان يتم بيع الكسبة والحرير والبسط والخمر والصابون والزيت والزيتون والعدس والحمص والفول والجبن والعسل والمسلى والخيش والفراء فى أماكن مختلفة من قديم الزمن وإنفاق أثمانها فى شراء القمح والأطعمة الأخرى . وقد قام أمناء وعمال الميناء والبندر بمنعنا من البيع بحجة أننا نفعل ذلك بقصد الاتجار . وقد أمرت بأن يطلع هؤلاء على أمرى الشريف حين وصوله ، وأن تمكنوهم من بيع كانوا يبيعونه من قديم ، والوقوف والتصدى لمن يمنعهم من ذلك خلافًا للشرع الشريف . وعليهم أن يحذروا استغلال ذلك للقيام ببيع المخلفات والأسلحة والخيل المحظورة بالنسبة للميناء .

وقد عرض هؤلاء أيضًا قيام بعض الأشخاص باعتراض بعيرهم فى الصحراء . فعليكم أن تبحثوا عن هؤلاء الأشخاص وتمنعونهم من ذلك ، ولا تسمحون لأحد القيام بعمل يخالف الشرع الشريف أو القانون . وتتصدون لمن يتمرد أو يبدى عناداً ، ويلزم عدم عودة هؤلاء للشكوى مرة أخرى ، وبقاء هذا الأمر الشريف بأيديكم ، والعمل بمقتضى العلامة الشريفة .

تحريرًا فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة **بمقام القسطنطينية المحروسة .**

ملحق رقم ٣ فرمان ممهـور بطغـراء السلطان سليـم الثانى (وثيقة رقم ٦٦) نص الترجمة العربية للأصل التركى : **سليم بن سليمان خان المظفر دائماً .**

إلى أمير الأمراء الكرام ، كبير الكبراء الفخام ، ذى القدر والاحترام ، صاحب العز والاحتشام ، المختص بمزيد عنـاية الملك العلام ، أمير أمراء مصر دام إقباله ، وإلى أقضى قضاة المسلمين ، أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين ، حجة الحق عن الخلق أجمعين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين ، المختص بمزيد عناية الملك المعين . مولانا قاضى مصر ... زيدت فضائله :

ليكن معلوما لديكم حين وصول التوقيع الرفيع الهمايونى أن رهبان جبل طور سيناء قدموا إلى أعتابنا العالية وذكروا أن الجماعة اليهودية خرجت على المألوف فى طور سيناء ، الذى يعد المقام الشريف الذى ناجى فيه موسى عليه السلام ربه ، وداسوه بأقدامهم غير الطاهرة ، وتجمعوا فى الجبل المذكور بحجة الهروب من مرض الطاعون ، وتعدوا علينا . وبناء عليه فقد أمرنا بأن يطلع هؤلاء على أمرنا الشريف الواجب الإتباع حين وصوله . ويعلموا أن الجماعة اليهودية المذكورة لم تصل إلى هذا المقام الشريف من قديم الأيام . ولذا يلزم إبعادهم إذا وصلوا إليه خلافاً للشرع والمألوف . ولا يسمح لأحد منهم بالوصول إليه . ويؤدب من يخالف ذلك . وسيبقى هذا الحكم الهمايونى فى أيديكم . وتحترم العلامة الشريفة .

تحريراً فى أواسط صفر المظفر سنة خمس وسبعين وتسعمائة . **بمقام القسطنطينية .**

ملحق رقم ٤ فرمان ممهور بطغراء السلطان مراد الثالث (وثيقة رقم ٧٦) نص الترجمة العربية للأصل التركى : **مراد بن سليم خان المظفر دائمًا .**

إلى أمير الأمراء الكرام ، كبير الكبراء الفخام ، ذى القدر والمجد والاحترام ، صاحب العز والاحتشام ، المختص بمزيد عناية الملك العلام، أمير أمراء ولاية مصر . دام إقباله . وإلى أقضى قضاة المسلمين ، أولى ولاة الموحدين ، ينبوع الفضل واليقين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين ، حجة الحق على الخلق أجمعين ، المختص بمزيد عناية الملك المعين ، مولانا قاضى مصر المحروسة دام فضله :

ليكن معلوم لديكم حين وصلوا التوقيع الرفيع الهمايونى أن رهبان الدير الكائن فى الجبل المسمى بطور سيناء التابع لولاية مصر . بعثوا بأحد الرجال إلى أعتابنا بخصوص أحد المساجد الموجودة داخل الدير المذكور . والذى يؤدى فيه الصلاة العرب المسلمون فى هذه الديار ويتولون مهمة الإمامة والأذان فيه . وقد أفاد الرجل المذكور بأنهم لا يتدخلون فى هذا الأمر . ولكن بدأ يتردد عليه أخيراً بعض الأشخاص من خارج هذه الديار خلافًا لما جرت عليه العادة ، مما تسبب فى مضايقتهم وإزعاجهم . وبالمسجد المذكور إمام ومؤذن من عرب هذه الديار معينان فيه . وبالنسبة للقادمين إلى هذا المكان من الخارج فيأتون بقصد الإتجار خلافًا للشرع الشريف . وكذلك الحال بالنسبة للأمناء والعمال وطائفة أهل العرف وغيرهم . وهذا يؤدى إلى مضايقة الرهبان المذكورين. وبناء عليه فهم يرجون صدور الأمر الشريف للحيلولة دون ذلك

وقد أمـــرت بأن يطلـــع الجـميـع على أمـرى الشـريف حين وصـــوله . وفي الواقع فإن الأمر كما سبق عرضه ، فهناك مسجد في داخل الدير المذكور . ولا يتدخل في شأنه أحد من رهبان هذا الدير . بينما يفعل ذلك بعض الأشـخـاص خـلافًا لما جرت عليـه العـادة . كـمـا يتـدخل الأمناء والعمال وطائفة أهل العرف وغيرهم بقصد التجارة . ومن الضرورى منع هؤلاء جميعًا من ذلك إذا كانوا يقصدون المضايقة والازعاج . ويجب عدم تدخل أحد في شأن الإمامة والأذان من غير العرب الذين يتولونهما حتى الآن . وعدم تعرض أحد من الأمناء والعمال وغيرهم بأية صورة لأديرة الرهبان المذكورين ، وإعادة إلى أى شيء أخذوه منها بدون وجه حق . ومن الضرورى ألا يشتكى هؤلاء ثانية . وأن يتم تسجيل الممنوع وغير الممنوع وتقديمه إلى أعتابنا . وليعلم الجميع ذلك . وعلى الجميع العمل بموجب العلامة الشريفة .

تحريرًا في اليوم السابع عشر من محرم الحرام سنة إحدى وتسعين وتسعمائة . **بمقام القسطنطينية .**

ملحق رقم ٥ فـرمـان ممهـــور بطغـــــراء السلطان أحـمـد الأول (وثيـقـة رقـم ١٢٣) نص التـرجـمـة العـربيـة للأصل التـركى : **أحـمـد بن إبراهيم خان المظفر دائمًا .**

إلى أقضى قضاة المسلمين ، أولى ولاة الموحدين ، معدن الفضل واليقين ، رافع أعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين ، المختص بمزيد عنـــاية الملك المعين ، مـــولانا قـاضى استـانبـول ... زيدت فضائله :

ليكن معلوما لديكم حين وصول التوقيع الرفيع الهمايوني أن الراهب المدعو اراكي . بعث إلى ركابنا الهمايوني بعريضة نيابة عن رهبان وأساقفة جبل طور سيناء . يعرض فيها ما يقوم به هؤلاء من إطعام الحجاج وعابرى السبيل من قديم الزمان وحتى الآن ، وذلك بموجب العهد الممنوح لهم من الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام ، والحجج والأوامر الشريفة والبراوات الرفيعة من الخلفاء الراشدين . ولم يتدخل في هذا الأمر أو يعترض على طقوسهم الباطلة بطارقة القدس الشريف أو غيرهم من سائر البطارقة . إلا أن البطارقة الحاليين في استانبول والقدس الشريف اخلوا بهذه العهود وأعلنوا بطلانها . وبعثوا برسائل إلى الكفرة هنا بخصوص هذه الطقوس الباطلة وعدم الطاعة لأسقف طور سيناء ، وإرسال الصدقات والنذور إليهم . وفى هذا غدر وظلم لهؤلاء الرهبان والقساوسة المذكورين . ولهذا يرجو هؤلاء صدور امرى الشريف من أجل التنبيه بعدم الالتفات لهذه الأوراق المزورة التى بعث بها البطارقة المذكورون والتى تخالف البراوات والأوامر الشريفة الممنوحة لهم من قبل ، وعدم التدخل فى طقوسهم الباطلة بدون أمر همايونى تمشياً مع الشرع الشريف .

وقد صدر فرمانى العالى الشأن بعدم التدخل فى شئون هؤلاء الرهبان والقساوسة بما يتنافى والبراءة والأمر الشريف الممنوحين لهم ، أو يخالف ما جرى عليه العادة . ومنع التعدى عليهم . وقد أمرت بأن يتم – حين وصول حكمى الشريف – الإطلاع على الحجج التى بأيديهم ، وعدم التدخل فى شئونهم طبقاً لها ، ومنع ودفع الظلم عنهم .

تحريراً فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى الحجة الشريفة سنة اثنتى مائة وألف . **بمقام ادرنة المحروسة .**

ملحق رقم ٦ فرمان ممهور بطغراء السلطان أحمد الثالث (وثيقة رقم ١٣٨) نص الترجمة العربية للأصل التركى : **أحمد بن محمد خان المظفر دائمًا .**

إلى الدستور المكرم والمشير المفخم ، نظام العالم ، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهام الأنام بالرأى الصائب ، ممهد بنيان الدولة والإقبال ، مشيد أركان السعادة والإجلال ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى ، وزيرى والى مصر ... باشا . أدام الله تعالى إجلاله . وإلى أقضى قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين ، معدن الفضل واليقين ، رافع أعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين المختص بمزيد عناية الملك المعين ، مولانا قاضى مصر . زيدت فضائله:

ليكن معلوما لديكم حين وصول التوقيع الرفيع الهمايونى أن طائفة الرهبان المقيمة فى دير طور سيناء قدمت عريضة للجيش الهمايونى جاء فيها أن الحوائط المحيطة بالدير الخاص بهم منذ الفتح الخاقانى ، وتبلغ أربعين باعا ، قد تهدمت من قديم بفعل أحد الزلازل ولم تعد صالحة للإقامة بداخلها . ويخشون طائفة العربان وعدم الأمان . ويرجون صدور أمرى الشريف من أجل تعمير الحوائط المذكورة وإعادتها إلى وضعها القديم . وبناء عليه فقد أمرنا بتعمير الحوائط المذكورة وإعادتها إلى ما كانت عليه دون زيادة أو نقصان طبقاً للشرع الشريف وبمعرفتكم . ويلزم حين وصول حكمى الشريف الالتزام بما جاء فيه من إعادة تعمير الحوائط المتهدمة الخاصة بالدير المذكور دون زيادة أو نقصان فى مساحتها أو ارتفاعها طبقًا للشرع الشريف ، وعدم ممانعة أحد فى ذلك. واحترام العلامة الشريفة .

تحـــريراً في جمـــادى الأول سنة تسع وعشرين ومائة ألف . **بيورت صحراء أدرنه .**

ملحق رقم ٧ فرمان ممهور بطغـــراء السلطان مصطفى الرابع (وثيقة رقم ٢١١) نص الترجمة العربية للأصل التركى : **مصطفى خان بن عبد الحميد خان المظفر دائماً .**

إلى أقضى قضاة المسلمين ، أولى ولاة الموحدين ، معدن الفضل واليقين ، رافع أعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين ، المختص بمزيد عناية الملك المعين ، مولانا قاضى ... زيدت فضائله :

وإلى مفاخر القضاة والحكام ، ومعادن الفضائل والكلام : قضاة ونواب أقضية الروملى والأناضول وخانيات البحرين الأبيض والأسود . زيدت فضائلهم :

ليكن معلوما لديكم حين وصول التوقيع الهمايونى أن كبير أساقفة طور سيناء ، وقساوسة الأديرة ورهبان جبل موسى قدموا عريضة ممهورة إلى الديوان الهمايونى من أجل عدم قيام الخازندارية بتحصيل جزية من الأثنى عشر راهبا الذين يتولون جمع الصدقات والنذور فى بعض مناطق الروملى والأناضول وخانيات البحرين الأبيض والأسود ، وذلك بموجب العهد الشريف الممنوح لهم من السلاطين السابقين والخلفاء العظام والرسول الأكرم عليه السلام والذى يقضى بعدم تعرض أحد لهم أو مزاحمتهم فى أديرتهم وكنائسهم وبساتينهم فى طور سيناء، وأوقافهم فى سهل قطرنية على شاطىء البحر ، وعدم مطالبتهم بخراج

وخلافه فى الإسكندرية ورشيد وسائر الموانىء الأخرى ، وعدم تعرض أحد لهم من القضاة والأمراء والمتسلمين والأمناء والعمال . ويرجو هؤلاء صدور الأمر الشريف بذلك كى لا يتعرض أحد لهم على الإطلاق من بطارقة البلاد والولايات ، خلاف رؤسائهم من الأساقفة المعينين فى جبل طور سيناء ، ولا يطلب الخازندارية جزية من جامعى الصدقات والنذور فى الأماكن التى يزورونها . وذلك طبقًا للعهد الشريف الذى يحملونه . ولا يطلب أهل العرف وغيرهم خراجا منهم أو يتعرضوا لهم .

وقد تم الاطلاع على مقاطعة الأسقف المحفوظة فى خزينتى العامرة ووجد أنه قد أهمل الإلتزام بما تقضى به الأوامر الشريفة فى إطار العهد الشريف من عدم التعرض للأديرة ، وحدائقها ، وللقساوسة فى جبل موسى وطور سيناء ، وكذا كنائسهم ونخيلهم الواقعة على شاطىء البحر ، وأوقافهم ، وأديرتهم الكائنة فى محلة جوانية فى باب النصر فى مصر المحروسة ، وعباداتهم وقداساتهم فى سهل قطرينة ، وكذا الأماكن التابعة لهم فى يمين ويسار المحلة المذكورة ، وأوقافهم فى مصر المحروسة . وعدم ممانعة أحد فى تنفيذ العهد الشريف المذكور ، أو طلب جزية أو خراج منهم ، وعدم تدخل القضاة والأمراء والعسكريين والمتسلمين والأمناء والعمال فى شئونهم ، وعدم تدخل أحد من بطارقة البلاد والولايات فى شئون خلاف رؤسائهم الأساقفة المعينين فى الجبل المذكور ، وعدم مخالفة أحد شروط العهد المذكور .

وبناء على ما سبق ، فقد صدر فرمانى من أجل تنفيذ شروط العهد المذكور . وأمرت بأن يتم – حين وصول حكمى الشريف – العمل بموجب

شروط هذا العهد حسبما هو مقيد فى سجلات خزينتى العامرة كما سبق ذكره . وعدم تعرض أحد من الخازندارية وأهل العرف لجامعى الصدقات والنذور من الرهبان فى المناطق التى يزورونهـــا بطلب جزية أو خراج أو خلافه ، خلافًا للشرع الشريف ونقضا للعهد المذكور . والتزام العمل بموجب العلامة الشريفة .

تحريراً فى اليوم التاسع عشر من ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف . **بمقام القسطنطينية المحروسة .**

مراجع البحث

أولاً - المراجع العربية :

- الجبرتى (عبد الرحمن) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . طبعة الشعب ١٩٥٨ .

- السروجى (محمد محمود) دير سانت كاترين . دراسة فى تاريخه الحديث . مجلة كلية الآداب . جامعة الإسكندرية مجلد ١٨ ، ١٩٦٤ .

- بابا يوانو (افانجلوس) دير طور سيناء . ترجمة صليبا خورى وفيليب دحابره .

- خليفة (ربيع حامد) البلاطات الخزفية فى عمائر القاهرة العثمانية . رسالة ماجستير مخطوط بجامعة القاهرة ١٩٧٧م .

- فنون القاهرة فى العهد العثمانى . القاهرة ١٩٨٤ .

- العناصر المعمارية ودورها فى مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية مجلة كلية الآثار - العدد السادس ١٩٩٥ .

– زكى (عبد الرحمن) قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة . القاهرة ١٩٦٠م .

– سليمان (أحمد السعيد) تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل . القاهرة ١٩٧٩ .

– شقير (نعوم) تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ١٩٨٥م .

– غبان (على إبراهيم) النقوش العثمانية الباقية على عمائر طريقى الحج الشامى والمصرى فى شمال غرب المملكة العربية السعودية . المؤتمر الثانى لمدونة الآثار العثمانية فى العالم زغوان . تونس ١٩٩٨م.

– عبد اللطيف (ليلى) دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام ابان العصر العثمانى القاهرة ١٩٨٠م .

– فتوح (سليمان يحيى الدين) سيناء بوابة مصر الشرقية ، المكان والتاريخ منذ الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧م وحتى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ . الجزء الأول ١٩٩٤م .

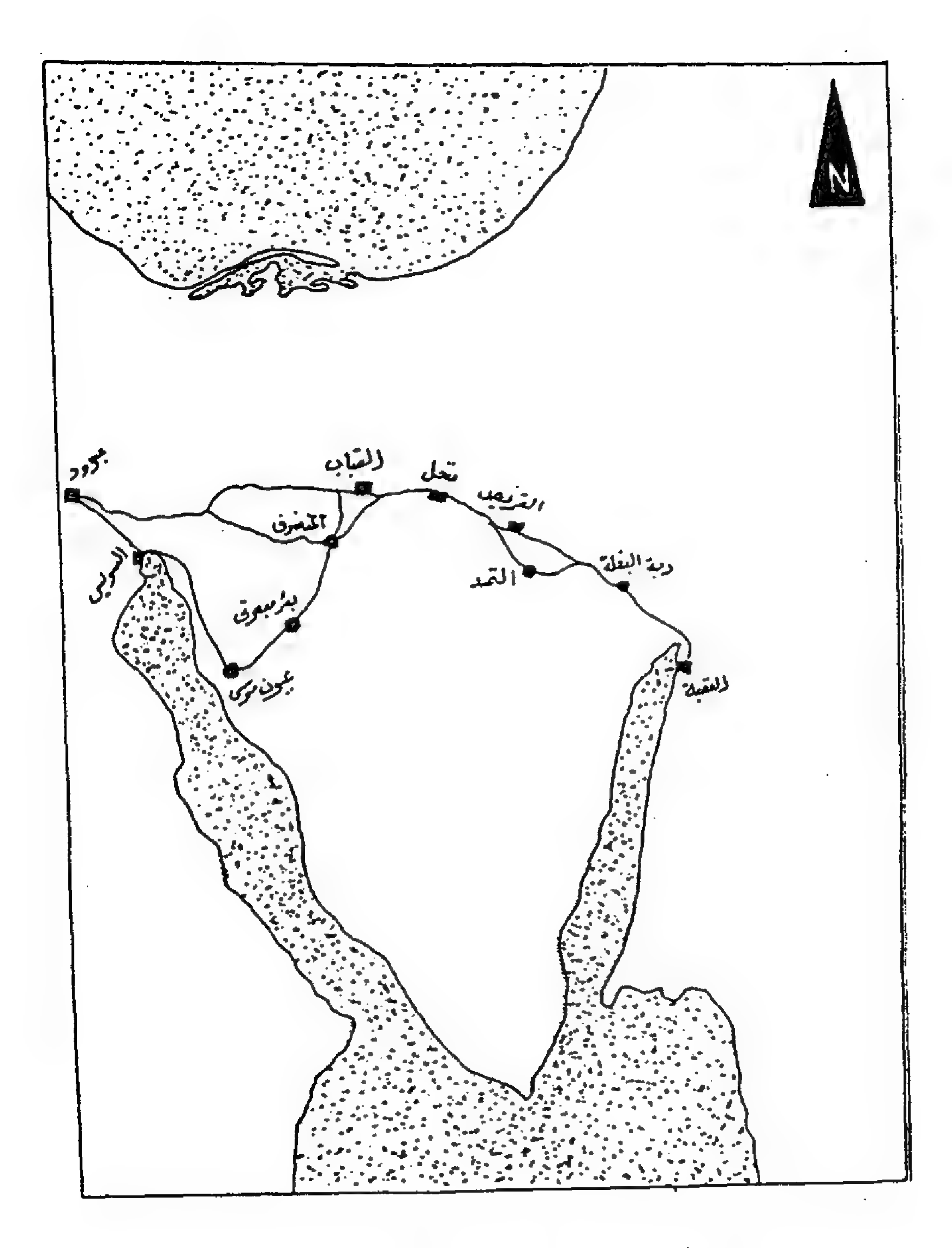
– متولى (أحمد فؤاد) الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له . القاهرة ١٩٧٦م .

– مرسى (جمال محمود) درب الحج المصرى فى العصر العثمانى . رسالة دكتوراه مخطوط بجامعة القاهرة .

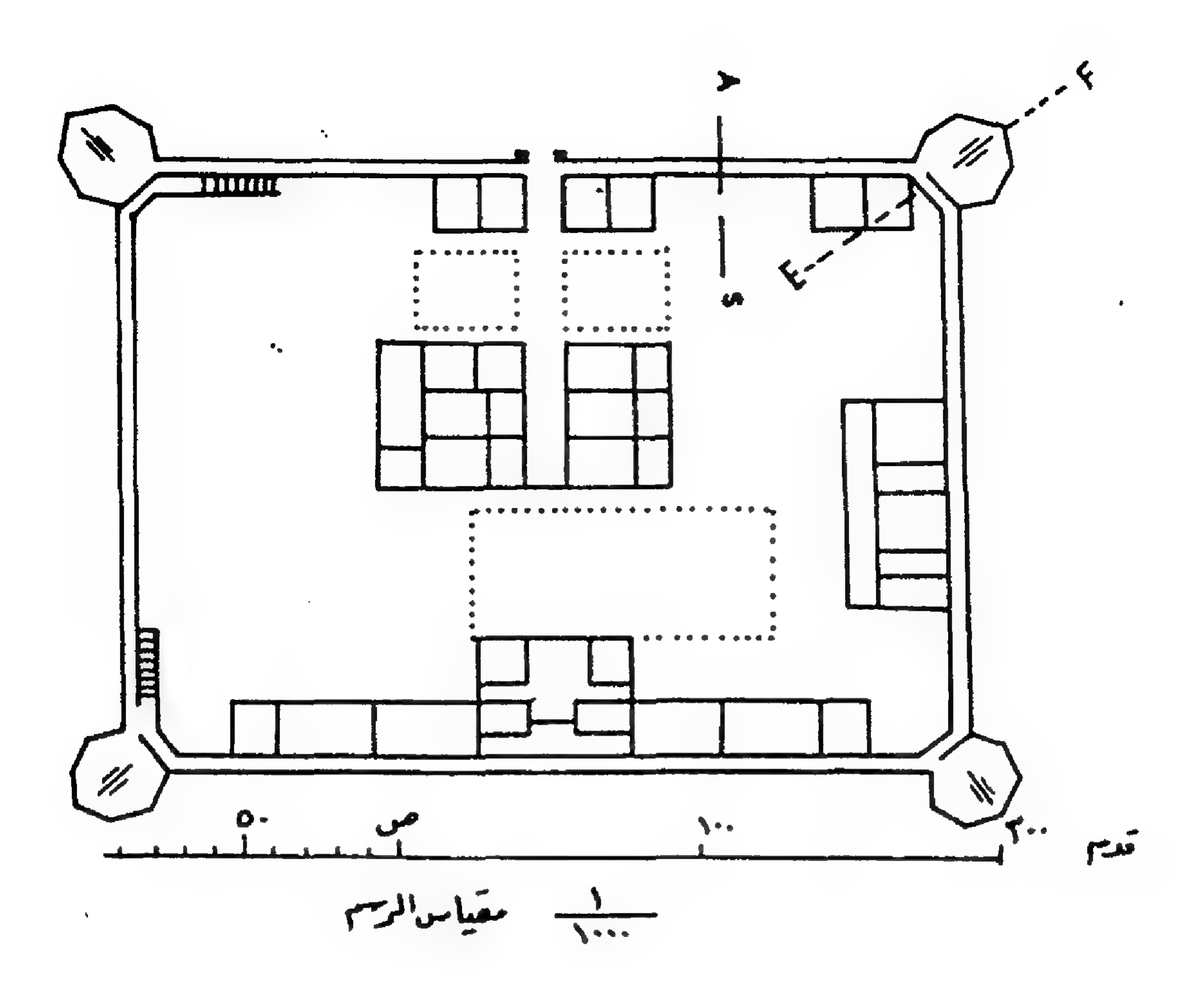
– يوسف (عراقى) الأوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . رسالة ماجستير مخطوط بجامعة عين شمس ١٩٧٨م .

ثانياً - المراجع الأجنبية :

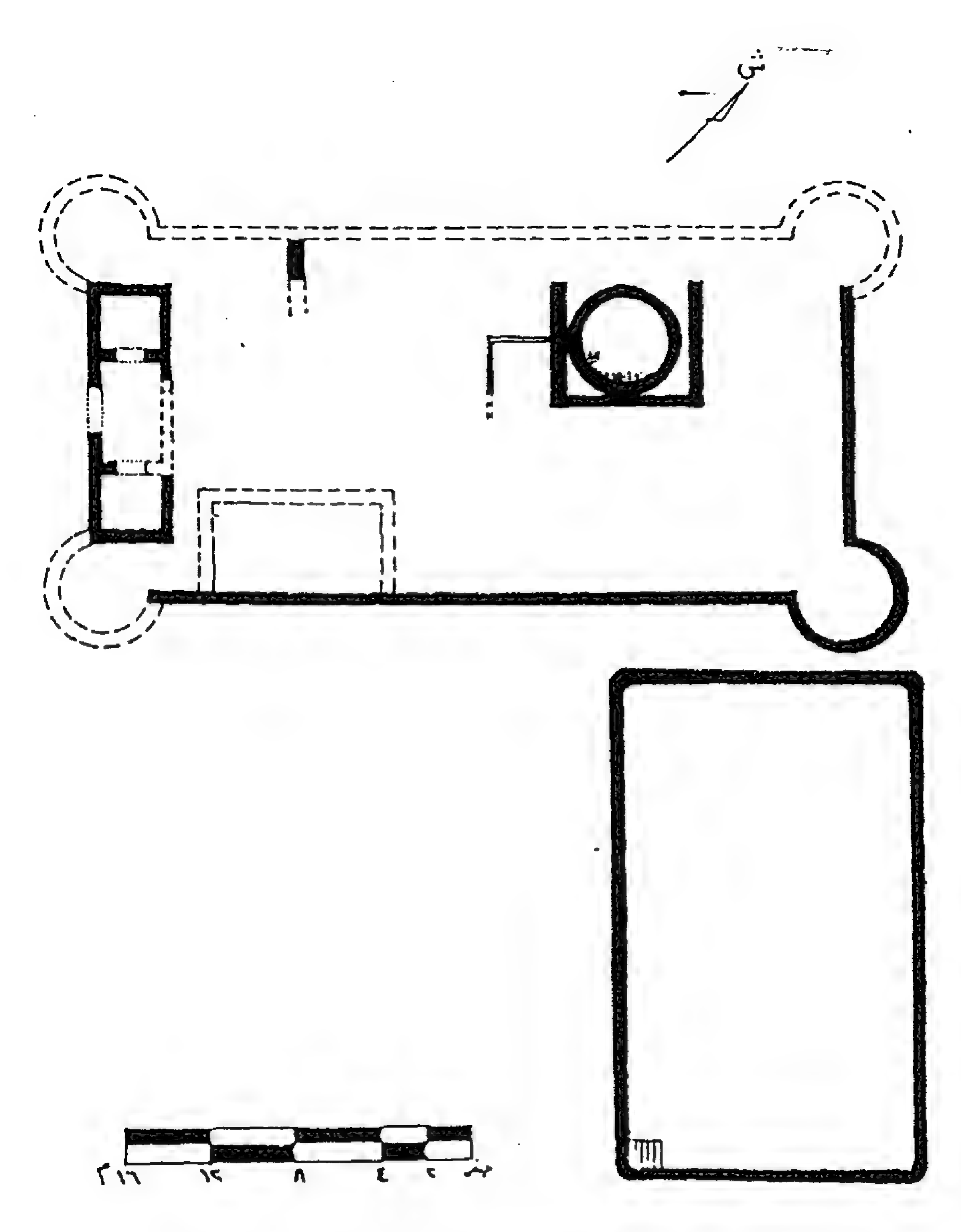
- Al - Ush (M .A.) Catalogue Du Musee National De Damas, Damas 1969.
- Kamil (J.) The Monastery of Saint Catherine in Sinai Cairo 1992.
- Kürk man (G.) Ottoman Silver Marks, Istanbul 1996.
- Schwarz (K.) Osmanische Sultansurkuden des Sinai - Klosters in Turkischer Sprache. 1970.



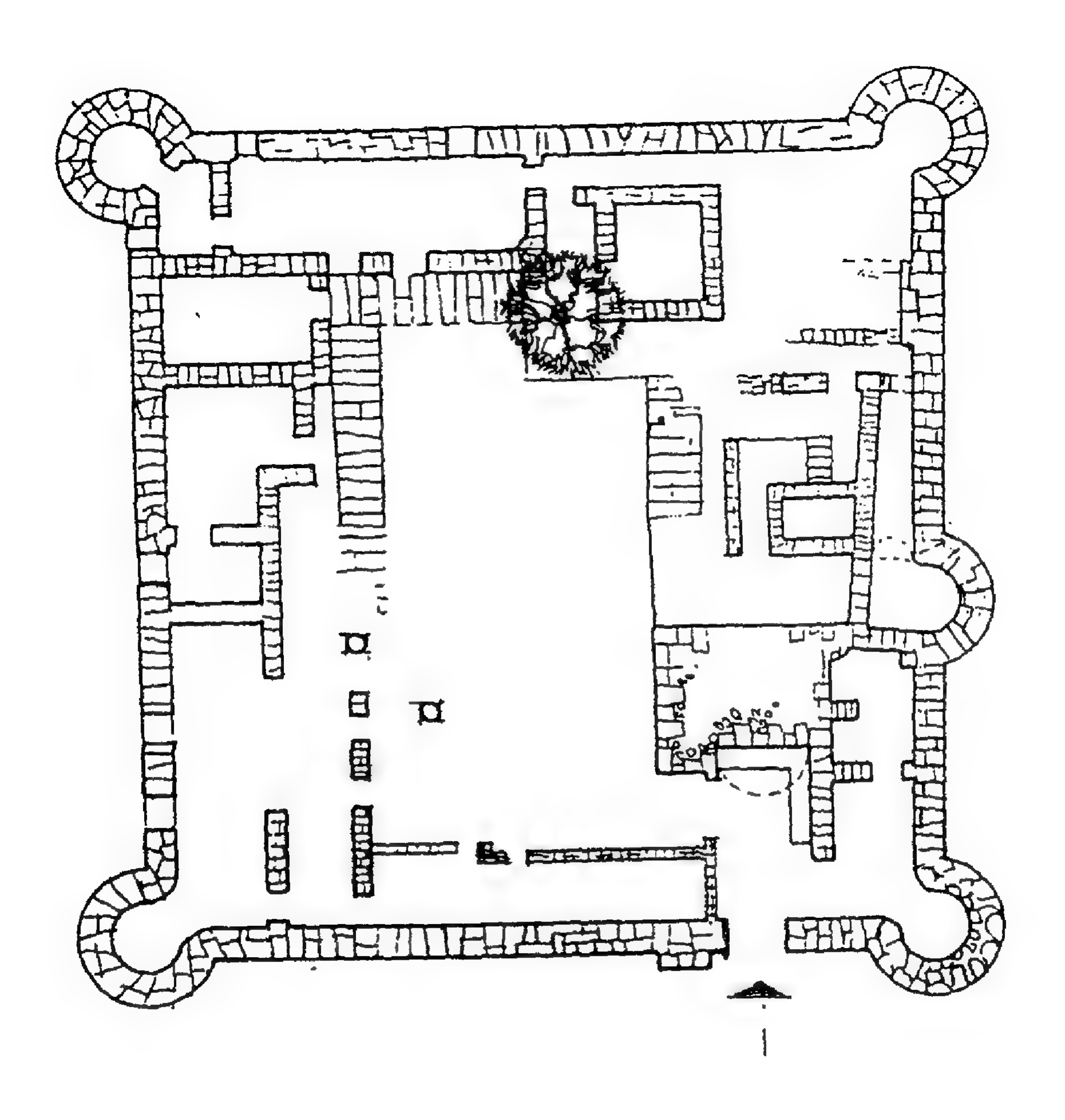
شكل رقم (١) خريطة موقع عليها درب الحج المصرى بوسط سيناء



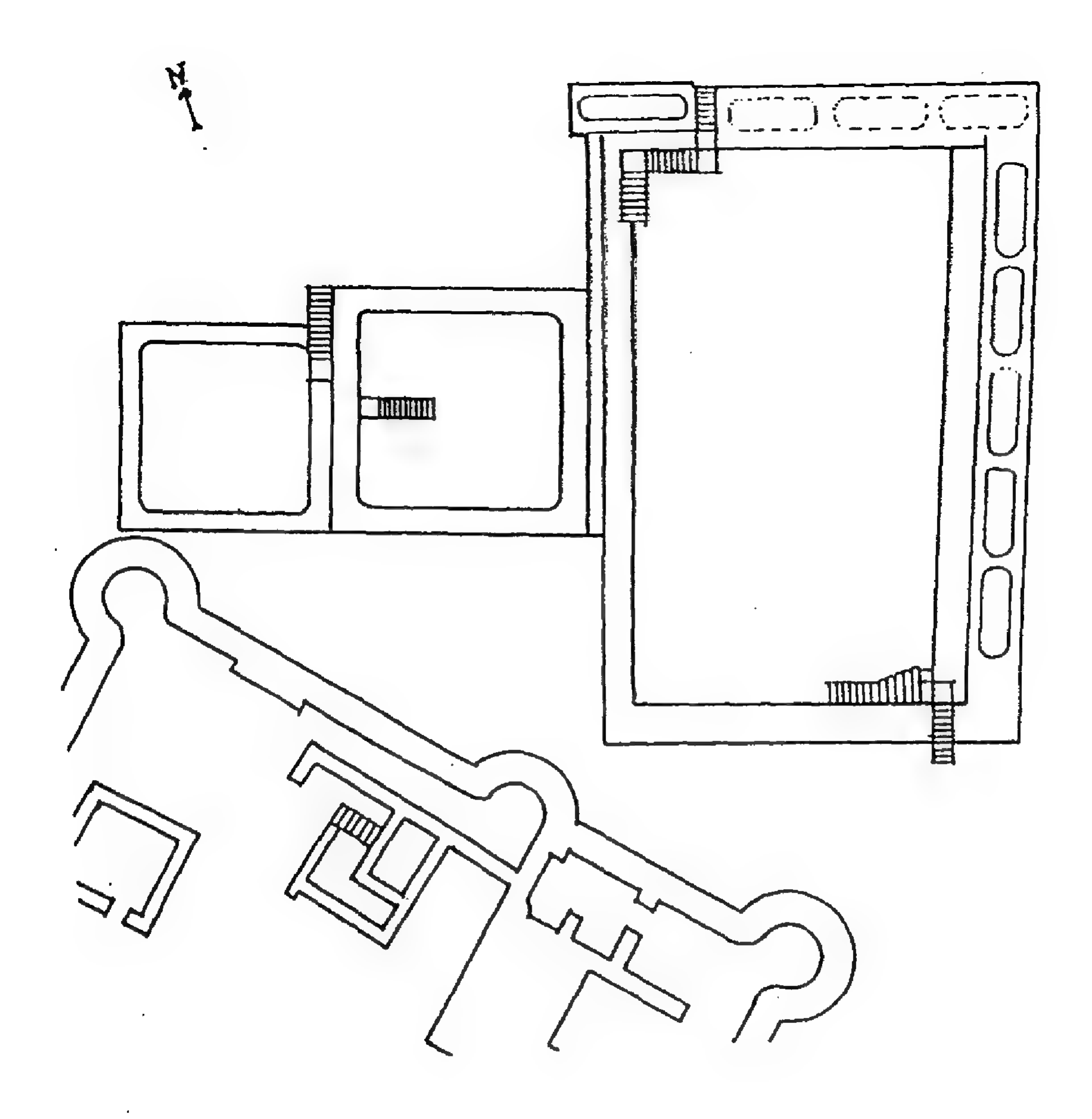
شكل رقم (٢) يوضح مخطط قلعة العريش عن عبد الرحمن زكى



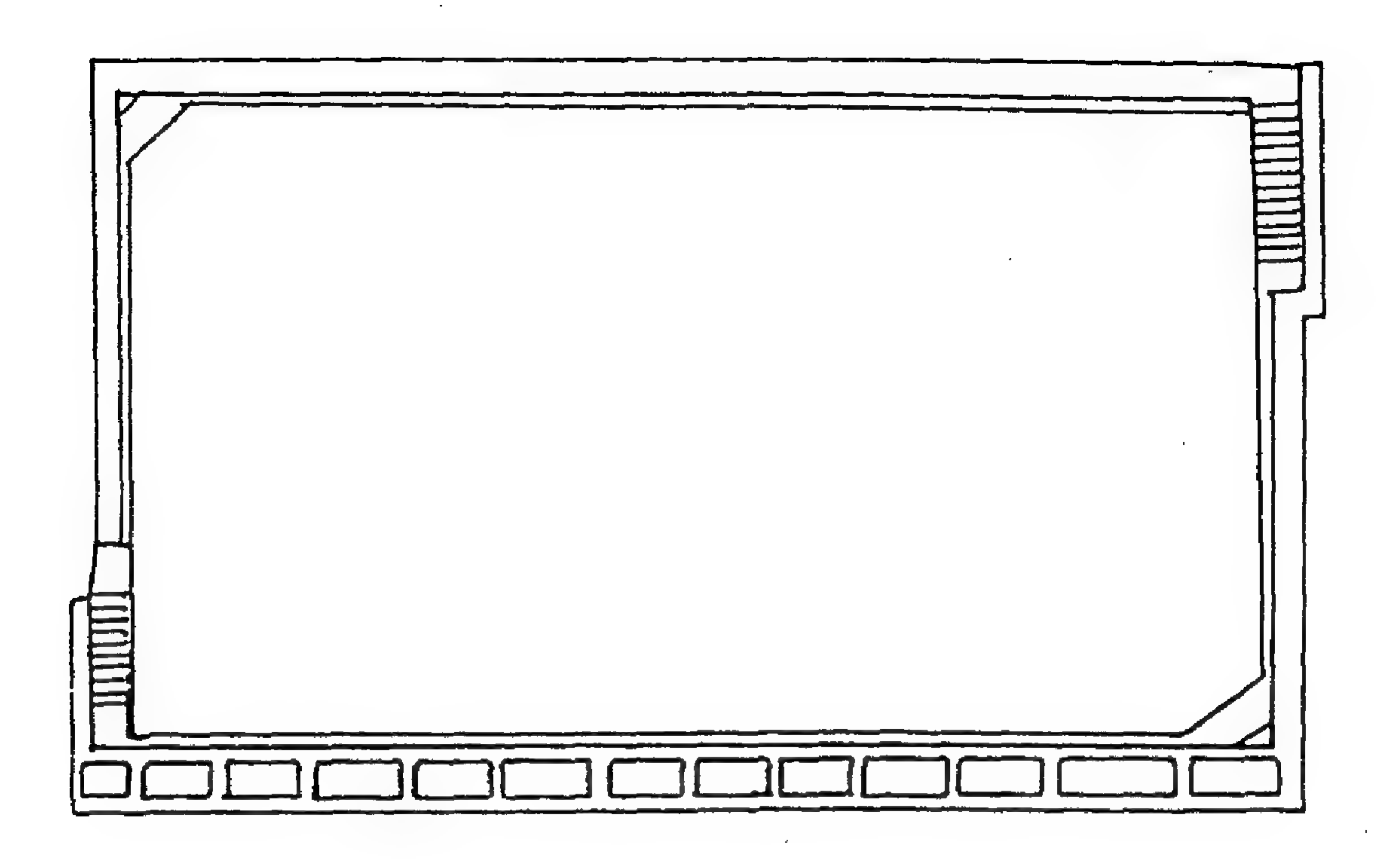
شكل رقم (٣) يوضح مخطط قلعة عجرود والبركة عن جمال مرسى



شكل رقم (٤) يوضح مخطط قلعة نخل عن المجلس الأعلى للآثار



شكل رقم (٥) يوضح مخطط برك مياه قلعة نخل عن المجلس الأعلى للآثار

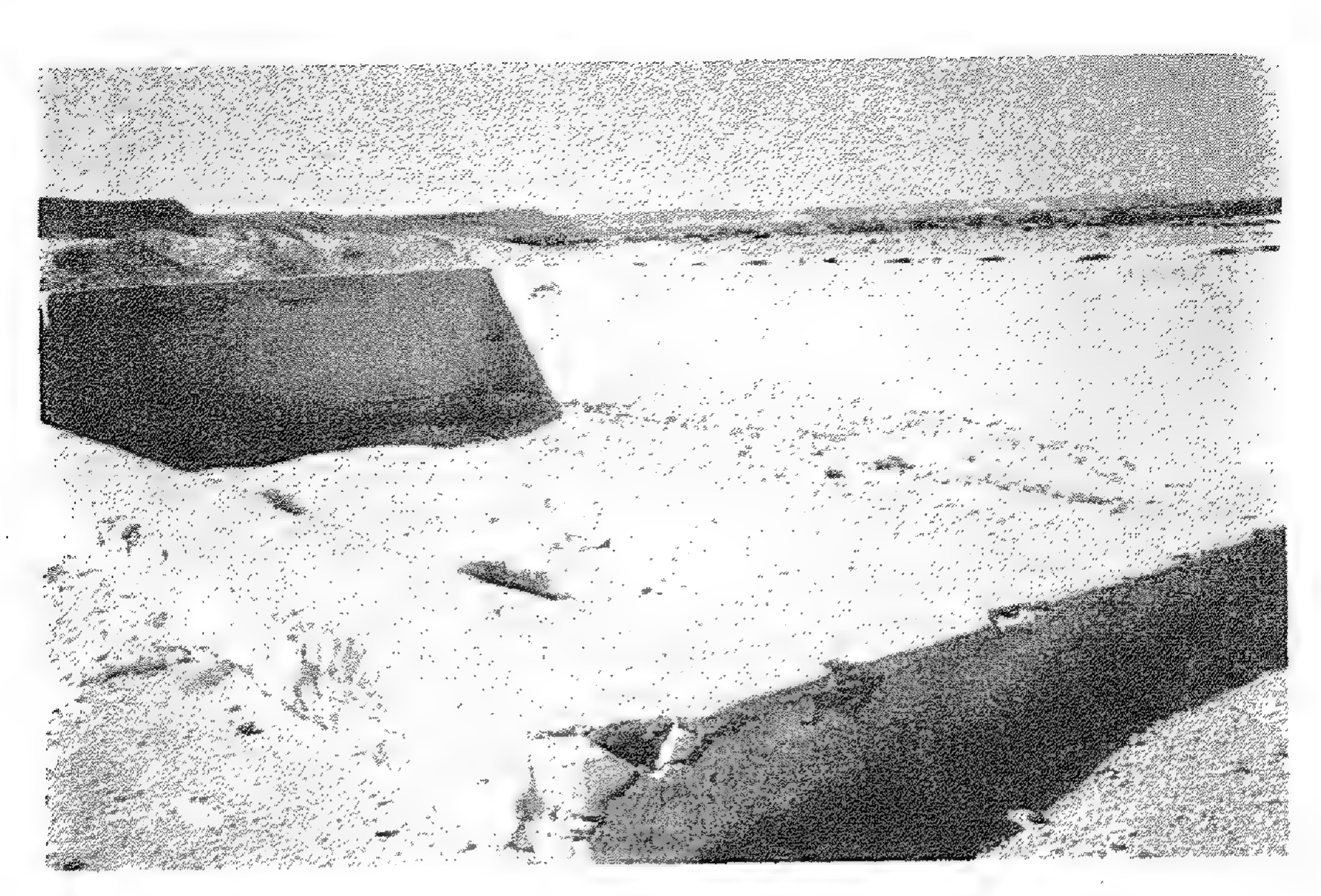


شكل رقم (٦) يوضح مخطط بركة المياه الكبيرة (الشمالية)
(منطقة القريص - بير محمد)

لوحة رقم (١) رنك كتابى باسم السلطان مراد الثالث
يتضمن تاريخ تجديد قلعة نخل



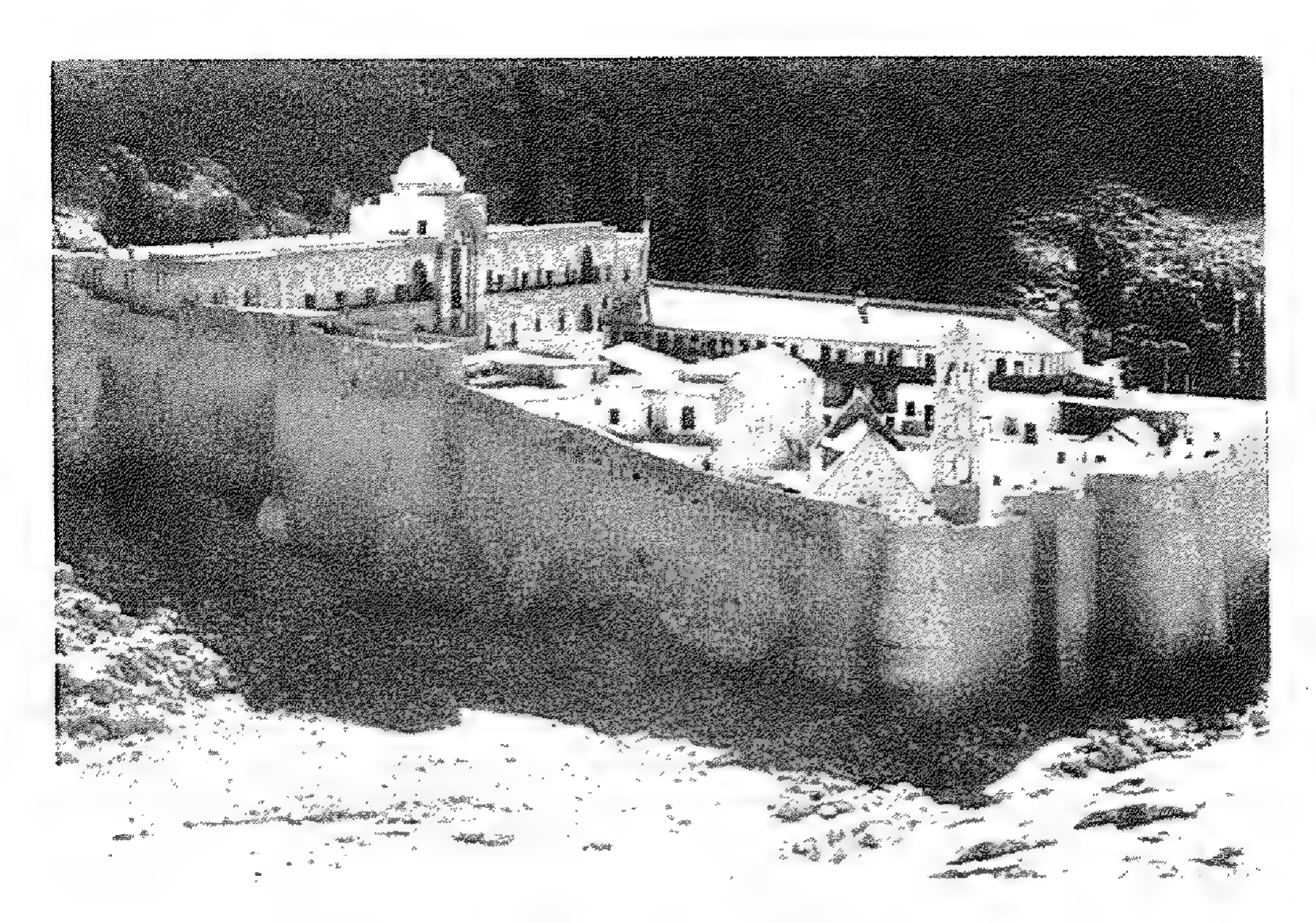
لوحة رقم (٢) صورة فوتوغرافية لقلعة نخل فى مطلع القرن العشرين



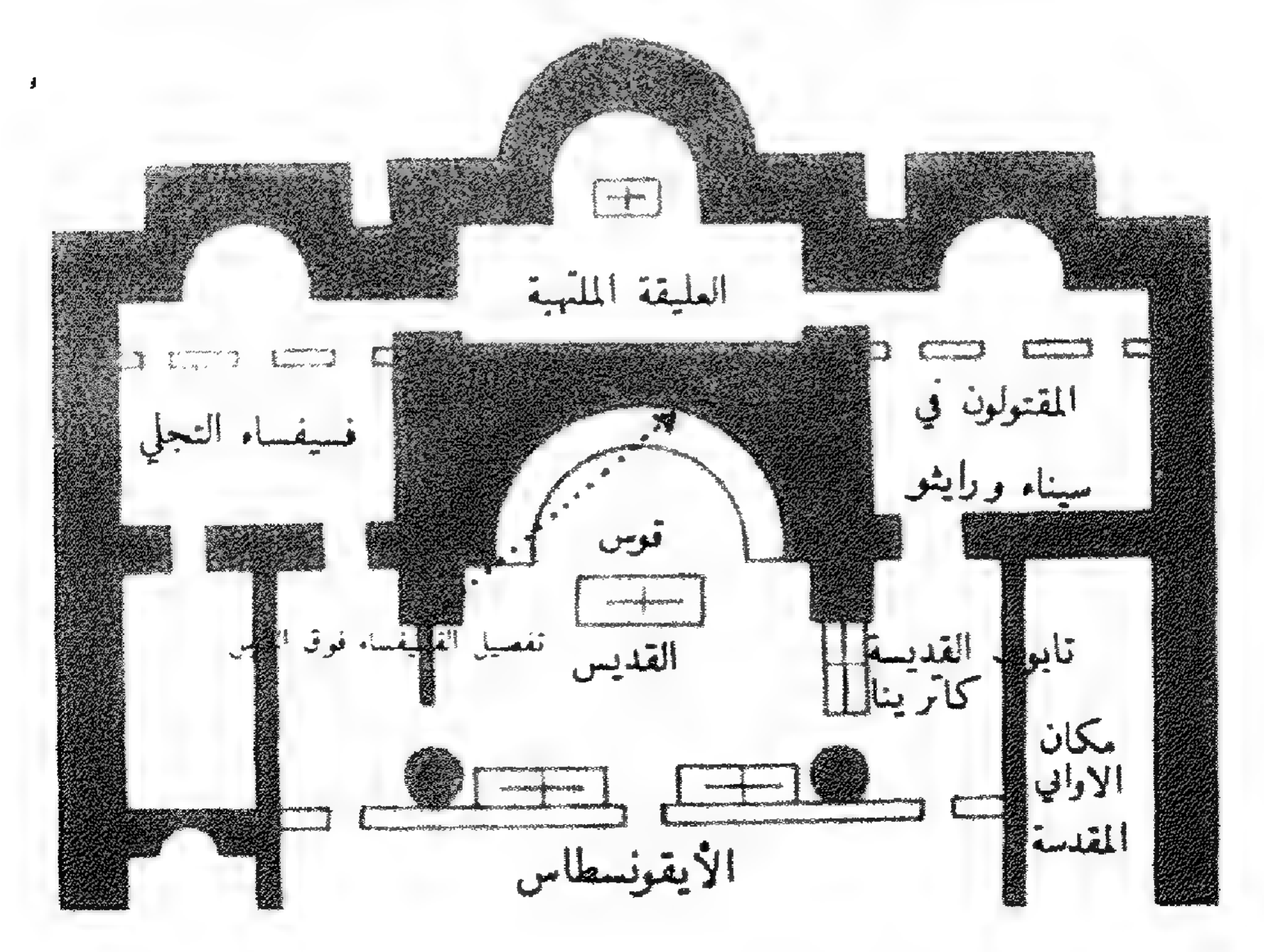
لوحة رقم (٣) بركة المياه الشمالية بمنطقة القريص



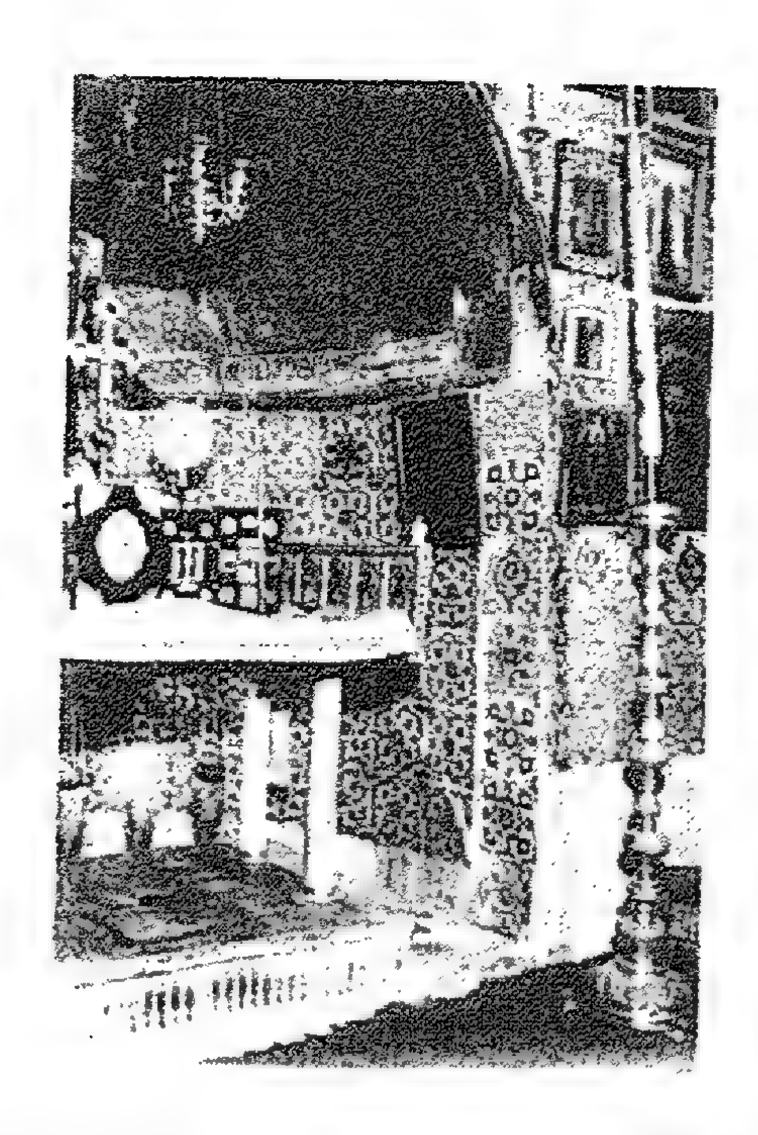
لوحة رقم (٤) تفصيل من اللوحة السابقة



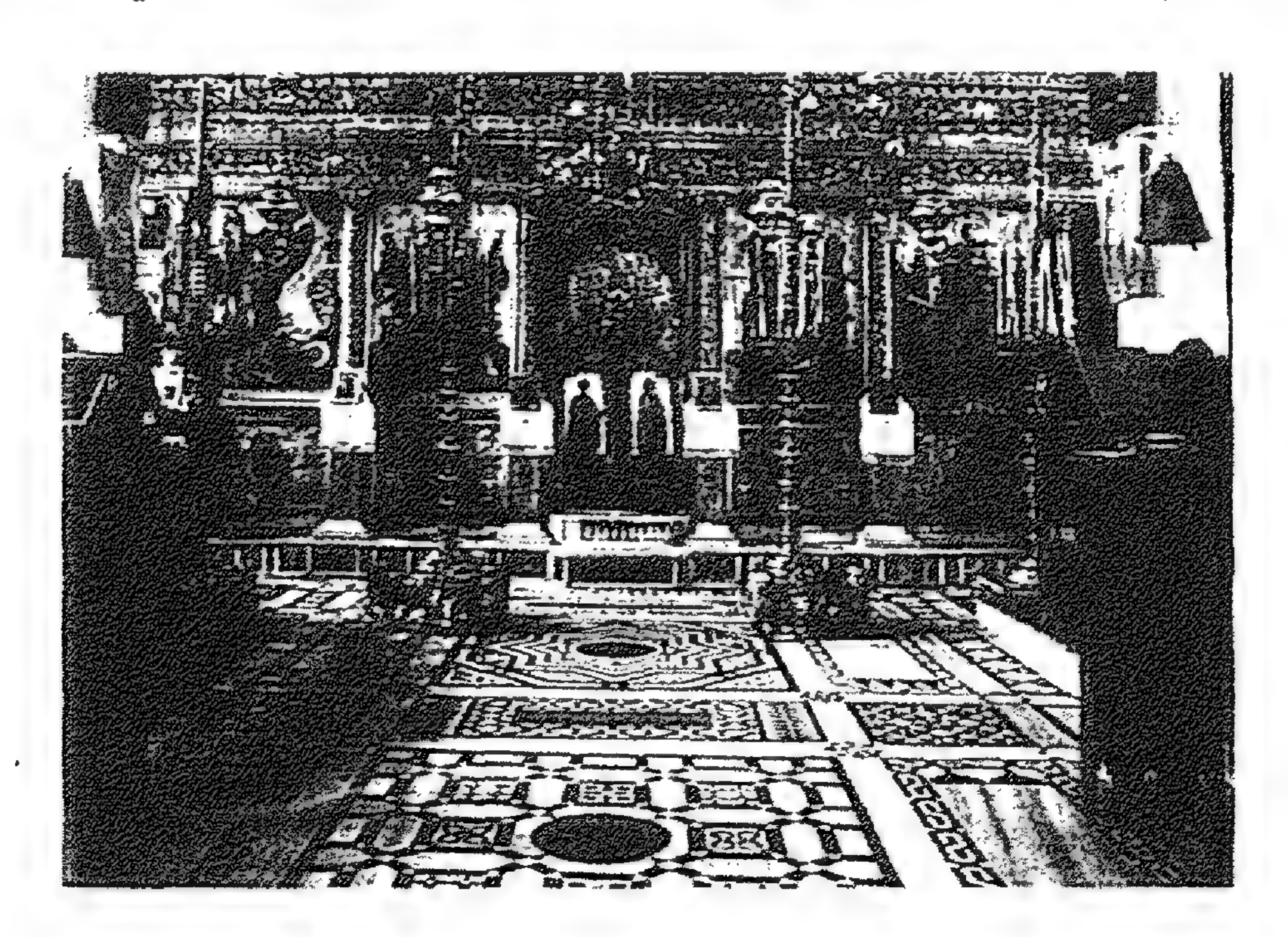
لوحة رقم (٥) الأسوار المحيطة بدير سانت كاترين



لوحة رقم (٦) كنيسة العليقة المقدسة



لوحة رقم (٧) جدران هيكل العليقه المقدسة المكسوة بالبلاطات الخزفية العثمانية



لوحة رقم (٨) الأرضية الرخامية بالكنيسة الرئيسية

مشروع توثيق المواقع الأثرية
باستخدام التكنولوچيا الحديثة

د. فتحى صالح
مدير مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى

مقدمة

يعد التراث الحضارى وخاصة الأثرى من أعظم ما تمتلكه مصر وتتميز به على الأقطار الأخرى من العالم لذا كان من الأهمية بمكان أن تهتم الدولة بصفة عامة والقائمون على التراث بصفة خاصة بإقامة مشروع حصر وتوثيق المواقع الأثرية المنتشرة فى أنحاء الجمهورية باستخدام أحدث ما وصلت إليه التكنولوچيا فيما يعرف «بمشروع الخريطة الأثرية لمصر باستخدام نظم المعلومات الجغرافية» .

ويجرى تنفيذ هذا المشروع بالتعاون بين الجهات المختلفة التى بها جانبا من معرفة تكنولوجية وأثرية ، حيث يشارك فيه مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى التابع لوزارة الاتصالات والمعلومات وذلك لتوفير الإمكانيات التكنولوچية والعلمية فى مجال أنظمة المعلومات الجغرافية والأوساط المتعددة والنمذجة المجسمة بالاشتراك مع وزارة الثقافة

متمثلة فى المجلس الأعلى للآثار حيث يشارك فى العمل جميع مناطق وتفاتيش الآثار بأنحاء الجمهورية كما يشارك من ناحية أخرى مجموعة من الأثريين الأكاديميين بقيادة الأستاذ الدكتورة/ فايزة هيكل أستاذ علم المصريات بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

لماذا الخريطة الأثرية ؟

ويعد تنفيذ هذا المشروع واجبًا قوميًا ، إذ يساهم فى الاستراتيچية العامة للدولة للحفاظ على التراث الأثرى ، وذلك بتقديم حصر كامل للمواقع الأثرية يسهل معها إدارة هذا التراث بطريقة فعالة .

فعن طريق هذا الحصر ونظام المعلومات الناشىء عنه ، يمكن تصنيف هذه المواقع بطرق مختلفة سواء تصنيفًا جغرافيًا (فى أى منطقة) أو إداريًا (حسب كل محافظة ومركز أو منطقة أثرية وتفتيش) أو أثريًا (طبقًا للعصر أو نوع الأثر) . وكذلك فإن هذا النظام يسهل متابعة صيانة هذه الآثار ومتابعة مختلف البعثات الأثرية المصرية والأجنبية التى تعمل بمختلف المناطق . وكذلك يساهم فى اختيار المواقع المرشحة للوضع فى السجل العالمى الخاص باليونسكو والمعروف «بقائمة التراث العالمى» .

ماهى التكنولوچيا المستخدمة فى تنفيذ المشروع ؟

ظهر استخدام الحاسب الآلى فى الخمسينيات من القرن الماضى . إن لم يصبح استخدامه شائعًا إلا بظهور الحاسبات الشخصية فى

أوائل الثمانينات . ومنذ هذه اللحظة أصبح التطور فى هذا المجال سريعًا جدًا سواء من ناحية قوة تخزين هذه الحاسبات أو من حيث سرعة معالجتها للبيانات حتى إنها تتضاعف مرة كل عام (وهذا يعنى أن تصل قوة التخزين إلى أكثر من ١٠٠٠ مرة فى ١٠ سنوات ومليون مرة فى ٢٠ سنة) . وكان لهذا التطور الهائل ، أن أصبح فى إمكان الحاسبات الانتقال من معالجة النصوص فقط إلى التعامل مع الصوت والصورة وذلك نظرًا لاحتياج هذه الوسائط إلى قوة وسرعة تخزينية عالية . فلذا كان ظهور جيل جديد من الحاسبات فى أوائل التسعينات يتعامل مع **هذه الوسائط المتعددة** Multimedia من صوت وصورة وفيديو . وعلى ذلك أصبح من الممكن تسجيل المعلومات الأثرية باستخدام هذه الوسائط المختلفة . ومن هنا بدأ تنفيذ مشروع تسجيل مقتنيات المتحف المصرى فى عام ١٩٩٢ . ثم ظهر بعد ذلك فى منتصف التسعينات ، **برامج أنظمة المعلومات الجغرافية** Geographical Information Systems (GIS) وبها أمكن وضع الخرائط المساحية بمقاييس الرسم المختلفة بشكل رقمى على الحاسب الآلى وكذلك ربط المواقع المختلفة على هذه الخرائط بقواعد المعلومات الخاصة بهذه المواقع . وكان الذى زاد من فاعلية هذا النظام الرقمى لتوثيق الخرائط ظهور وسائل قياس المواقع عن طريق أجهزة صغيرة (فى حجم التليفون المحمول) على اتصال بالأقمار الصناعية مباشرة بحيث يمكن بها قياس الموقع الذى به الجهاز (خطوط الطول والعرض) بدقة تصل إلى ١٠ أمتار للأجهزة العادية ، وإلى سنتيمتر واحد للأجهزة المختصصة ، وتسمى هذه الأجهزة Global Positioning Systems (GPS) أو أنظمة قياس إحداثيات المواقع العالمى .

وبتجميع كل هذه العناصر التكنولوچية مجتمعة ، أمكن التفكير فى تحقيق حلم الآثار والأثريين فى إنشاء خريطة الكترونية على الحاسبات يوقع عليها بدقة جميع المواقع الأثرية بمصر مصحوبة بمعلومات كاملة عن كل أثر .

كما يجرى فى أثناء تنفيذ المشروع الاستعانة بتكنولوچيا حديثة أخرى تستخدم وتوظف لتمثيل الآثار بصورة مرئية واضحة للمتعاملين مع النظام .

وعلى سبيل المثال فقد استخدم التصوير الفوتوجرامترى للحصول على صور دقيقة هندسيًا لواجهات المبانى الأثرية وحوائطها الداخلية وكذلك كان استخدام النمذجة المجسمة **(3-D modeling)** فى تمثيل المبانى مجسمة يسهل معها تخيل المبنى .

وأخيرًا استخدمت أنظمة الحقيقة التخيلية **(Virtual Reality)** للتمكين من التجوال داخل نماذج هذه المبانى على شاشة الحاسب بحيث يتاح الاتجاه إلى أى حائط بها ومشاهدة محتوياته .

وتعد هذه الخريطة من أعظم المنجزات العلمية فى مجال الآثار فى العالم ، إذ لم يكن يتأتى لأى بلد أن تمتلك هذا الكم من الآثار والتراث الممتد فى أطراف الجمهورية من وديان وصحارى وجبال بل وبحار .

ويزيد من تميز هذا المشروع أنه مصرى تمامًا ، حيث تتولاه جماعة من المتخصصين المصريين فى مجال التكنولوچيا بالاشتراك مع فرق عمل من علماء الآثار ومفتشى الآثار المنتشرين فى أنحاء الجمهورية ،

ومما يزيد من قدر هذا المشروع تسارع الهيئات العلمية والبعثات الأثرية الأجنبية بالالتفاف حوله والاشتراك بما لديهم من معلومات قيمة فيه .

المستويات الثلاثة للمعلومات فى الخريطة الأثرية :

قسمت المعلومات عند معالجة البيانات بهذا المشروع إلى ثلاثة مستويات :

• المستوى الأول - المستوى القومى :

ويتم فى هذا المستوى تمثيل المواقع الأثرية فى أنحاء الجمهورية على خريطة إلكترونية واحدة بحيث يظهر كل موقع أثرى على شكل نقطة . والمقصود بالموقع الأثرى هنا منطقة أثرية متصلة . وعلى ذلك فهضبة الجيزة بأكملها تظهر نقطة على هذه الخريطة وكذلك منطقة سقارة ووادى الملوك ... إلخ ، ويكون مصحوباً بهذه النقطة للموقع على الخريطة مجموعة من البيانات الأساسية عن الموقع تبين أسماء الموقع على مر العصور ، والحقبة الرئيسية الممثلة فى هذا الموقع ، ونوع الآثار الموجودة بالموقع ، وكذلك مجموعات من الصور والتفاصيل المختلفة لهذا الموقع وعلى ذلك يمكن أن نتخيل أننا نبحث عن المواقع الأثرية التى تنتمى إلى العصر الانتقالى الأول وعلى شكل معابد ، فتظهر عشرات المواقع على الخريطة ثم تستعرض معلومات المواقع وصورها واحداً تلو الآخر .

كما يمكن أيضاً إجراء الاختبار عن طريق الخريطة سواء باختيار موقع أثر بعينه على الخريطة أو باختيار مجموعة من المواقع الأثرية

المتجاورة ثم تستعرض بياناتها من معلومات وصور على التوالى موقعًا موقعًا .

• المستوى الثانى - مستوى الموقع :

وبهذا المستوى يختار موقع معين (وليكن هضبة الجيزة مثلاً) ذلك الذى كان ممثلاً فى المستوى الأول بنقطة ، ثم نطلب ما على المستوى الثانى من معلومات فتظهر خريطة تفصيلية (عادة فى شكل صورة جوية أو صورة من الأقمار الصناعية) لهضبة الجيزة مبين عليها جميع الأهرامات والمعابد والمقابر (وهى بالمئات) وبالتالى تربط الوحدات الأثرية بهذه الخريطة التفصيلية بقاعدة بيانات تفصيلية عن كل وحدة أثرية . وعلى ذلك يمكن البحث عن طريق قاعدة البيانات سواء عن طريق اسم صاحب الأثر أو العصر الذى ينتمى إليه أو نوع الأثر ... إلخ .

أو يكون البحث عن طريق الخريطة نفسها باختيار أحد الوحدات الأثرية على الخريطة فتظهر جميع البيانات الخاصة بهذه الوحدة .

وتشتمل هذه البيانات عادة على اسم صاحب الأثر وألقابه المختلفة والعصر الذى عاش فيه من دولة وأسرة وملك ، وكذلك نوع الأثر ، وذلك بالإضافة إلى المراجع العلمية التى ذكرت هذا الأثر ، والبعثات الأثرية التى عملت فيه ، ومع نبذة عن حالته الترميمية . بالإضافة إلى بعض صور له .

• المستوى الثالث – مستوى الوحدة الأثرية :

عند الوصول إلى إحدى الوحدات الأثرية سواء عن طريق الخريطة أو عن طريق قاعدة البيانات ، يمكن كذلك طلب الحصول على معلومات تفصيلية عن هذه الوحدة الأثرية ، فيظهر لها على الفور مسقط أفقى مبين به الحجرات ومكوناته المعمارية . وفى هذه الحالة يمكن التركيز على إحدى الحجرات أو المكونات المعمارية ثم يطلب إيضاح ما على أحد الحوائط من تفاصيل فتظهر الرسوم والنصوص ، ويمكن تكبير أى جزء من هذه التفاصيل فيظهر وحده ويملأ الشاشة ، ثم يكون بعد ذلك (إذا كان ثم نصوص) التركيز على نص فتظهر له ترجمة كاملة . وبذلك تتجلى المناظر على الحوائط أكثر توضيحيًا لمحتوى النص وعلاقة كل منهما بالآخر .

ثم يمكن فى النهاية أداء زيارة تخيلية للموقع باستخدام وسائل الحاسب المتقدمة ، والتجوال من حجرة إلى أخرى ، بل ومن حائط إلى آخر ، بل ومن تفاصيل بالحائط إلى أخرى .

الجهات المشاركة فى هذا المشروع :

أولاً – الجهات الحكومية :

بالطبع فإن أول الجهات المستفيدة من هذا المشروع هى المجلس الأعلى للآثار حيث ينجز حصر كامل للمواقع الأثرية كافة مما يسهل بعد ذلك وضع سياسة عامة لإدارتها ، يسهل إنتاج إطالس للمواقع الأثرية

فى كل محافظة حيث يبدأ الأطلس بخريطة عامة للمحافظة موقع عليها المواقع الأثرية بها ، فضلاً عن قائمة رسمية لها .

ثم تظهر على التوالى الخرائط التفصيلية لكل مركز بالمحافظة وما به من مواقع مصحوبة بقائمة لها ، ثم مجموعة ثالثة من خرائط تفصيلية لكل تفتيش وما يتبعه من مواقع وقائمة رسمية ، وأخيراً مجموعة من خرائط توضح ملكية المواقع الأثرية هل هى مملوكة لهيئة الآثار ؟ أم خاضعة لقانون الآثار ؟ أم مرشحة للخضوع لقانون الآثار أو خلاف ذلك .

وهذا الحصر يتيح للمجلس الأعلى للآثار حسن إدارة هذه المواقع والتخطيط لحمايتها ولصيانتها ومراقبة أعمال الكشف والتنقيب بها .

أما الجهات الحكومية الأخرى التى قد تستفيد من هذا المشروع فوزارة السياحة والهيئات التابعة لها والمتعاملة معها . وكذلك هيئة التخطيط العمرانى فى إطار التنمية العمرانية ، من أجل الأخذ فى الحسبان تلك المواقع الأثرية عند وضع المخططات العمرانية للتنمية الحضرية بالوطن .

ثانياً - البعثات الأثرية والباحثون فى مجال الآثار :

هناك بعثات أثرية تنتمى إلى عشرات من الدول الأجنبية تعمل فى التنقيب عن الآثار فى مصر وكذلك هناك مراكز دائمة لبعض هذه الدول تقوم وتعمل على إقامة العلاقات الثقافية ووضع سياسة التنقيب والنشر العلمى لبعثاتها الأثرية فضلاً عن جمهور من الباحثين فى علم المصريات. كل هذه العناصر من المجتمع العلمى يهمهم بالدرجة الأولى

مـثل هذا المشـروع الذى يربط بين أعـمـالهم ويوفـر لهم الإجـابة على تساؤلاتـهم العلمية . هذا وقد تم بالفعل فى هذا المجال إجراء العديد من الاتفاقيات مع بعض الهيئات الأجنبية للتعاون فى هذا المشروع منها على سبيل المثال لا الحصر :

- اتفاقية مع معهد College de France بباريس لإنشاء قاعدة بيانات أعمال البعثات الأجنبية .

- اتفاق سوف ينعقد مع متحف بوسطن للحصول على ما عندهم من معلومات ووثائق عن أعمال التنقيب التى قام بها العالم (رايزنر) فى هضبة الأهرام .

ثالثـاً - الجمهور العريض من المثقفين :

يعد هذا المشروع وسيلة شاملة للتعريف بالتراث المصرى ، ولذا فهو يخاطب إلى جانب المسؤولين والمتخصصين ، الجمهور العادى الذى يرغب فى التعرف على جوانب من هذا التراث الضخم . ولذا فإن المشروع ، سوف يقوم خلال مراحله بنشر المعلومات التى تخص الجمهور عن طريق مختلف وسائل النشر كشبكة الإنترنت أو الاسطوانات الضوئية (CD- ROM) أو المطبوعات .

وأخيراً فإن هذا المشروع القومى الضخم يعد إنجازاً علمياً وإدارياً هاماً كبيراً تستخدم فيه أحدث وسائل التكنولوجيا فى توثيق واحدة من أعظم وأعرق الحضارات فى العالم .

تاريخ وآثار سيناء

فى العصر الإسلامى

د. حسن الباشا

ورد اسم سيناء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ كما ورد أيضًا فى سورة التين ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ .

وفى سيناء وبالقرب منها حاربت مصر أهم معاركها فى التاريخ من موقعة مجدو وقادش وحطين وعين جالوت ومرج دابق إلى معركة خط بارليف فى رمضان سنة ١٣٩٣هـ / أكتوبر ١٩٧٣م .

ويبدأ تاريخ سيناء فى الإسلام حين قدم على النبى ﷺ أثناء غزوة تبوك يحنه بن رؤبة صاحب أيلة على رأس خليج العقبة فى سنة تسع من الهجرة يعلن موالاته للمسلمين وكتب النبى ﷺ له كتاب أمان جاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ورسوله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة أساقفهم وسائرهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ... وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقًا يديرونه من بر أو بحر ...» . ويتضح من

هذا الخطاب أنه كان لأيلة من هذا الوقت سفن وقوافل تجارية وأنهم كانوا يسهمون فى نقل المتاجر بين الشام والحجاز براً وبحراً وربما عبر سيناء أيضاً .

وليس من شك فى أنه كان لأهل مكة أيضاً صلات تجارية مع مصر وكانت قوافلهم تسير عبر سيناء غادية رائحة ، وممن كان له دور فى هذه التجارة عمرو بن العاص الذى كان على إلمام بطرق مصر وأحوالها السياسية والاجتماعية ، ووافق الخليفة عمر بن الخطاب أثناء وجوده فى القدس على أن يتقدم عمرو نحو مصر ، ولكنه بعد أن عاد إلى المدينة راجعه بعض الصحابة فرأى أن يمنع عمراً من ذلك فأرسل إليه خطاباً يأمره فيه بذلك ، ووصل الخطاب عمراً وهو على وشك عبور حدود مصر وكان الخليفة قد أوصاه من قبل بأنه إذا وصله خطابه يمنعه من دخول مصر قبل عبور حدودها فعليه أن يمتثل لذلك أما أن وصله بعد عبور حدودها فعليه أن يمضى بالفتح . وقد آثر عمرو أرجاء فض رسالة الخليفة إلى أن يدخل مصر وفعلاً لم يقرأ عمرو الرسالة إلا فى العريش وهكذا صار عمرو فى حل من المضى فى فتح مصر . وتقدم عمرو عبر سيناء نحو الدلتا معه ٤٠٠٠ فارس ، فسار على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط فى الطريق الذى سلكه من قبله إبراهيم عليه السلام وقمبيز والإسكندر وأنطيوخس الرابع (١٧٥-١٦٨ ق.م) والعائلة المقدسة (السيدة العذراء وطفلها ويوسف النجار) ، وكان هذا الطريق يعد طريقاً رئيسياً يربط بين أهم مراكز الحضارة فى العالم القديم . تقدم عمرو بجيشه فى هذا الطريق دون عوائق مهمة حتى وصل الفرما فى شهر ربيع الأول سنة ١٦ هجرية (يناير ٦٤٠م) . وبعد نحو شهر من المقاومة

استسلمت الفرما ولم يمض سوى تسع سنوات على جلاء الفرس عنها منذ احتلوها سنة ٦١٦م . وبعبور جيش عمرو سيناء شاهدت هذه الأرض أول وأهم حدث فى تاريخها الإسلامى . ولم تلبث أرض سيناء أن عبرها جيش آخر أرسل من المدينة المنورة إلى عمرو ، وكان قوامه ٦ آلاف محارب وعلى رأسه الصحابى الجليل الزبير بن العوام . ومن المفروض أن هذا الجيش القادم من المدينة قد عبر سيناء فى طريق يقع جنوبى الطريق الساحلى كان يعتبر طريق القوافل القادمة من اليمن أو الحجاز ويمتد من رأس خليج العقبة إلى رأس خليج السويس . ولم تلبث أرض سيناء أن شاهدت في سنة ٢٢هـ /٦٤٢م رسول عمرو بن العاص فى طريقه إلى الخليفة عمر بن الخطاب فى المدينة يحمل بشراه بإتمام فتح مصر . وقد رحب به الخليفة فأوله خبزًا ويلحًا وصلى صلاة شكر فى مسجد الرسول ﷺ . لم تلبث سيناء أن عبرها فى ٣٦هـ إبريل سنة ٦٥٦م من الغرب إلى الشرق ٥٠٠ ثائر عربى متوجهين من مصر إلى المدينة المنورة حيث اشتركوا فى الثورة على عثمان (رضي الله عنه) .

وفى سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م) عبر أرض سيناء جيش عباسى بقيادة صالح بن على يطارد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين حيث هرب إلى مصر وقضى نحبه فى أبو صير الملق بالقرب من الفيوم ، ومن ثم استقر الحكم لبنى العباس الذين تولوا الخلافة أكثر من خمسة قرون .

ولم تلبث مصر أن تأسست بها أسرة محلية هى الأسرة الطولونية حظيت مصر فى عهدها برخاء ونفوذ كما ضمت الشام إلى مصر وبذلك صارت سيناء رابطة اتصال بين القطرين . وفى عهد خمارويه ثانى ولاة

هذه الأسرة عبرت سيناء قافلة تحمل قطر الندى ابنة خمارويه الذى جهزها بجهاز ذاع صيته عبر التاريخ لتزف إلى زوجها الخليفة العباسى المعتضد ، وفى سبيل توفير أقصى ما يمكن من الراحة لقطر الندى أقام خمارويه على الطريق عبر سيناء قصراً على رأس كل مرحلة أثثه بكل ما يحتاج إليه فى حال الإقامة .

ولم يكن لسيناء دور فى دخول الفاطميين مصر ذلك أن الدولة الفاطمية نشأت فى تونس ومن ثم تقدمت جيوشها نحو مصر من الغرب، ومع ذلك فقد كان لسيناء دورها الكبير فى مجريات الأمور والأحداث فى الدولة الفاطمية التى أسست القاهرة سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م لتكون عاصمة لها ، إذ عبر سيناء اتجهت الجيوش المصرية لضم الشام والحجاز واليمن إلى الخلافة الفاطمية ومن ثم أصبحت القاهرة عاصمة دولة اتسعت أرجاؤها حتى شملت مصر وتونس والشام والحجاز واليمن بالإضافة إلى بعض جزر البحر الأبيض المتوسط .

غير أن دخول الفاطميين بلاد الشام أثار حقد القرامطة (نسبة إلى حمدان قرمط) الذين كانوا يتحكمون فى بعض أجزائها ، مما حدا بهؤلاء إلى مهاجمة مصر فتقدموا نحوها بقيادة زعيمهم الحسن القرمطى الملقب بالأعصم فى ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ (سبتمبر ٩٧١م) فمروا بالرملة وعبروا سيناء وهاجموا القلزم (السويس) والفرما من جهة أخرى ، وبعد أن استسلمت مدينة تنيس تقدموا نحو القاهرة وعسكروا فى عين شمس على مشارف القاهرة وحاولوا عبور خندق كان يحول بينهم وبين دخول القاهرة ولكنهم ارتدوا على أعقابهم ، وفروا إلى القلزم

ومنها إلى خارج مصر عبر سيناء (لوحة ٥٩) مخلفين وراءهم أسراهم وقتلاهم وأمتعتهم .

ولقد كان تهديد القرامطة لمصر من أهم الأسباب التى حدت بالفاطميين إلى تحصين القاهرة عن طريق الأسوار والبوابات التى لا يزال بعضها باقيًا حتى اليوم مثل باب النصر وبوابة الفتوح وباب زويلة (بوابة المتولى) .

هذا وقد داهم الفاطميين خطر آخر جاءهم عبر سيناء من قبل السلاجقة ذلك أنه بعد أن استتب الأمر للسلاجقة فى بلاد الشام حاولوا فتح مصر فأرسل ملكشاه جيشًا بقيادة أتسز عبر سيناء سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦م) وأخذ يعيث فساداً فى أرض الدلتا ولكن لم يلبث أن رده أمير الجيوش بدر الجمالى على أعقابه وتتبعه عبر سيناء حتى بلاد الشام .

وتعرض الفاطميون عن طريق سيناء لخطر كان أشد فعالية وأعمق أثرًا من تهديد القرامطة والسلاجقة ونعنى بذلك خطر الصليبيين ، ذلك أنه منذ سقوط القدس فى يد الصليبيين فى سنة ٤٩٣ هـ (١٠٩٩م) أخذ الصليبيون يتوافدون على الشام ويؤسسون فيها الإمارات اللاتينية التى لم تقف أطماعها عند حدود الشام بل تعدت إلى أقطار أخرى كان فى مقدمتها مصر ، وقد حاول الصليبيون غزو مصر عن طريق سيناء . وفى سنة ١١٠٠م تقريبًا كان الصليبيون قد استقروا فى بيت المقدس وكثير من بلاد الشام حيث سيطروا فى بادىء الأمر على وادى عرابة فى الجنوب الشرقى إذ شيد بلدوين الأول سنة ١١١٥م حصن الشوبك واستولوا على عقبة أيلة . وفيها بنى ملك بيت المقدس لنفسه سنة ١١١٦م

قلعة حصينة على أنقاض قلعة قديمة ، وباستلاء الصليبيين على هذه الأماكن استطاعوا أن يتحكموا فى المواصلات البرية بين مصر والشام كما هددوا طريق الحج من مصر إلى الحجاز وصاروا على حدود سيناء . ولم يلبث بلدوين ملك بيت المقدس أن تقدم بجيش برى عبر سيناء على طول الطريق الشمالى معززاً من البحر ، فمر بالعريش ثم بحيرة سربونيوس التى عرفت فيما بعد باسم بحيرة بردويل (تحريف لاسمه بلدوين) ثم استولى على الفرما ثم تنيس فى سنة ١١١٨م ، غير أنه عجز عن أن يتابع سيره داخل مصر فعاد من حيث أتى ومات فى سربونيوس ومنها حمل جثمانه إلى القدس ، ومن المرجح أن عبور سيناء قد أنهك جيشه كما أضر بصحته .

ومن المحتمل أن هذه الحملة كانت أساس ما أحاط ببعض مواقع هذه البحيرة من أساطير تتصل باسم «بردويل» فهناك بحيرة البردويل ورجم البردويل وسبخ البردويل ويزعم بدو سيناء أن رجم البردويل هو قبر البردويل بن راشد ملك البلدة المجاورة المنسوبة إليه ، قتله أبو زيد الهلالى ، وتذكر الأسطورة أنه قد حدث أثناء هجرة بنى هلال من نجد أن حدثت مناوشات بينهم وبين أهل البلدة وكان أبو زيد الهلالى يصرع كل من يبارزه إلى أن تصدى له ملك البردويل وكان له طاقية إذا لبسها اختفى عن الأنظار ومن ثم عجز أبو زيد عن التغلب عليه وذلك لمدة سبعة أيام كان يحاول أبو زيد أن يخطف طاقيته دون جدوى وكان للبردويل بنت جميلة أحبت أبا زيد فغيرت طاقية أبيها وأعطته طاقية أخرى وبذلك صرعه أبو زيد وطعنه بالرمح فخر صريعاً بجانب ذلك التل فدفنوه عليه وجعلوا الرجم على قبره ، ومن ذلك اليوم لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ومن لا يفعل وجبت لعنته .

هذا وقد حاول بعض الخلفاء الفاطميين مناوأة الصليبيين ، فمثلاً كان الحافظ لدين الله يجرد كل ستة أشهر حملة عسكرية يرسلها من القاهرة إلى عسقلان عبر سيناء لمناوشة الصليبيين وظلت هذه الحملات تجتاز سيناء ذهاباً وإياباً إلى أن سقطت عسقلان في يد الصليبيين سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) .

وحدث أواخر القرن السادس الهجرى (١٢م) أن تنافس على السلطة بعض الوزراء الفاطميين واستنجدوا بنور الدين محمود صاحب دمشق من جهة وبعمورى ملك بيت المقدس من جهة أخرى ، وكان عمورى قد حاول فتح مصر قبل ذلك أربع مرات ، ثم انتهز هذه الفرصة فقام بمحاولته الخامسة فاجتاز سيناء وتوجه نحو القاهرة في سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩م) وحاول دخول القاهرة عن طريق الفسطاط ، فقام المصريون بإحراق الفسطاط حتى يعوقوا تقدم عمورى . وخوفاً من استيلاء الصليبيين على مصر أنفذ نور الدين جيشاً بقيادة شيركوه - وفيه ابن أخته صلاح الدين - تقدم نحو مصر عبر سيناء ، كما أخذ نور الدين من ناحيته يناوش مملكة عمورى فى القدس ، وإزاء ذلك تراجع عمورى إلى القدس واستقر الأمر لشيركوه ومن بعده لصلاح الدين الذى انتهت على يديه الخلافة الفاطمية وأسس فى مصر سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١م) الأسرة الأيوبية التى تصدت للصليبيين بكفاءة فائقة .

وكان صلاح الدين قد بدأ منذ سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) يهاجم الصليبيين وذلك بعد أن صد حملة لهم على دمياط ، فهاجم أولاً أيلة بسفن حمل أجزاءها على الجمال ثم ركبها بالقرب من أيلة واستولى

على أيلة وقلعتها ، وربما سلكت هذه الجمال الطريق الأوسط لأنه أقصر الطرق من السويس إلى العقبة وأقدمها وأخصبها ومن المرجح أن يكون موضع قلعة الجندى (الباشا الحالية) قرب عين سدرة هو موضع القلعة التى بناها صلاح الدين هناك . وفى أثناء وجود صلاح الدين فى أيلة قدم عليه أهله ثم سار بهم إلى القاهرة .

وفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١م) حاصر صلاح الدين حصن الشوبك ثم رجع إلى مصر . وقد عمل صلاح الدين على الاستعانة ببدو سيناء في حروبه مع الصليبيين فأقطع أمراءهم ومشايخهم القطائع فى سيناء عملاً بنصيحة نور الدين ، وكان لذلك أثره إذ صار العربان حريصين على حماية أملاكهم . كما امتنعوا عن التعرض للمتاجر والحجاج . وكون صلاح الدين من بدو سيناء جيشًا اشترك معه فى حملاته على الصليبيين وقد ذكرت بعض المراجع أنه حين خرج صلاح الدين إلى عسقلان سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧م كان معه ستة وعشرون ألف مقاتل من العرب . وأفاد صلاح الدين من عرب بنى منقذ فى إرشاده إلى وديان سيناء ومسالكها وطرقها . كما أسهم بدو سيناء فى قطع الطرق على الصليبيين ونصب الكمائن وفى الغارات الليلية عليهم .

ومع ذلك فقد كان من العربان من يهادن الصليبيين ويمالئهم طمعًا فيما كانوا يبذلونه لهم من مال ومغريات . وقد أدب صلاح الدين الأعراب المقيمين حول حصن الشوبك وحصن الكرك جنوبى البحر الميت بفلسطين لمساعدتهم للصليبيين فى هذين الحصنين . وكان لهذين الحصنين دور مهم فى تاريخ الحروب الصليبية وذلك نظراً لتحكمهما فى طريق الحج من دمشق ومصر .

وكان من المفروض أن يكون لسيناء دور فى مؤامرة ثلاثية دبرت للقضاء على صلاح الدين كان أطرافها :

أولاً : عمورى ملك بيت المقدس وكان دوره أن يقطع على صلاح الدين طريق رجوعه من أيله إلى القاهرة عن طريق سيناء.

ثانيًا : أعداء صلاح الدين فى القاهرة من بقايا الفاطميين وكان دورهم فى هذه المؤامرة أن يقوموا بثورة ضد صلاح الدين .

ثالثًا : وليم الثانى ملك صقلية وكان دوره فى المؤامرة أن يهاجم مصر بأسطول عن طريق البحر .

ولكن فشلت المؤامرة ، فمن جهة خطة عمورى أسرع صلاح الدين فى العودة قبل أن يتمكن عمورى من قطع الطريق عليه فى سيناء ، كما أحبط صلاح الدين الثورة الداخلية التى قامت بزعامة عمارة اليمنى وذلك فى رمضان سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م . أما جيش صقلية فحين وصل الإسكندرية تصدى له الجيش الأيوبى وهزمه وأرغمه على الفرار فى سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م .

ولجأ بعض الصليبيين إلى أسلوب آخر لمحاربة صلاح الدين وذلك عن طريق تضييق الخناق على سيناء من البحر الأحمر وكان من أبرز جهودهم فى ذلك ما لجأ إليه أرناط الذى اتخذ أيلة مركزًا لأسطول أخذ يحاصر به سيناء بحراً وفى الوقت نفسه يهدد الملاحة الإسلامية فى البحر الأحمر ويعوق طريق الحج ثم تجاسر فهاجم الحجاز وسارت قوة صليبية نحو المدينة المنورة ولكنها ردت على أعقابها . وكان أرناط

يتحصن فى الكرك ومن ثم تصدى صلاح الدين لحصاره خمس مرات وأخيراً وبعد انتصار حطين استسلم حصن الكرك فى رمضان سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) وأعقب ذلك تسليم حصن الشوبك وبذلك أعلن صلاح الدين أن حد بيت المقدس على صوب الحجاز من الكرك والشوبك . وفى حين كان الصليبيون يعتمدون بصفة أساسية فى عبور سيناء على الطريق الشمالى حيث كانت تعززهم حماية بحرية لجأ صلاح الدين إلى الاعتماد على الطرق الوسطى والجنوبية وبواسطتها ربط بين قواته فى مصر والشام . وبفضل صلاح الدين توقف الخطر الصليبى عن طريق سيناء بل صارت سيناء معبراً للجيوش المصرية التى أخذت تخرج لتحرير الشام من الصليبيين لا سيما فى عهد بيبرس وقلاوون وأخيراً بقيادة الأشرف خليل الذى كان على يده تحرير الشام نهائيًا من الصليبيين فى ٦٩١ هـ (١٢٩١م) . كما اجتازها الجيش المصرى الذى هزم المغول فى عين جالوت ٦٥٩ هـ (١٢٦٠م) .

ومنذ ذلك التاريخ لم تعبر سيناء جيوش مهاجمة لمصر إلا فى سنة (٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م) حين عبرتها جيوش العثمانيين بقيادة السلطان سليم بعد معركة مرج دابق . ومن ثم برزت سيناء طريقًا لمرور قوافل التجارة والحج ورابطة بين مصر والشام والحجاز . كما انتظمت إدارتها وأخذت أحوالها فى الازدهار .

ومن حيث الإدارة كانت مصر فى أوائل العصر الإسلامى مقسمة إلى سبعة أقاليم إدارية ولها إقليم الجفار فى شمال سيناء وقاعدته كورة الفرما وبه البقارة والواردة والعريش ورفح . وفى القرن الرابع الهجرى

وردت فى بعض المراجع كورة الطور وكورة القلزم وكورة أيلة وكورة بدا وشغب وهذه كلها فى وسط وجنوب سيناء . ومن عصر المماليك وصلتنا مراسيم موجهة إلى النواب والولاة بالشرقية وأيلة والقلزم وساحل الطور ومقطعى الساحل (ساحل خليج السويس الشرقى) وفاران تدعوهم إلى مساعدة رهبان دير سانت كاترين .

ومن الملاحظ أن مدن سيناء وكورها تقع على طرق القوافل التى تمتد عبر سيناء على طول مسالك الصحراء ودروبها مارة بعيونها وآبارها . وتشتمل سيناء على طرق رئيسية أهمها :

الطرق الشمالية : وهى بمحاذاة ساحل البحر المتوسط بين الفرما والعريش . وقد تمر بتل القلس والمخلصة أو بقطية والواردة وسلك هذا الطريق جيش عمرو بن العاص والجيوش الصليبية .

الطريق الوسطى : ويعرف بطريق الشام وهو شمالى هضبة التيه وهو بين السويس وأيلة على رأس خليج العقبة وهو طريق قوافل التجارة والحج . واستخدمه صلاح الدين فى حروبه ضد الصليبيين .

الطريق الجنوبى : من السويس إلى الطور .

ويقطع المنطقة الجبلية إلى خليج العقبة محاذياً خليج السويس ليربط بين رأس الخليج ومبدأ خليج السويس ويؤدى إلى المراكز الدينية المسيحية . وهو من السويس إلى عيون موسى والغرنديل ووادى سرابيط الخادم ووادى فيران ثم إلى دير سانت كاترين .

وهناك طريق إلى الطور وآخر إلى درب النبك الذى كان يستخدمه تجار الحجاز .

من حيث الهجرة إلى سيناء : سلكت هذه الطرق القبائل البدوية التى هاجرت إلى مصر عبر سيناء . ففى صدر الإسلام اجتازت سيناء قبائل جذام ولخم وبلى وبعض بطون قريش . وفى العصر الأموى والعباسى اجتازتها قبائل قيس عيلان من نجد وأولاد الكنز من ربيعة وفى العصر الفاطمى اجتازتها بطون قيس من بنى سليم وبنى هلال وطيىء . وفى عصر صلاح الدين اجتازتها قبيلة تعلبة وقد أقام بعض هذه القبائل فى سيناء . وكادت تتوقف الهجرة فى عصر المماليك نظراً لتشددهم فى معاملة قبائل العربان مما حدا ببعضها إلى العودة إلى فلسطين .

وعبر سيناء سارت قوافل التجارة ذهابًا وإيابًا بين مصر وبين الشام والعراق والجزيرة العربية كما كانت بعض المتاجر التى تصل أيلة تنقل عبر سيناء إلى موانىء البحر الأبيض المتوسط . وكذلك تلك التى تصل إلى الطور عن طريق البحر الأحمر كانت تنقلها القوافل إلى السويس حتى نافست موانىء ساحل البحر الأحمر مثل عيذاب والقصير .

ولكن منذ أواخر القرن ١١م وحتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى أهملت طرق سيناء نتيجة لما ساد سيناء من اضطراب بسبب ضعف الإدارة الفاطمية أولاً ثم بسبب الحروب الصليبية بعد ذلك .

ويبدو أن سيناء أخذت تستعيد مكانتها طريقًا لقوافل التجارة بعد انتهاء الخطر الصليبى وبعد الانتصار على المغول فى عين جالوت . وأخذت طرق سيناء التجارية فى الازدهار منذ أواخر القرن الرابع عشر نظرًا لتحول القوافل عن طريق عيذاب والقصير بسبب ما كنت تلاقيه من سوء معاملة قبائل البجة ولما كان يفرضه أمراء الصعيد من مكوس باهظة . واقتضت سياسة برسباى التجارية إرغام التجار المسافرين من سوريا إلى الحجاز أن يتوقفوا بالقاهرة ليدفعوا مكوسهم . وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية طرق سيناء من جهة وطريق الصحراء بين سيناء والقاهرة من جهة أخرى .

وكان من جراء ازدهار طرق الحج والتجارة فى سيناء على حساب الصعيد أيضًا أن أخذت القاهرة تمتد نحو الشمال الشرقى فى عصر المماليك والعصر العثمانى .

ومع ذلك كان إذا اضطربت الأمور أو حدث قحط شديد أغارت القبائل على القوافل مما حدا بالسلطة إلى حماية هذه القوافل بطرق كثيرة منها إقامة الحاميات على طول الطرق وتشييد الحصون . كما لجأت القوافل إلى حماية القبائل فى سيناء نظير أتاوات سنوية لشيوخها ، وفى بعض الأحيان كانت مراحل الطريق تقسم بين القبائل التى تقطن بالقرب منها .

وبالإضافة إلى أهمية سيناء العسكرية والتجارية كان لسيناء تاريخ فى حج المسلمين إلى بيت الله الحرام . وقد ورد فى خطط المقريزى قوله «إعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتى سنة لا يتوجهون

إلى مكة شرفها الله تعالى إلا من صحراء عيذاب من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة .

وحظى دير سانت كاترين فى سيناء بالرعاية فى العصور الإسلامية ومن مظاهر هذه الرعاية العمارات العديدة التى أجروها فى دير سانت كاترين والأمنات التى كانوا يمنحونها لرهبانه وقد حفظ لنا التاريخ بعض الإشارات إلى هذه الأمانات مثل أمان الخليفة الحاكم وأمان الخليفة العاضد لدين الله فى سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩م) كما بنى الآمر بأحكام الله سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦م) مسجداً فى الدير لا يزال باقياً حتى الآن .

ووصلنا مراسيم سلاطين المماليك الموجهة إلى النواب والولاة لسيناء .

آثار سيناء فى العصر الإسلامى

شمال سيناء

عمودا الحدود والسدرة برفح : على بعد ٣٦٠ متراً إلى الجنوب الغربى من بئر رفح توجد سدرة كبيرة كان على جانبيها عمودان من الجرانيت الأسود أطلق عليهما اسم عمودى الحدود أحدهما نحو مصر والآخر نحو الشام .

طول العمود حوالى مترين ومحيطه أقل من متر وعلى العمود المصرى نقش باسم الخديوى عباس وقد حدث أن أزيل العمودان على يد الجنود التركية سنة ١٩٠٦م .

قلعة العريش : مشيدة على تل استخدم في العصر الفرعوني حصناً للدفاع عن حدود مصر الشرقية في سيناء .

يرجح أنه كان مكانها قلعة ترجع إلى عصر الحروب الصليبية وأما القلعة الحالية فترجع إلى العصر العثماني حسب النقوش الأثرية بها ويقرأ فيها تاريخ ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) واسم السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان عثمان وهي قريبة من بلدة العريش ولها باب معقود أو مقنطر ارتفاعه حوالي ٥ أمتار وعرضه ٣,٥ متر وهي مربعة تقريباً ومساحتها حوالي ٨٥ × ٧٥ متر^{٢} وارتفاع جدرانها حوالي ٨ أمتار . وسورها من الحجر الرملي وفي أركانه الأربعة أبراج مستديرة وفي أعلاه مزاغل أي فتحات لرمي السهام وكان يحيط بها خندق .

وربما كان في وسط القلعة مسجد بناه قايتباي .

قلعة لحفن : في وادي العريش على بعد ثمانية أميال من العريش أطلال تنكشف منها بلاد العريش إلى مسافة بعيدة . بالقرب منها بئر بالحجر المنحوت .

قلعة الجورة : شرقي مدينة العريش وجنوبي رفح بها أطلال وبالقرب منها بئر بالحجر المنحوت .

قلعة العوجاء : العوجاء من أرقى مدن وادي العريش وتقع قلعة العوجاء على تل عليه أيضاً كنيسة ، وهي مستطيلة الشكل ٢٧٢ × ١٠٧ قدم (٩٠ × ٣٥ ياردة) ٨٠ × ٣٠ متر لها بوابة عظيمة اتساعها ٣ أمتار في

جانبها الغربى باب اتساعه ١,٥ متر وإلى جنوب برج القلعة بئر عميقة ، ذكر المقريزى أنه كان بالعوجاء فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) بئر عميق جداً بقلعتها .

قلعة نخل : تبعد ٨٠ ميلاً عن السويس و ٧٠ عن العقبة ، ترتفع عن سطح البحر ١٧٥٠ قدمًا ، (ومدينة نخل فى قلب سيناء وهى عاصمة بلاد التيه يقول البعض إن اسم نخل من نخل مصرايم : الاسم الذى أطلقه العبرانيون على وادى العريش ويقول البعض الآخر أنه من النخل ولم يكن بها نخل والبعض الثالث من اسمها القديم نخر) .

والقلعة بناها قانصوه الغورى سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩م) فى درب الحاج المصرى (وكانت تعرف قديماً باسم الخان) وذلك على يد خير بك المعمار ، وهى مربعة التخطيط تقريباً وجدرانها تستدق كلما ارتفعت وبها خمسة أبراج مستديرة بالأركان الأربعة والخامس فى وسط الضلع الشمالى حيث المدخل وهى مبنية بالحجر الجيرى . ويعلو البوابة عقد نصف دائرى بها خوخة أو (الخادعة) وتؤدى البوابة إلى دهليز ثم بوابة ثانية تؤدى إلى الفناء حيث شجرة سدر كانت تنذر لها النذور وبأعلى الجدران مزاغل . أعلى برج البوابة شرافات بارزة سقاطات Machicoli وفى الجهة الشرقية جامع صغير بلا مئذنة وبمدينة نخل ثلاثة آبار . حدثت توسعة فى القلعة أو الخان فى سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢م) كما جددت فى سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥م) .

قلعة الجندى أو قلعة الباشا ٥٨٠-٥٨٣ هـ/ ١١٨٤ - ١١٨٧م :
يقال إنه بناها صلاح الدين لتأديب بدو سيناء لإرشادهم أرناط إلى طريق الحجاز . تبعد حوالى ٥ كيلو مترات شمال شرق

عين سدر وتنسب إلى صلاح الدين وتبعد عن طريق الحج بحوالى ٢٠ كيلو متراً وهى على تل الجندى الذى يشرف على الطريق كما أنها قريبة من المياه . وهى بناء مستطيل غير منتظم الأضلاع طوله ما بين ١٥٠ و ١٠٠ متر وعرضه ١٠٠ متر . وحول القلعة سور سميك عرضه متران بقى أسفله وفى أركان القلعة أبراج بعضها مربع وبعضها مستدير . يعتقد أن الأبراج المستديرة من عهد صلاح الدين والمربعة من عهد أخيه العادل. وجهزت القلعة بالاستحكامات المختلفة كالسقاطات وفى وسط القلعة فناء وبقى من مبانيها .

(١) قاعة سفلى ٥ × ٦ متر .

(٢) مسجد بدون سقف .

(٣) صهريج مسطحه ٦ × ١٠ × ٥,٥ متر (آثار كتابة باسم صلاح الدين) .

(٤) مسجد أسفله صهريج له باب خارجى عليه كتابة بعمارة فى شعبان سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧م) (بالمتحف) ومساحته ١٢ × ٦ متر فى أحد أركانه مئذنة بقيت قاعدتها .

(٥) قاعة سفلى ١٥ × ١٥ متر .

أعلى المدخل الرئيسى للمسجد لوحة باسم العادل وتاريخ ٥٩٨ هـ (١١٩٣م) . وأمام جدار القلعة خندق اتساعه حوالى ٥ أمتار . على عقد الباب رسم السيف والدرع شعار صلاح الدين ونجمة ذات ستة رؤوس شعار صلاح الدين أيضاً (على العملة) والعقد من صنجات معشقه .

وبالقرب من القلعة سد لحجز مياه الأمطار للانتفاع بها .

قلعة النواطير : ثلاثة عمد من الحجر بين كل عمود مسيرة ساعة لهداية الحاج فى التيه وفى منتصف الطريق أكمة طباشيرية تسمى «دبة البغلة» عليها نقوش أثرية باسم قانصوه الغورى .

قلعة فرعون (قلعة صلاح الدين)

جزيرة فرعون بها تلان على قمتهما أقام صلاح الدين قلعة وحاول أرناط الاستيلاء عليها سنة ١١٨٢م وهى بناءان حولهما سور بالحجر المصقول . أحدهما يشتمل على مجموعة من الحجرات ولها سور سميك يتخلله أبراج للمراقبة بها مزاغل ، وفى كل مبنى صهريج كبير ، وعرفت عند البدو باسم القلعة أو القليعة أو القرية ، وتشبه قلعة الجندى .

وسط سيناء (بلاد التيه)

قلعة وادى المغارة : بجانب المغارة أكمة عليها قلعة من العصر الرومانى بها إضافات من العصر الأيوبى على الأرجح . بالقرب من القلعة توجد (هرابة) قديمة منقورة فى الصخر مغمورة الآن بالرمال .

قلعة وادى المغارة : تنسب إلى صلاح الدين أو العصر الأيوبى . نسبة إلى بئر مبعوق فى وادى الراحة (الذى يمتد من جبال الراحة إلى السويس) . على الجانب الأيسر للوادى قلعة قديمة مبنية بأحجار مكحلة (مونة) طول ضلعها ١٦,٥ متر سمك الحوائط ٢,٥ متر .

قبة النبى صالح : فى وادى الشيخ على بعد ستة أميال من الدير . وله قبة تزار ، ويزوره البدو مرة كل سنة فى أول الصيف قبيل زيارتهم جبل موسى ويذبحون له جملاً ويقول بعضهم (إنه من الصحابة ويظن بعضهم أنه جد الصوالحة السكان الحاليين) .

قبة الشيخ أبو شبيب فى حديقة فيران : قبة هرمية تزار للشيخ أحمد أبو شبيب من النصيرات القرارشة فى جبانة الحديقة السفلى . ويذبح له الغنم والماعز فى كل سنة فى موسم البلح .

قبة للشيخ عُلَيّان فى حديقة فيران : فى الحديقة العليا ، وهو جد الرضاونة العوارمة ويقال أن بعض العربان رأى فى المنام كأن جد الرضاونة هذا ولىّ تجب زيارته فصاروا يزورونه ويذبحون له ، لها سقف جمالونى .

جامع دير سانت كاترين : بدير سانت كاترين جامع صغير له مئذنة فى غربى الكنيسة الكبرى وعلى بعد نحو عشرة أمتار وتعلو أرضه نحو عشرة أمتار عن أرض الكنيسة ولكن مئذنته أقل ارتفاعًا من قبة الكنيسة وهو مبنى باللبن أو الطوب غير المحروق والحجر الجرانيتى الغشيم . وكان بالجامع أثران هما كرسى ومنبر من الخشب وقد نقلاً إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة . نص الكرسى : «بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا الشمع والكرسى المبارك والجامع المبارك الذى بالدير الأعلا والثلاث مساجد التى فوق مناجاة موسى عليه السلام والجامع الذى فوق جبل دير فاران والمسجد الذى تحت فاران الجديد والمنارة التى بحضن الساحل الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين الآمرى» .

نقش المنبر : «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه أبى على المنصور الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين (قرئت خطأ المنتصرين) أمر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو القاسم شانشاه (شاهنشاه) عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وذلك فى شهر ربيع الأول سنة خمس ماية أثق بالله» .

خدمة جامع الدير : يذكر نعوم شقير الذى زار الدير سنة ١٣٢٣هـ-١٩٠٥/م أنه وجد أن القائمين على هذا المسجد سدنة الرزنة من قبيلة أولاد سعيد ولا يسمح لأحد غيرهم بخدمته والظاهر أنهم أرسلوا من مصر لخدمة الجامع فتناسلوا بين العرب وانضموا إلى أولاد سعيد بطريق الأخوة فعاشوا معهم ، وذكر أن عددهم كان حينئذٍ ٢٠ رجلاً كل منهم يخدم الجامع أسبوعًا وكانوا لا يصلون فيه ولا يؤذنون ولكنهم ينظفونه وفى شهر رمضان ينيرونه كل ليلة وإذا زار الدير مسلم وجيه فرشوا له الجامع بحصيرتين وسجادة ليصلى فيه .

ويلقب خادم الجامع بالخوجة وله جراية من الدير يومية وأسبوعية أما اليومية فعشرة أرغفة وطعام الظهر والمساء مما يأكله الرهبان وإذا صام الرهبان أخذ بدل طعامه قدحًا من القمح أما جرايته الأسبوعية قبل الانصراف ٥ أقداح قمح ونصف قدح عدس و ٣ أرغفة وأقة بلح .

ولعائلته كل يومين ٣ أرغفة للمرأة و ٤ أرغفة للبالغ من أولاده و ٢ أرغفة لغير البالغ ومعدل وزن الرغيف ٣٥ درهم .

جامع على قمة جبل موسى : على قمة جبل موسى جامع صغير وبجواره كنيسة صغيرة وفى الطريق إلى قمته أثر فى صخرة يشبه أثر قدم جمل يقول البدو أنه الأثر الذى تركه جمل النبى موسى لما زار الجبل .

قلعة النويبع

النويبع من موانىء خليج العقبة فى الجنوب ، فى وسطه أنقاض قلعة كانت محاطة بسور سميك فى أعلاه مزاغل ضيقة وفى أسفل فنائها صهريج قديم ، على الجزء الجنوبى طابية بنيت سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م .

د/ حسن الباشا

أعمال أسرة سختكمان المعمارية فى قلعة صدر المعروفة بقلعة الجندى بسيناء

ا. د. أحمد عبد الرازق أحمد

أمدتنا قلعة صدر[١] المعروفة بقلعة الجندى[٢] ، وبقلعة الباشا[٣] ، وبقلعة صلاح الدين فى شمال سيناء ، بمجموعة من النقوش والكتابات الأثرية يعنينا منها ستة نقوش تاريخية ، باسم كل من على بن محمد سختكمان الناصرى العادلى ، وإبراهيم بن أبى بكر بن سختكمان العادلى الناصرى ، تسجل لنا ما قام به كل منهما من أعمال إنشائية وتجديدات بهذه القلعة فى الفترة من رجب ٥٨١ - جمادى الآخر ٥٨٣ هـ / سبتمبر - أكتوبر ١١٨٥ - أغسطس - سبتمبر ١١٨٧م ، وفيما يلى عرض لكل منها .

النقش الأول (لوحة رقم ١) :

لوح من الحجر الجيرى مستطيل الشكل ، تبلغ مقاييسه ٥٥ × ٤٨سم ، مثبت أعلى فتحة الصهريج التى تشغل الجدار الجنوبى الشرقى أسفل محراب المصلى من الخارج ، يتضمن عشرة أسطر نقشت فى

صفوف منتظمة بخط النسخ الأيوبى الغفل من الأعجام ، داخل إطار غائر منتظم الشكل ، نصها :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيد

٢ - نا محمد خلد الله ملك مولانا الملك الناصر

٣ - صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام وا

٤ - لمسلمين خليل أمير المؤمنين يوسف ابن أيوب

٥ - أعمر هذا الصهريج العبد الخا [ضـــ] ـــع لله[٤] على بن

٦ - محمد ستخكمان الناصرى العادلى فى أيام

٧ - الملك الأفضل[٥] نور الدين على بن يوسف بن

٨ - يوب وذلك فى شهر رجب[٦] سنة أحد وثمانين

٩ - وخمس مائة وهو يسئل الله حسن العاقبة

١٠- والنجاة من النار والحمد لله وحده[٧]

النقش الثانى (لوحة ٢) :

لوح من الحجر الجيرى مستطيل الشكل تبلغ مقايسه ٦٨ × ٥٣ سم مكسور إلى نصفين ، يعلو بقايا برج مربع ، يحتل الزاوية الشمالية الغربية من القلعة ويشتمل على سبعة أسطر منتظمة بخط النسخ الأيوبى ، تبدو خالية من حروف الأعجام ، نقشت بالحفر البارز داخل إطار منتظم الشكل نصها :

١ – بسم الله [الرحمن الر] حيم صلى الله على محمد

٢ – خلد الله تعالـ [ى] ملك مولانا الملك

٣ – الناصر صلاح ا [لـ] دنيا والدين سلطان

٤ – الاسلام والمسلمين أبا[٨] المظفر يوسف

٥ – ابن أيوب خليل أمير المؤمنين عمر هذا البرج

٦ – والصور[٩] العبد الخا [ضع] لله على بن محمد سختكمان

٧ – الناصرى العادلى التقوى[١٠] فى ... [سنة] إحدى[١١] وثمانين وخمس [مائة][١٢]

النقش الثالث (لوحة ٣) :

لوح من الحجر الجيرى منقوش على صخرة تنقسم إلى جزئين ، عثر عليها فى حفرة أسفل أحد أبراج السور الشمالى للقلعة جهة الغرب ، داخل إطار مستطيل الشكل ٥٠ × ٤٨سم ، يتضمن عشرة أسطر بخط النسخ الأيوبى الغفل من نقط الأعجام ، نقشت بالحفر البارز فوق أرضية حمراء اللون ، القسم الأيمن والأسفل من النص يبدو مطموساً ، نصها :

١ – [بسم الله الرحمن الرحيم] وصلى الله على سيدنا

٢ – [محمد خلد الله ملك مولانا] الملك الناصر صلاح

٣ – [الدنيا والدين سلطان الاسـ] لام والمسلمين

٤ – [خليل أمير المؤمنين عمر] هذا البرج والصور .

٥ – [العبد الخاضع لله على بن محمد سـ] ختكمان العادلى .

٦ – [الناصرى المظفرى التقوى فى] أيام الملك المظفر .

٧ – [تقى الدين أبو سعيد عمر وذلك] فى أول [شهر] رمضـ[ان] .

٨ – [سنة احدى وثمانين وخمس مائة] ومحمد ... و ...

٩ – ... ... والمغفرة وحسـ[ن العاقبة] .

١٠– [والنجاة من النار(١٣)] .

النقش الرابع (لوحة رقم ٤) :

لوح من الحجر الجيرى منقوش داخل إطار مربع الشكل طول ضلعه ٥٢ سم عثر عليه ضمن المخلفات التى كانت أسفل البرج الذى يشغل الزاوية الشمالية الرشقية للقلعة وشاهده تامارى فى نفس الموقع عام ١٩٧٢ ، بيدان المجلس الأعلى للآثار قام بنقله من موضعه فى عام ١٩٨٦ إلى متحف طابا . وهو مهشم فى قسمه الأيسر ، ويشتمل على ثمانية أسطر نقشت بالحفر البارز بخط النسخ الأيوبى المذيل ببعض نقط الأعجام ، وتبدو بعض الكلمات مطموسة تصعب قراءتها كما هو الحال بالنسبة للسطر الأخير ، نصها :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

٢ – خلد الله ملك مولانا الملك الناصر صلا

٣ – ح الدين يوسف ابن أيوب خليل

٤ – أمير المؤمنين أعمر هذا البرج

٥ – والصور العبد الخاضع

٦ – لله على بن محمد سختكمان العادلى

٧ – الناصرى فى شهر شعبان سنة اثنين وثمانين وخمس

٨ – مائة وهو يسئل الله العاقبة والنجاة[١٤] من النار

النقش الخامس (لوحة ٥) :

لوح من الحجر الجيرى مستطيل الشكل ٧٠ × ٥٠ سم كان مثبتا فوق الباب المفضى إلى الصهريج أسفل جدار القبلة الخارجي لمسجد القلعة الجامع ، أهدته هيئة قناة السويس سنة ١٩٢٨ إلى متحف الفن الإسلامى الذى يحتفظ به فى مخازنه بقلعة الجبل تحت رقم ٨١١٥ وهو يشتمل على أحد عشر سطرا نقشت بالحفر البارز داخل إطار غائر مستطيل الشكل بخط النسخ الأيوبى المزود ببعض نقط الأعجام . السطران العاشر والحادى عشر نقشاً خارج الإطار الأسفل ، نصها :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم

٢ – صلى الله على سيدنا محمد

٣ – خلد الله ملك مولانا الملك النا

٤ – صر صلاح الدنيا والدين سلطا[ن]

٥ – الإسلام والمسلمين خليل أ[مير]

٦ – المؤمنين عمر هذا الصهريج وا

٧ – لجامع المبارك على بن محمد سختكمـ[ا]

٨ – ن الناصر العادلى المظفرى

٩ – التقوى وكان فراغه فى شهر

١٠– شوال سنة اثنين[١٥] وثمانين وخمس ما [ئة]

١١– يسئل الله الجنة والنجاة من النار[١٦]

النقش السادس (لوحة ٦) :

لوح من الحجر الجيرى مستطيل الشكل ٦٧ × ٤١ سم ، يحتل النصف العلوى للعقد المستقيم الذى يعلو المدخل الشمالى الشرقى للقلعة، يشتمل على سبعة أسطر نقشت بالحفر البارز داخل إطار غائر ، بخط النسخ الأيوبى المزين ببعض نقط الأعجام ، نصها :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد

٢ – خلد الله ملك مولانا الملك الناصر صلاح الد

٣ – نيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو المظفر

٤ – يوسف بن أيوب خليل أمير المؤمنين أعمر[١٧]

٥ – هذين البرجين والباب المبارك والصور العبد

٦ – الخاضع[١٨] لله تعالى إبراهيم بن أبى بكر ابن

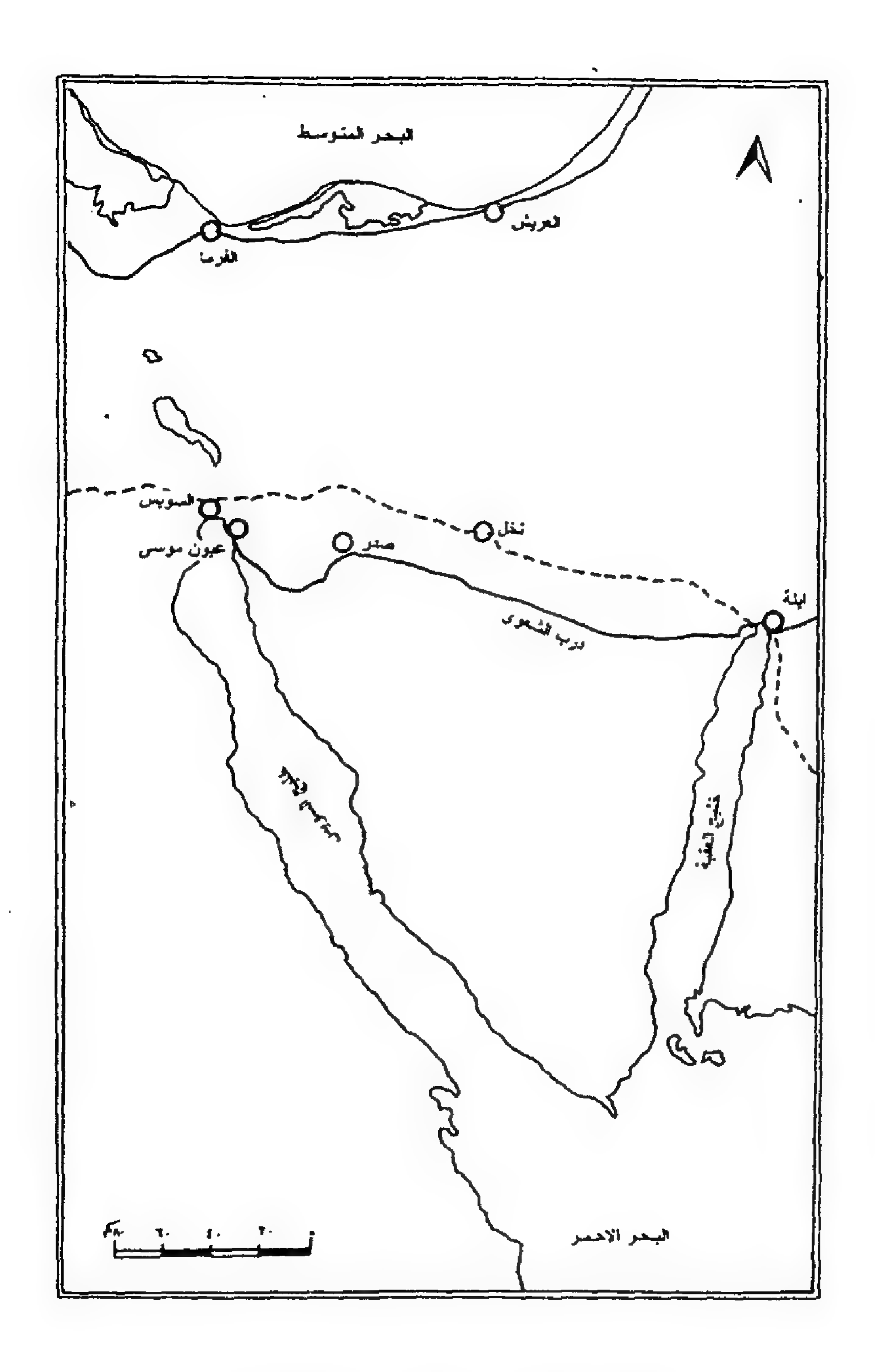
٧ – سختكمان العادلى الناصرى فى جمادى

٨ – الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة[١٩]

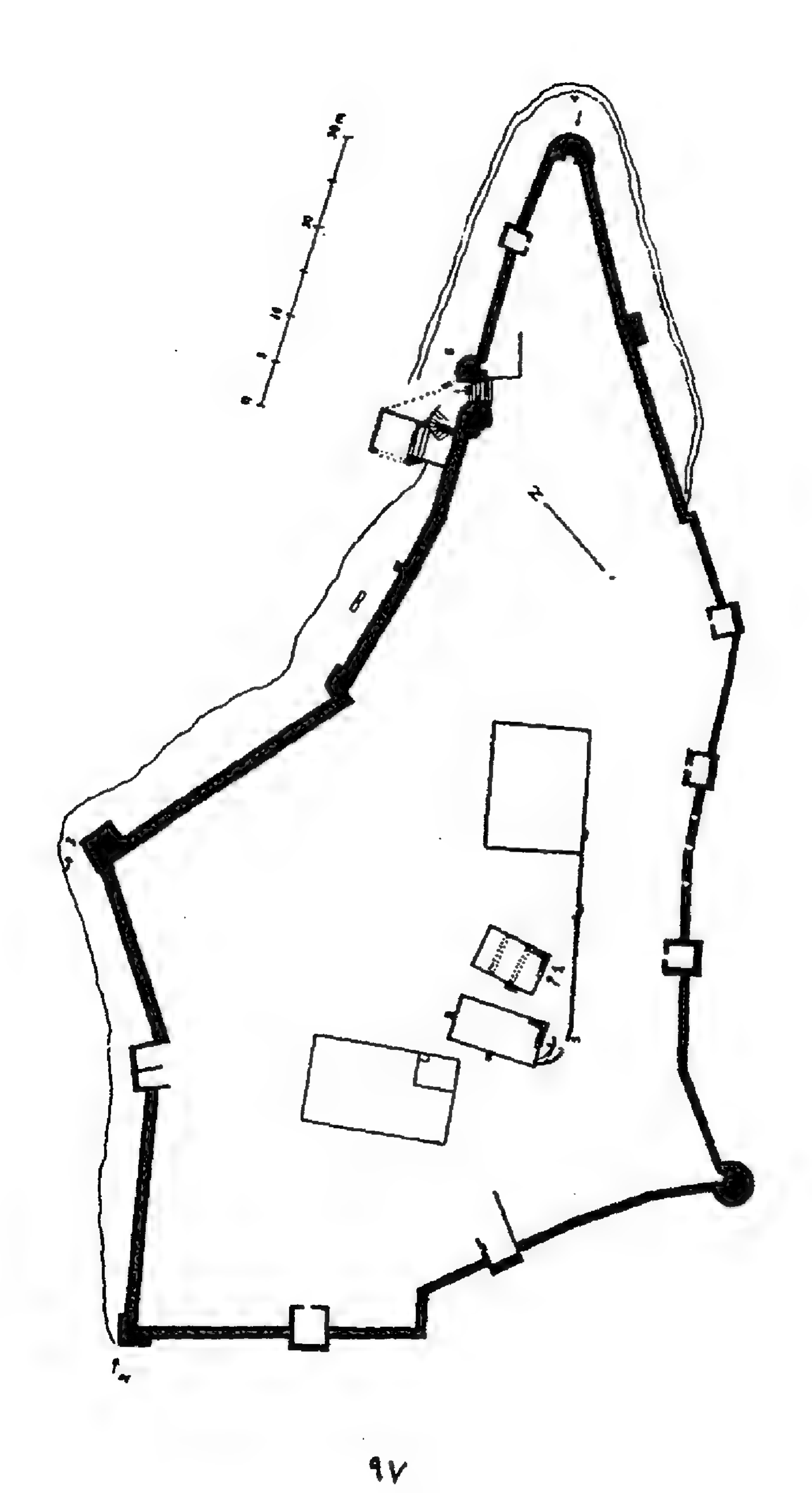
بعد هذا العرض ينبغى علينا أولاً قبل البدء فى تحليل مضمون هذه النقوش ، أن نحاول القاء الضوء على قلعة صدر وبيان مدى أهمية موقعها من الناحية الاستراتيجية ، وتاريخ إنشاؤها بهدف تقييم أعمال أسرة سختكمان بهذه القلعة .

من المعروف أن قلعة صدر[٢٠] تحتل قمة تل الجندى ، وهو تل صغير يرتفع حوالى ٢١٥٠ قدمًا فوق سطح البحر ، ٥٠٠ قدم فوق السهل المستوى المجاور له ، وهو يمثل أكمة مخروطية الشكل ، منفصلة عن جبال الراحة الكلسية[٢١] ، تشرف على طريق سيناء ، الأوسط المعروف بطريق الشام الذى يقع إلى الشمال من هضبة التيه بين السويس وأيلة على رأس خليج العقبة ، وكان يتألف من خطين يقطعان هضبة التيه فى وسطها . أولهما هو الشمالى ويعرف بدرب الحج ، وهو الطريق الذى عبرته شجرة الدر فى حجتها سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م ، وثانيهما وهو الجنوبى المعروف بدرب الشعوى الذى اتخذه صلاح الدين ، بعد هجرة الطريق الشمالى المعروف بدرب العريش بين الفرما والعريش[٢٢] بهدف تجنب منازل العربان فى النطاق الساحلى وهجوم الأساطيل البحرية فى البحر المتوسط (شكل ١) .

ومن المعروف أن درب الشعوى كان يبدأ مثله مثل طريق درب الحج ، فيقطع المنطقة الصحراوية شرقى السويس مارا بوادى الراحة ، وهضبة الراحة ليدخل أرض التيه شمالى عين صدر . وفى هضبة التيه يسير



طرق سيناء فى عصر صلاح الدين



الدرب شرقًا عبر أعالى مجرى البروك ، ثم يقطع وادى العريش نفسه شمالى بئر أم سعيد بقليل ، ومنه إلى العريش الشرقية حتى يصل إلى التمد ، ثم يمر بوادى الشعيرة ، ويسير معه قليلاً ليتفرع فرعين يسير أحدهما إلى الجنوب الشرقى حتى ينتهى إلى أيلة ، ويستمر ثانيهما شرقًا حتى يلتقى بدرب الحج عند النقب . ويمتاز درب الشعوى هذا بقصر مسافته فضلاً عن توافر الماء والمراعى به ، فتستقى القوافل فيه من بئر مبعوق على مدخل هضبة التيه ، ومن عين صدر على مدخل التيه ، ثم من بئر أم سعيد وبئر القريص والتمد وما بعدها[٢٣] .

والقلعة عبارة عن بناء مستطيل الشكل ، غير منتظم الاضلاع ، مستدق الطرف ، ضيق فى الزاوية الشمالية الشرقية ، وأكثر اتساعا فى الجهة الغربية ، يتراوح طوله ما بين ١٥٠ ، ٢٠٠ متر ، وعرضه فى أقصى اتساع له حوالى ١٠٠ متر[٢٤] ، تحيط به أسوار خارجية سميكة من الحجر ، يبلغ عرضها حوالى مترين ، مزودة بدعامات وأبراج خارجية مستديرة وقائمة الزوايا[٢٥] . ويتقدم السور الشمالى والسور الشمالى الغربى خندق عميق كان يمكن بالمياه ، يبلغ اتساعه ما بين خمسة وستة أمتار ، كان يزيد من مناعة القلعة ووقايتها[٢٦] (شكل ٢) .

ويفضى مدخلها الذى يعلوه النقش رقم(٦) ، وبقيت بعد اطلاله بالجدار الشمالى الشرقى ، إلى داخل القلعة التى يتوسطها فناء كبير يشتمل على عدة مستويات ، شيدت فوقها مبان متنوعة الأغراض تهدم معظمها ولم يبق منها سوى ست منشآت فقط[٢٧] تتمثل فى :

١ – قاعة سفلى مستطيلة الشكل تبلغ أطوالها ٥ × ٦م حفرت فى الصخر على عمق خمسة أمتار[٢٨] ، كانت مغطاة بقبو بقى منه آثار عقدين مدببين ، يرجح إنها كانت تستخدم مخزنا للمؤن أو مكاناً للاجتماعات فى فصل الشتاء[٢٩] .

٢ – بقايا مصلى غير مسقوف مستطيل الشكل تبلغ أبعاده ٨ × ٨٠,٥م ، شيد فوق أرضية صخرية يبلغ ارتفاعها متراً ونصفاً ، ويفضى إليه درج جانبى ويتصدر جداره الجنوبى الشرقى محراب كان يزين حنيته ثلاثة أسطر من الكتابات النسخية الأيوبية بقى منها فقط لقب الناصر[٣٠] .

٣ – صهريج منقور فى الصخر على عمق خمسة أمتار ونصف ، يقع أسفل المصلى السابق ، تبلغ أبعاده ١٠ × ٦م ، كسيت جدرانه وسقفه بطبقة سميكة من الملاط ، وهو مزود بفتحتين إحداهما مربعة تشغل الضلع الجنوبى الشرقى أسفل محراب المصلى من الخارج ، يعلوها النقش رقم (١) ، وهى متصلة بمجرى لتزويد القلعة بالمياه ، أما الأخرى فضيقة مستديرة وتقع بالقرب من سقف الصهريج ، ويرجح إنها كانت لسحب المياه من الصهريج[٣١] .

٤ – مسجد جامع يشغل الجهة الغربية من القلعة مشيد من الحجر المنحوت ، وله تخطيط مستطيل الشكل تبلغ أبعاده ١٢ × ٦م[٣٢] مزود بمدخلين ، أحدهما عريض يشغل الواجهة الغربية ويتقدمه درجتان ، والآخر صغير يشغل الجهة الشمالية ، ويتصدر جداره الجنوبى الشرقى محراب جصى ، يعلو عقده سطران من الكتابات الكوفية ، نقشت بالخط البارز ، تتضمن الشهادة بشطريها ، طمست بعض معالمها ، كما يشغل تواشيح العقد صرتان بكل منهما وريدة متعددة النصوص . أما حنية

المحراب فيعلوها عقد مدبب تملأ حشواته أضلاع مشعة يتوسطها جامة نقش بها وريدة متعددة الفصوص ، يعقبها شريط من الكتابات الكوفية نقشت بالخط البارز نصها «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على محمد» . وإلى يمين المحراب بقايا سلم كان يفضى إلى منبر المسجد الذى كان يعلوه نص بخط النسخ الأيوبى بقى منه عبارة «استعن بالله»[٣٣] . وعثر أيضاً على الركن الجنوبى الغربى من المسجد على بقايا مئذنة بقى منها قاعدتها المربعة[٣٤] .

٥ - صهريج لحفظ المياه ، منقور فى الصخر على عمق ٧,٧٠م[٣٥] بنفس الأسلوب المستخدم فى الصهريج أسفل المصلى ، ومزود أيضاً بفتحتين أحداهما فى سقفه تفتح فى صحن المسجد ، والأخرى أسفل المحراب من الخارج وهى تفضى إلى داخل الصهريج بمجموعة من الدرج[٣٦] ، ويعلوها النقش الخامس .

٦ - قاعة مستطيلة الشكل تبلغ مقاييسها ٢٠ × ١٠,٧٠م شيدت أسفل أرضية القلعة إلى الشمال الغربى من المسجد الجامع على عمق ٧,٥٠م[٣٧] ، تسقفها قباب مشيدة من الطوب ، تقوم فوق مجموعة من العقود المدببة ترتكز بدورها على دعامات مستطيلة الشكل . وزودت الجدران الجانبية بحنيات نقرت فى الصخر ، لعلها كانت مخصصة لاستقبال وسائل الاضاءة ، لاسيما وأن الفتحات التى زودت بها بعض القباب لم تكن كافية لاضاءة المكان ويرجح أنها استخدمت سجناً أيام السلطان الصلاح نجم الدين أيوب .

ويفهم من المصادر التاريخية أيضًا أن موقع صدر كان يعد أحد المراحل الاستراتيجية الهامة بطريق السويس أيلة لتوافر المياه بالقرب منه إذ يقع على بعد خمسة كيلو مترات إلى الشمال الشرقى من عين صدر[٣٨] وهى عين غزيرة يجرى ماؤها مسافة قصيرة فى بطن الوادى ثم يفور فى الرمال ويذهب هدرا[٣٩] . ويستشف كذلك من المصادر المعاصرة أن عبور هضبة التيه من أيلة كان يستغرق ما بين ثلاثة أيام وخمسة ، شاقة قبل الوصول إلى صدر حيث مصادر التزود بالمياه[٤٠] الأمر الذى أضفى على هذا الموقع أهمية خاصة استرعت إنتباه بعض المؤرخين منذ أواخر العصر الفاطمى ، فقد روى المؤرخ أبو شامة فى أحداث سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤م بصدد الصراع الدائر بين شاور وضرغام وزيرى الخليفة الفاطمى العاضد أن شمس الخلافة محمد بن مختار نصح الوزير ضرغام بضرورة التصدى للقوات الشامية بقيادة أسد الدين شيركوه ، التى قدمت لمعاونة الوزير المخلوع شاور ، عند صدر «لكونهم خرجوا من البرية ضعفاء ولمكان قلة الماء عليهم ، لأن المسافر إلى مصر يحمل الماء من أيلة مسيرة ثلاثة أيام»[٤١] ، إذ كانت الطريق إذ ذاك شرقى الكرك والشوبك على عقبة أيلة إلى صدر وسويس ثم إلى البركة التى على باب القاهرة[٤٢] .

ونقرأ أيضًا فى أحداث سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩م أثناء حملة أسد الدين شيركوه الثالثة على مصر ، أنه بمجرد أن شاع فى القاهرة خبر وصول شيركوه إلى صدر عمدت جماعة من أعيان المصريين من أعداء الوزير شاور فكاتبوا عمورى ملك بيت المقدس يستدعونه لتملك البلاد[٤٣].

وتضيف المصادر دليلاً آخر على أهمية موقع صدر إذ كانت أحد المراكز المتقدمة للدفاع عن الأراضى المصرية يتمثل فى تلك المؤامرة التى دبرت عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م لاعادة الخلافة الفاطمية واشترك فيها جمع كبير من المصريين وأهل الديانات الثلاث وحتى السودانيين الذين انتهزوا غياب صلاح الدين بالكرك والشوبك وكاتبوا الفرنجة فى صقلية والشام وانعقد الاتفاق بينهم على أن علامة الثورة بالقاهرة وصول القوات الصليبية إلى صدر[٤٤] .

وتبرز مصادر العصر الأيوبى بدورها مدى أهمية موقع صدر فى السنوات الأولى من حكم صلاح الدين ونيابة أخيه العادل ، حيث كانت صدر تعد أحد المراحل الهامة فى طريق كل منهما من مصر إلى بلاد الشام أو العكس . ففى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م توجه صلاح الدين إلى دمشق وعسكر عند بركة الجب[٤٥] فى أول صفر / سبتمبر ، ثم رحل فى ١٣ ربيع الأول / ١٢ أكتوبر وسار منها إلى صدر وأيلة فى سبعمائة فارس بعد أن استخلف أخاه الملك العادل على ديار مصر[٤٦] .

وفى السادس عشر من ربيع الأول سنة ٥٧٢ هـ / ٢٢ سبتمبر ١١٧٦م عاد صلاح الدين إلى القاهرة والتقى بأخيه ونائبه على مصر الملك العادل عند صدر وعبرا سوياً الجسر عند القلزم[٤٧] .

وتروى المصادر الأيوبية أيضاً أنه فى أواخر ذى القعدة سنة ٥٧٤ هـ / مايو ١١٧٩م وجه صلاح الدين أخاه الأكبر توران شاه من بلاد الشام إلى مصر وودعه من برج الصفر ، فمر على أيلة وصدر ووصل معه خلق كثير من التجار والرجال والنساء والأطفال[٤٨] .

وترك لنا المؤرخ أبو شامة تسجيلاً لمراحل طريق أيلة صدر فى قصيدة شعر عند حديثه عن عودة صلاح الدين من دمشق إلى الديار المصرية فى ١٨ سنة ٥٧٦ هـ / ٨ ديسمبر ١١٨م فذكر أنه مر بأيلة ونخل ، وصدر ، والحثا ، وعيون موسى ، والقلزم ، والجسر ، وعجرود ، والبويب ، وبركة الجب[٤٩] . كما كرر المراحل نفسها مرة أخرى ولكن بطريقة عكسية عند إشارته إلى خروج صلاح الدين إلى بلاد الشام فى الخامس من المحرم سنة ٥٧٨ هـ / ١١ مايو ١١٨٢ م فذكر أنه «خرج من بركة الحاج قاصداً الشام ولم يعد بعدها إلى مصر حتى أدركه الحمام ، وأخذ طريق صدر وأيلة وبات بالبويب ، ثم نزل على الجسر ووادى موسى وحصا وصدر ، وبعد خمس ليال وصل إلى عقبة أيلة»[٥٠] .

وفى المحرم سنة ٥٧٩ هـ / أبريل ١١٨٣ م خرج الفرنج إلى نواحى الداروم[٥١] ينهبون فبرز إليهم عدة من المسلمين على طريق صدر وأيلة فأظفرهم الله وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين[٥٢] .

وتتحدث المصادر أيضًا عن توجه قافلة بغلات وسلاح إلى قلعتى أيلة وصدر فى الخامس من المحرم سنة ٥٨٠ هـ / ١٨ أبريل ١١٨٤م ، وعن خروج جماعة من الشرقية لحراستها تحت قيادة والى الشرقية الذى سار معها حتى أيلة وصدر ، ثم عاد فى الخامس والعشرين من المحرم / ٨ مايو[٥٣] .

ونقرأ أيضًا فى أحداث سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م عن خروج الملك العادل من القاهرة فى السابع من المحرم / ١٩ مارس إلى بركة الحاج حيث توجه منها إلى الكرك مارا بصدر وأيلة[٥٤] . وعن قيام صلاح الدين

وهو فى عكا بتعيين أمراء يقيمون على صدر فى نفس السنة لحماية عبور عساكر الشرق وجموع الجزيرة والموصل وسنجار وديار بكر ، إلى دمشق(٥٥) . الأمر الذى يكشف لنا عن مدى أهمية موقع صدر وأيلة لا بالنسبة لرجال الدولة الأيوبية فحسب ، بل كذلك بالنسبة للقوات الصليبية . فقد أشارت المصادر إلى محاولات الفرنجة الاستيلاء على قلعة صدر فى أحداث سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٨م(٥٦) ، وعن قلق وشدة خوف نائب أيلة من الفرنج ، ووصول أرناط صاحب الكرك إليها فى رجب سنة ٥٧٧ هـ / نوفمبر ١١٨١ م فى طريقه إلى تبوك(٥٧) ، وعن قيامه فى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م بعمل سفن حملها على البر إلى بحر القلزم وأوقف منها مركبين على حرزة قلعة أيلة لمنع أهلها من استقاء الماء ، وأحرق فى بحر القلزم نحو ستة عشر مركبًا مما جعل الملك العادل نائب صلاح الدين بالقاهرة يجهز الحاجب حسام الدين لؤلؤ إلى القلزم ، فعمر مراكب بمصر والاسكندرية وسار إلى أيلة وظفر بمراكب الفرنج فحرقها وأسر من فيها(٥٨) .

أما تاريخ إنشاء قلعة صدر واسم منشئها فيلاحظ من هذا العرض التاريخى لأهم النصوص التى أشارت إلى صدر أنها تتعلق جميعها بموقع صدر وتخلو من الإشارة إلى قلعة صدر ، باستثناء نص وحيد يرجع إلى سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٨م إذ يذكر لأول مرة على قلعة بهذا الموقع . فقد جاء فى أحداث هذه السنة كما نوهنا من قبل أن الفرنج ساروا فى هذه السنة إلى قلعة صدر وقاتلوا من بها فلم ينالوا قصدا ، لأنها أمنع من عقاب لوح الجو ، فساروا يريدون الغارة على ناحية فاقوس ، ثم عادوا بنية تجديد الحشد ومعاودة القصد(٥٩) . مما يعنى أن قلعة صدر لابد أن تكون قد شيدت قبل هذا التاريخ بعدة سنوات لأن إنشاء

قلعة بهذا الحجم وتلك المساحة كان يتطلب فى الواقع عدة سنوات من العمل الشاق ، كما هو الحال بالنسبة لقلعة الجبل التى بدأ صلاح الدين تشييدها في مصر عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦م ومات قبل أن يكتمل البناء ، فأتمه كل من السلطان العادل وابنه الكامل فى سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م بأجماع أغلب النصوص التاريخية(٦٠) .

بيد أنه من الصعب تحديد تاريخ إنشاء قلعة صدر على وجه الدقة بسبب صمت المصادر التاريخية إزاء هذا الموضوع ، مثل صمتها بصدد اسم منشىء هذه القلعة ، ومع ذلك فقد زعم أحد الباحثين أن القلعة شيدت قبل سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م(٦١) ، وزعم آخر أن بداية الأعمال فيها بدأت فى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م(٦٢) وكلاهما يفتقر إلى الدليل المادى على صدق زعمه هذا . كما أجمعت غالبية الدراسات الحديثة على نسبتها إلى صلاح الدين استناداً إلى ما عثر عليه بها من نقوش وكتابات أثرية تحمل اسمه ، مع أن جميع هذه النقوش تشير إلى بعض أعمال التحصينات والإضافات التى تمت داخل وخارج القلعة ويرجع أقدمها إلى ذى القعدة سنة ٥٧٨ هـ / مارس ١١٨٣م وهو نص كان منقوشاً داخل حنية محراب بقايا المصلى الذى يتوسط القلعة ، ويشير إلى قيام صلاح الدين بعمل ما داخلها ولعله المصلى الذى عثر بأعلى محرابه على النص المذكور ، بنظر أخيه العادل وتحت إشراف الأمير صارم الدين برغش العادلى الذى تولى الإشراف على أعمال البناء التى تمت فى التاريخ المذكور(٦٣) مما يدفع إلى الاعتقاد فى أعمال أخرى تسبق تاريخ بناء على هذا المصلى ، أغفلت المصادر التاريخية والنقوش الآثرية الإشارة إليها ، ويدفع إلى الاعتقاد أيضاً أن هذه الأعمال قد

تنسب إلى صلاح الدين وقد تسبق عهد هذا السلطان ، لاسيما وأن المصادر التاريخية تنوه بأهمية موقع صدر الاستراتيجي منذ أواخر العصر الفاطمي وبالتحديد منذ سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤م كما نوهنا من قبل ، وهذا بدوره يجعلنا نرجح الرأى القائل بحصن قديم بصدر مكان القلعة الحالية ، وأن هذا الحصن لم يكن منيعًا بدليل استيلاء أغلب الحملات الحربية التى مرت بالموقع عليه فى سهولة ويسر وبلا أدنى مقاومة(٦٤) .

وليس من المستبعد كذلك أن يكون صلاح الدين بعد أن ترأت له أهمية موقع صدر بالنسبة لطريق السويس أيلة ، ومحاولات الصليبيين للاستيلاء عليها سنة ٥٧٣ هـ/ ١١٧٨م ومعاودتهم الكرة ثانية فى عام ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م ، وكذا تهديد أرناط صاحب الكرك لأيلة سنة ٥٥٧ هـ / ١١٨١م فى طريقه إلى تبوك ، ومحاولته الاستيلاء على قلعتها عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م ، ما جعل صلاح الدين يقدم على تطوير حصن صدر القديم إلى البناء الحالى للقلعة وذلك ضمن خطة عامة وضعها لتأمين حدود دولته ولعله بدأ هذه الخطة بقلعة صدر ثم أعقبها ببقية حصون الديار المصرية الأخرى ، إذ تروى المصادر التاريخية أنه قام سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م ببناء برج فى السويس وقلعة فى جزيرة تنيس(٦٥) وأمر باعادة عمار سورها كما كان فى القديم . وشيد برجا بالسويس وأخر فى دمياط وشرع كذلك فى بناء سور حول هذه المدينة(٦٦) .

ومع ذلك فمن الصعب فى الوقت الحالى تحديد بداية هذا التحديث وذاك التطوير الذى طرأ على الحصن القديم بصدر ، لاسيما وأن المصادر

التاريخية تبدو صامتة ازاء هذا الموضوع . كذلك فإن النقوش والكتابات التى عثر عليها بالقلعة ويرجع أقدمها إلى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٣م ، وأحدثها إلى سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، لا تعاون كثيراً فى إجلاء هذا الغموض ، لأنها تشير إلى إضافات وتجديدات وقعت داخل وخارج القلعة كما يفهم من لفظه «عمر» التى ترد في النقش الثانى والثالث والخامس ، ولفظة «أعمر» التى ترد فى كل من النقش الأول والرابع والسادس[٦٧] .

لذلك نكتفى الآن بالقاء الضوء على النقوش الستة التى تبرز أعمال أسرة سختكمان بقلعة صدر ، إذ يفهم من النقوش الخمسة الأولى قيام على بن محمد سختكمان بترميم أو تجديد الصهريج المنقور فى الصخر أسفل المصلى فى رجب سنة ٥٨١ هـ / سبتمبر - أكتوبر ١١٨٥م كما يستشف من لفظة «أعمر» التى تعنى لغوياً أنه جعله صالحًا للاستخدام، إذ من غير المعقول أن يكون قد قام بانشاء صهريج جديد أسفل المصلى ، لاسيما وأن هذا الصهريج منقور فى الصخر على عمق خمسة أمتار ونصف .

وقام أيضًا فى العام نفسه وبالتحديد فى شهر رمضان / نوفمبر - ديسمبر ببناء برجين مربعين وكذا القسم الشمالى الغربى من سور القلعة ، كما يفهم من النقوش الثلاثة الأولى .

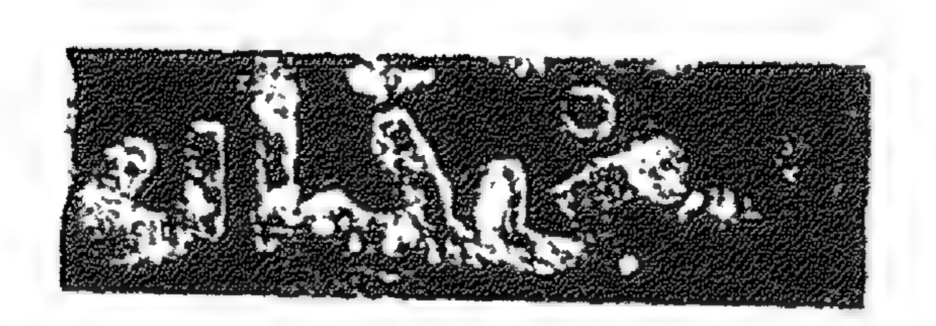
وفى شهر شعبان سنة ٥٨٢ هـ / أكتوبر - نوفمبر ١١٨٦م أعاد بناء أو تجديد البرج نصف الدائرى الذى يشغل الزاوية الشمالية الشرقية للقلعة والسور الجنوبى الشرقى الممتد منه بدليل استخدام لفظة «أعمر»

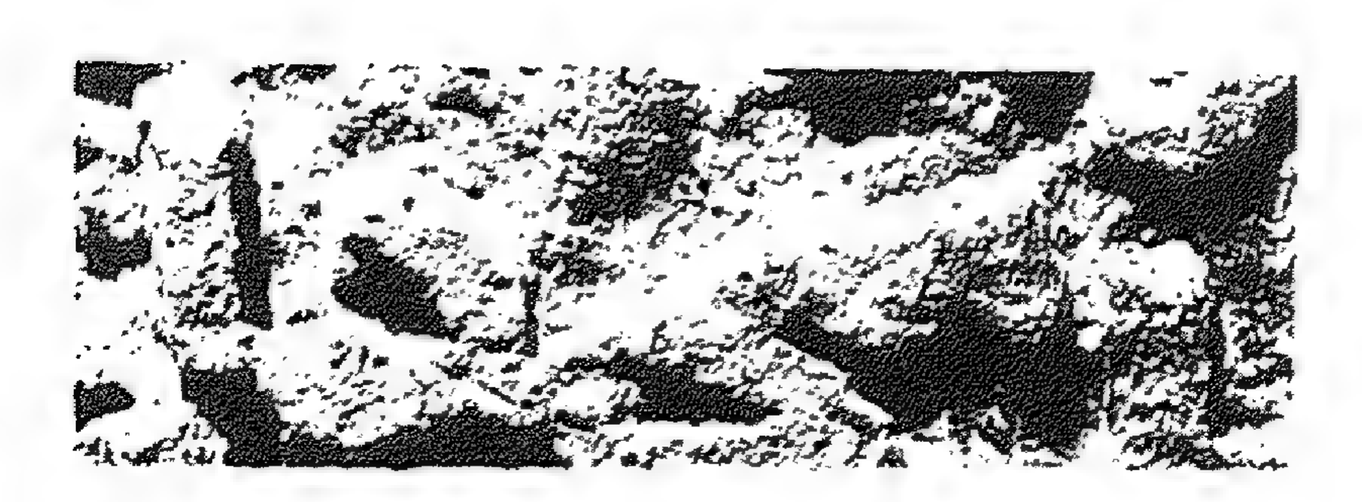
بدلاً من «عمر» في النقش الرابع ، كما انتهى في شهر شوال من العام نفسه / ديسمبر ١١٨٦ – يناير ١١٨٧م من تشييد صهريج جديد لحفظ المياه على عمق ٧,٧٠م ، يعلوه مسجد جامع مستطيل الشكل ، مازال يشغل القسم الجنوبي الغربي داخل القلعة ، لعله يحل محل الصهريج والمصلى القديم الذي يقع إلى الشرق منه ، ويعد هذا البناء آخر الأعمال التي قام بها على بن محمد سختكمان بقلعة صدر كما يستشف من النقش الخامس .

أما النقش السادس والأخير الذي يسجل آخر الأعمال بقلعة صدر ، فقد قام بها شخص آخر من هذه الأسرة ، يدعى إبراهيم بن أبي بكر بن سختكمان ، الذي أعاد بناء أو تجديد برجي المدخل الشمالي الشرقي لقلعة صدر ، والقسم الشرقي من سورها الشمالي الذي يضم هذا المدخل ، كما يستشف من لفظة «أعمر» ، وذلك في غضون شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ / أغسطس – سبتمبر ١١٨٧م .

على أن علينا قبل المضي في تحليل مضمون هذه النقوش الستة والتعليق عليها أن نشير أولاً إلى أننا ندين بصحة قراءة اسم هذه الأسرة «سختكمان» إلى المستشرق الفرنسي الشاب جان ميشيل موتون الذي استطاع بعد أكثر من اثنين وسبعين عاماً[٦٨] تصحيح قراءة عالم الآثار الإسلامية الراحل جاستون فييت الذي قرأها «شحنكان أو سلحدار»[٦٩] ، وكذا قراءة المستشرق الإسرائيلي تامارى الذي قرأها «سحمكان[٧٠]» ، حيث لا معنى لها (شكل ٣) . وأكد موتون أن لفظة سختكمان (شكل ٣) تعد من الأسماء الفارسية الشائعة ، وأبعد ما تكون







شكل رقم (٣)

عن الألقاب الوظائفية ، كما أشار أنها تتألف من مقطعين : «سخت وكمان» وأكد أنها تعنى بالعربية «من يستطيع أن يجذب القوس بقوة»(٧١) ، ودلل على استخدام هذا الاسم ببعض النصوص التاريخية التى تنسب إلى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس للهجرة / (الحادى عشر والثانى عشر الميلادى) ، فقد جاء ثنايا كتابات المؤرخ ابن الأثير أنه بعد استيلاء إبراهيم ينال على قلعة كنكور سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧م عهد بها إلى أحد أعيان طغرلبك يقال له سخت كمان(٧٢) . كما ورد أيضًا فى نفس المصدر أن مقدم عسكر مدينة البصرة أيام الخليفة العباسى المسترشد بالله كان يدعى سخت كمان ، وأنه قتل سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣م(٧٣) ، ورجح المستشرق الفرنسى أن على بن محمد سختكمان ، وإبراهيم بن أبى بكر بن سختكمان الذى ندين لهما بتلك المنشآت المعمارية التى أنجزت فى قلعة صدر فيما بين ٥٨١ - ٥٨٣ هـ / ١١٨٥ - ١١٨٧م ، كانا يربطهما بكل من الأمير السلجوقى ، ومقدم عسكر مدينة البصرة صلة قرابة ما ، ولعلهما كانا أيضًا من بين أحفاد هذين الأميرين(٧٤) ، وهو أمر غير مستبعد وخاصة مع علمنا بأن بلاط صلاح الدين الأيوبى كان يضم العديد من الولاة والجند الذين قدموا من الأقاليم الشرقية للخلافة العباسية ، وأن أغلبهم كانوا ينتسبون إلى أصول تركية أو كردية أو فارسية(٧٥) .

ورجع أيضا أن كلاً من على بن محمد ، وإبراهيم بن أبى بكر كانا يشغلان منصب نائب قلعة(٧٦) صدر ، رغم خلو النقوش الستة من الإشارة إلى هذه الوظيفة ، ورغم خلو المصادر التاريخية من آية معلومات تعين التعرف عليهما . وذكر أن الأول شغل منصب نائب القلعة

خلفًا للأمير صارم الدين برغش العادلى[٧٧] الذى نقل نائبًا لقلعة حلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م[٧٨] . وأشار أنه ظل شاغلاً لهذا المنصب حتى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦م استناداً إلى آخر نقش عثر عليه بقلعة صدر يحمل اسمه (النقش رقم ٥) ورجح كذلك أنه إما أن يكون قد توفى بعد هذا التاريخ أو كلف بعمل آخر الأمر الذى حتم عليه تكليف أحد أقاربه هو إبراهيم بن أبى بكر ليحل محله فى نيابة قلعة صدر فى غيابة[٧٩] .

والحق أن النقوش التى عثر عليها مؤخراً فى قلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون المعروفة قلعة أيلة تؤكد الرأى الأخير لهذا المستشرق الفرنسى ، فقد وصلنا نقشًا يحملان اسم على بن سختكمان ، الأول مؤرخ بشوال سنة ٥٨٣ هـ / ديسمبر ١١٨٧ - يناير ١١٨٨م ، يشير إلى قيامه بتجديد فرن هذه القلعة ، والثانى مؤرخ بالمحرم سنة ٥٨٤ هـ / مارس ١١٨٨م ، يسجل لنا قيامه بتجديد سور قلعة جزيرة فرعون[٨٠] ، الأمر الذى يعنى ببساطة أن على بن محمد قد شغل وظيفة نائب قلعة جزيرة فرعون منذ أواخر عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٧م ، أو فى أوائل العام التالى ، دليل أن إبراهيم بن أبى بكر قد حل محله فى نيابة قلعة صدر ويشهد بذلك النقش السادس الذى عثر عليه بهذه القلعة ، وإن كنا لا نستطيع فى الوقت الحالى تحديد الفترة التى قضاها فى نيابة قلعة صدر ، ولا ندرى أيضًا عما إذا كان على ابن محمد قد استمر فى نيابة قلعة جزيرة فرعون بأيلة ، أم عاد ثانية إلى نيابة قلعة صدر بسبب صمت المصادر والنقوش ازاء هذا الموضوع .

ويستشف من دراسة ألقاب هذين النائبين أنهما كانا من بين أفراد الطبقة الحاكمة فى عهد صلاح الدين بدليل ألقاب النسبة إليه «الناصرى»[٨١] ، وإلى أخيه العادل «العادلى» ، وإلى ابن أخيه المظفر تقى الدين عمر «المظفرى والتقوى» ، ضمن سلسلة ألقاب كل منهما . ويفهم أيضًا من دراسة سلسلة ألقاب النائب الأول على بن محمد فى كل من النقش الأول والثانى والخامس أنه كان أول الأمر من رجال السلطان صلاح الدين ثم انتقل إلى خدمة أخيه العادل كما دخل أيضًا فى خدمة ابن أخيه تقى الدين عمر بدليل نعته فى هذه النقوش بالناصرى ، فالعادلى ، فالتقوى أو المظفرى التقوى وذلك على العكس من النقشين الثالث والرابع إذ نجد فيهما لقب النسبة إلى الملك العادل «العادلى قد صار يسبق لقب النسبة إلى السلطان «الناصرى» مما يعنى أن على بن محمد قد عاد ثانية إلى خدمة السلطان كما دخل فى خدمة ابن أخيه تقى الدين عمر الذى نجد لقبيه المظفرى والتقوى ضمن ألقاب هذا النائب فى النقش الثالث .

ويستشف كذلك من ألقاب النائب الثانى إبراهيم بن أبى بكر فى النقش السادس أنه عمل أولاً ضمن رجال السلطان الناصر صلاح الدين ثم انتقل إلى خدمة العادل ومن خدمة ابن أخيه تقى الدين عمر ، الأمر الذى أكدته النصوص التاريخية التى أشارت إلى أن صلاح الدين قد عهد بنيابة الديار المصرية إلى أخيه الملك العادل فى المدة من ٥٧٢-٥٧٩ هـ / ١١٧٧ - ١١٨٣م ، ثم استدعاه ليوافيه فى الكرك وعهد إليه بولاية حلب وأعمالها[٨٢] ، وقلد حكم مصر ابنه الأكبر الملك الأفضل نور الدين على[٨٣] ، الذى أشار إليه النقش الأول ، بوصاية ابن عمه

المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ، الذى صار نائبًا عن السلطان فى الديار المصرية حتى صرف عنها سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦م ، لمنافرة وقعت بينه وبين الأفضل على ، وهذا يبدو أيضًا بوضوح من نقوش قلعة صدر الثانى والثالث والخامس التى خلت من اسم والى مصر الملك الأفضل على ، فى حين نجدها تضمنت لقب النسبة إلى نائب البلاد المظفر تقى الدين عمر الذى استبدّ بالسلطة من دون ابن عمه ، وهذه الحقيقة أكدتها أيضًا المصادر التاريخية فيما روت من أن المظفر تقى الدين كانت فيه حدة لم تكن فى النائب السابق الملك العادل ، «فاحتاج فى تقويمه إلى ندب القاضى الفاضل معه»[٨٤] وقد أفضى الأمر فى النهاية إلى وقوع الصراع والمنافرة بينه وبين الأفضل على ، وكتب إلى السلطان يشكو من اختلال أمره واشتغال سره» ، فاستدعى صلاح الدين ابنه الأفضل على إلى دمشق وأقطعها له ، وعزل ابن أخيه تقى الدين عمر ، وأصدر مرسومًا بولاية مصر لابنه العزيز عثمان بكفالة عمه الملك العادل ، الذى صرفه عن ولاية حلب ، وأعطاه بمصر البلاد المعروفة بالشرقية ، واعتمد عليه ثانية فى نيابته فى سائر الممالك المصرية[٨٥] ، الأمر الذى يؤكده النقش السادس من نقوش قلعة صدر المؤرخ فى جمادى الآخر سنة ٥٨٣ هـ / أغسطس - سبتمبر ١١٨٧م فقد خلت سلسلة ألقاب إبراهيم بن أبى بكر من ألقاب النسبة إلى المظفر تقى الدين عمر ، واشتملت فقط على لقبى النسبة إلى السلطان وإلى الملك العادل النائب الجديد للديار المصرية .

ويتضح كذلك من دراسة هذه النقوش ، أن النقش الرابع المؤرخ فى شعبان سنة ٥٨٢ هـ / أكتوبر – نوفمبر ١١٨٦م يخلو من لقب النسبة إلى النائب تقى الدين عمر ، مع أنه عاد إلى الظهور ثانية فى النقش الخامس المؤرخ فى شوال من نفس السنة / ديسمبر ١١٨٦ – ١١٨٧م ، وهى ظاهرة يصعب تفسيرها فى الوقت الحالى ، اللهم أن يكون لقب النسبة إلى النائب تقى الدين عمر قد سقط سهوا من المسئول عن تسجيل هذا النقش !!

ويلاحظ أيضًا من دراسة نقوش قلعة صدر الستة خلوها من اسم علم الدين قيصر والى الشرقية[٨٦] مع أن قلعتا صدر وأيلة كانت ضمن أعماله كما يفهم من نسخة بولاية الشرقية وردت فى ثنايا كتاب صبح الأعشى للقلقشندى[٨٧] ، وكان هذا الوالى يحرص دائمًا على توفير الحماية للقوافل المتجهة إلى هاتين القلعتين كما حدث فى المحرم سنة ٥٨٠ هـ / أبريل ١١٨٤م عندما خرج من الشرقية جماعة يخفرون إحدى القوافل مع قيصر والى الشرقية الذى أوصل القافلة إلى أيلة وصدر وعاد إلى مقر ولايته فى الخامس والعشرين من الشهر المذكور[٨٨] .

ويرجع أحد الباحثين أسباب غياب اسم والى الشرقية فى نقوش قلعة صدر إلى الأهمية الاستراتيجية التى احتلتها هذه القلعة فى بداية حكم الدولة الأيوبية ، الأمر الذى استلزم ضرورة تعيين نائبًا مستقلاً بشئونها أمدتنا النقوش التى وجدت فيها بأسماء ثلاثة منهم تولوا نيابة القلعة فيما بين ٥٧٨ – ٥٨٣ هـ / ١١٨٣ – ١١٨٧م[٨٩] ، من بينهم اثنان من أسرة سختكمان وليس ببعيد أيضًا أن يكون سبب ذلك هو أنه كان يعهد

أحيانا بأمر أقليم الشرقية إلى نائب السلطنة بالديار المصرية ، فقد روت المصادر التاريخية بصدد تعيين العزيز عثمان بن صلاح الدين واليًا على مصر فى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦م ، بدلاً من أخيه الأفضل أن السلطان سير معه عمه العادل كفيلاً له ونائبا عن الديار المصرية وأعطاه البلاد المعروفة بالشرقية[٩٠] .

بقى أن نشير فى النهاية إلى نقوش قلعة صدر الستة التى تجلو لنا أعمال أسرة سختكمان المعمارية بها تشتمل على اسم صلاح الدين الأيوبى مصحوبًا بسلسلة من الألقاب يأتى فى مقدمتها لقب مولانا الذى استخدم لأول مرة فى نقش من سنة ٣٥١ هـ / ١٠٥٩م بمسجد الشيخ محسن بن الحسين بن على بن أبى طالب فى حلب[٩١] ، كما استخدم بكثرة للخلفاء والوزراء فى العصر الفاطمى[٩٢] ، وصار منذ عهد صلاح الدين من أهم ألقاب السلاطين والملوك وأوصى الكتاب فى دساتيرهم باستعماله علمًا على السلطان[٩٣] .

ولقب سلطان الإسلام والمسلمين الذى يعطى الملقب صفة دينية إسلامية إذ تجعله المسلم الأول الذى اختاره الله لتأييد الإسلام ، والانتصار للمسلمين . وقد جاء هذا اللقب لتخلى الخلفاء العباسيين عن حماية الدين لرجال الدولة من السلاطين خاصة بعد هجمات الصليبيين ، وتصدى صلاح الدين لهم ومن هنا أطلق عليه لقب سلطان الإسلام والمسلمين لأول مرة فى نص بتاريخ ٥٧٦ هـ / ١١٨٠م فى قلعة الجبل ، وفى آخر بتاريخ ٥٧٧ هـ ١١٨١م فى خان العروس[٩٤] أى قبل ظهوره فى نقوش قلعة صدر بحوالى خمسة أعوام[٩٥] .

ونجد أيضاً لقب خليل أمير المؤمنين ضمن سلسلة ألقاب صلاح الدين فى نقوش قلعة صدر الستة الخاصة بأعمال أسرة سختكمان ، وهو من الألقاب التى عرفت منذ أيام الدولة الفاطمية حيث أطلق على الحسن بن على اليازورى عند اسناد الوزارة إليه فى المحرم سنة ٤٤٢ هـ / مايو ١٠٥٠م(٩٦) ، ثم استعمل لسلاطين بنى أيوب منذ صلاح الدين بعد أن خطب لبنى العباسى فبعث إليه الخليفة المستضىء بنور الله بالخلع والألوية ولقبه بخليل أمير المؤمنين(٩٧) الذى ظهر لأول مرة فى نقوش قلعة صدر منذ رجب سنة ٥٨١هـ / سبتمبر - أكتوبر ١١٨٥(٩٨) .

وهكذا تجلو لنا أعمال أسرة سختكمان المعمارية بقلعة صدر مرحلة هامة من مراحل العناية بالقلعة والاهتمام بها أثناء الجهاد والنضال ضد الصليبيين فى بلاد الشام ، فقد سجلت لنا النقوش التى وجدت فيها أن آخر الأعمال التى أجريت فى القلعة تمت فى سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م أى فى السنة التى حدثت فيها موقعة حطين ، الأمر الذى مكنه من إعادة فتح الطريق القديم المعروف بدرب العريش ، وترتب عليه هجرة الطريق المار بصدر ، بدليل أننا لم نعد نسمع عن هذا الطريق ولا عن قلعة صدر ، بعد أن هجرته القوافل الشامية ، وقوافل الحج المصرى المتجهة إلى بلاد الحجاز ، إذ عادت من جديد إلى استخدام الطريق المار بنخل بدلاً من صدر ، مما أفضى إلى هجرة القلعة وخرابها فى مطلع القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، فقد أشار إليها ياقوت بقوله : «قلعة خراب بين القاهرة وأيلة»(٩٩) ، مع أنها حظيت ببعض اهتمام السلطان الكامل الذى مضى إليها فى شوال سنة ٦١٨ هـ / نوفمبر ١٢٢١ /

وأمر بعمارتها ، كما زارها مرة ثانية فى شهر ذى القعدة سنة ٦٢٣ هـ / نوفمبر ١٢٢٦ بصحبة ابنه الملك المسعود ثم ودعه هناك وتوجه إلى ثغر الإسكندرية(١٠٠) .

وتروى المصادر أيضاً أن قلعة صدر صارت سجنا فى أوائل سلطنة الصالح نجم الدين أيوب الذى أودع فيها شمس الدين الخاص ، وجوهر النوبى وجماعة من الآمراء الكاملية(١٠١) الأمر الذى يؤكد هجرة هذه القلعة بعد أن فقدت أهميتها الاستراتيجية التى تمتعت بها منذ أواخر العصر الفاطمى وطوال مرحلة نضال صلاح الدين ضد الصليبيين مما جعل نوابها يتكالبون على حمايتها وتحصينها .

الهوامش

١ – اختلف العلماء بصدد نطق هذا الاسم فهو بفتح الصاد وسكون الدال عند كل من ياقوت وفيت وموتون أنظر ياقوت ، معجم البلدان م بيروت ١٩٧٩ ، جـ٣ ص ٣٩٧ ؛

G. Wiet, Les inscriptions arabes de la qal ah Guindi, Syria, III 1922, pp. 146-152, J. M. Mouton, Autour des inscriptions de la forteresse de Sadr (Qal at al-Gindi) au Sinai, AnIsl., XXVIII, 1994, pp. 29-57; Les décors animaliers de forteresse de Sadr (qal at al - Gindi), AnIsl., XXVIII, 1994, pp. 59-67.

على حين ذهب البعض الآخر إلى استخدام النطق الشائع فى الوقت الحالى بكسر الصاد ، أنظر :

M. C. Lyons, Saladin, The Politics of the Holy War, Cambridge, 1982, pp. 128, 211, 249.

٢ – كذلك الحال بالنسبة لاسم الجندى ، فهو عند جاستون فيت وتامارى بضم الجيم أنظر G. Wiet, Les inscriptions arabes, Syria III, pp. 58, 145; RCEA, 1987, IX, no 3374, p. 119; Sh. Tamari, Two Further Inscriptions from qal'at al - Jundi, Studies in Memory of Gaston Wiet, Jerusalem, 1977, p. 261.

أما حسن صادق وموتون فقد أشار إليها بكسر الجيم أنظر :

Hassan Sadek, Salah el - Din's Fort on Ras el-Gindi in Sinai, BIE, II, 1919-1920, pp. 111-112; J.M.Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, 1994, p. 29; Les décors, Anisl., XXVIII, p. 59.

٣ – نعوم شقير ، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها ، سيناء ١٩١٦ ، ص ٢٨٤ ، ٣٠٤ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٤٧ ؛ حسن الباشا ، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٩ ، تاريخ وآثار سيناء فى العصر الإسلامى ، المجلد الأول ، ص ٢٦٠ .

٤ – يلاحظ إن عبارة «العبد الخاضع لله» وردت عند G. Wiet, Les inscriptions arabes, No 2 p.60; RCEA, IX, no 3399, p. 142 بصيغة «السعيد والجامع المبارك» بيد أننا نؤيد قراءة ميشيل موتون J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, p. 31.

٥ – قرأها كل من : G. Wiet, Les inscriptions et RCEA «الملكى الافضلى» ، بيد أننا نؤيد قراءة ميشيل موتون .

٦ – وردت عند كل من : G. Wiet et RCEA شهر صفر ، بيد أن الأقرب إلى الصواب هو شهر رجب وفق قراءة ميشيل موتون .

٧ – عن هذا النص راجع أيضًا كل من : M. Har - El, The Sinai Journeys, The Route of the Exodus, San Diego, 1983, pp. 369-370; J. Barthoux, Description d'une forteresse de Saladin découverte au Sinai, Syria, III, 1922, pp. 53, 57; G. Wiet, Notes d'épigraphie syro - musulmane, Syria, VII, 1926, p. 49; une inscription de Malik Zahir Gàzi à Latakieh, BIFAO, XXX, 1931, p. 289; A.R.Zaki, Qal at Salah al - din fi Sinà, Mugallat al - gays al - misrí, oct. 1939, p. 108.

٨ – قرأها تامارى «أبو» . أنظر Sh, Tamari, Two Further Inscriptions, ins. A, p. 263.

والتصحيح عن J. M. Mouton, Autour des inscriptions, p 33.

٩ – إستخدام حرف الصاد بدلاً من حرف السين لكلمة السور يعتبر أمرًا عاديًا بالنسبة للنقوش الإسلامية راجع M. V. Berchem, Epigraphie des assassins, Journ As, IX. mai - juin 1897, p. 457; J.M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl, XXVIII, p. 33.

١٠ – قرأها تامارى «المظفر» أنظر Sh. Tamari, Two Further Inscriptions, ins. A, p. 263.

١١ – قرأها تامارى «اثنين» أنظر Sh. Tamari, Two Further, p. 263.

١٢ – عن هذا النص راجع أيضًا J. Barthoux, Description d'une fortersse, p. 57; G. Wiet, Notes d'épigraphie Syro - musulmane, p. 49.

١٣ – Sami Abd al - Malik, J.M. Mouton, Autour des inscriptions de la forteresse de Sadr Addendum, AnIsl, XXX, 1996, pp. 71-75.

١٤ – قرأ ميشيل موتون هذه العبارة «العقابة والناجاة» أنظر J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl, XXVIII, p. 34.

١٥ – أنظر J. M. Mouton, Autour des inscriptions, No.5, p. 35

أما نعوم شقير فقد قرأ هذا التاريخ «شعبان سنة تسعين وخمسمائة» أنظر تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها ، سانت كاترين ١٩١٦ ، ص ٥٦٥ ، وقد شاركه فى ذلك حسن صادق ، أنظر H. Sadek Salah el - Din's Fort, BIE, II, p. 5 ، على حين ورد تاريخ «شوال سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة» فى كل من RCEA, IX, No 342, p. 158; G. Wiet, Les inscriptions de l qal ah Guindi, ins. 3 pp. 63, 64, 151; Notes d'épigraphie, Syria, VII, p. 49; Catalogue general du musee de l'art islamique du Caire, Inscriptions historiques sur pierre, Le Caire, 1971, , ins. 66, p. 51; J. Barthoux, Description d'une forteresse, pp. 55, 57 أنظر أيضًا أحمد رمضان ، شبة جزيرة سيناء ، ص ١٥٠ ، الذى ذكر التاريخ الأخير .

١٦ – يعد ميشيل موتون الوحيد الذى قرأ السطر الحادى عشر أنظر :

J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl, XXVIII, p. 35.

١٧ – قــرأها كل من RCEA, IX, ins. 3421, p. 157; G.Wiet, Les inscriptions de la qalah Guindi, ins. 1 p. 59.

«عمر» بيد أن حرف الألف يبدو غاية فى الوضوح انظر

J. M. Mouton, Autour des inscriprions, Anisl. XXVIII, p. 37.

١٨ – وردت العبارة الأخيرة عند ؛ RCEA, IX, p. 157; G.Wiet, Les inscriptions, p. 59 وأحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ص ١٥٢ «هذين البرجين والباب المبارك وهذا الجامع» ، والتصحيح عن ميشيل موتون J.M. Mouton, Autour des inscriptions, p. 37.

١٩ – عن هذا النص أنظر أيضًا H.Sadek, Salah el - Din's Fort, pp. 113-114; J. Bartoux, Dsecription, pp. 51, 57; G. Wiet, Les inscriptions de Saladin, Syria, III, p. 311; Notes d'épigraphie syro - musulmane, p. 49; Une inscription de Malik Zahir, p. 289; Sh. Tamari, Two further, pp. 262, 265.

٢٠ – يرجح أن هذا الموقع استمد أسمه من قبيلة بنى صدر التى سكنت هذا الأقليم أنظر Qautremere, Mém. Sur l'Egypte, II, p. 211; G. Wiet, Les inscriptions arabes, Syria, III, p. 152.

٢١ – H. Sadek, Salah el - Din's Fort, BIE, II. p. 112.

عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص١١٧ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٤٧ .

٢٢ – J.M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, pp. 47-48

٢٣ – عباس مصطفى عمار ، المدخل الشرقى لمصر ، أو أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للموصلات ومعبر للهجرات البشرية ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٧٢ ، ٧٣ ؛ نظير حسان شعراوى ، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٤٠ .

٢٤ – على حين ذهب بارتو أن أطوالها تبلغ ١٤٥ × ٨٧ متراً أنظر Barthoux, Description d'une forteresse, Syria, III, p. 51 ، أما حسن الباشا فيذكر أن طولها يتراوح ما بين ١٥٠ ، ١٠٠ متر . أنظر تاريخ وآثار سيناء ، ص ٢٦١ .

٢٥ – H. Sadek, Salah el - Din's Fort, BIE, II, p. II4 ؛ عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١١٩ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٤٨ .

٢٦ – عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١١٨ ؛ أحمد رمضان ، شبة جزيرة سيناء ، ص ١٥١ .

٢٧ – H. Sadek, Salah el - Din's Fort, BIE, II, p. 113 ، عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١١٩ – ١٢٠ ؛ أحمد رمضان ، شبة جزيرة سيناء ، ص ١٥١ ؛ حسن الباشا ، تاريخ وآثار سيناء ، ص ٢٦١ .

٢٨ - أشار بارتو أن عرض هذه القاعة يبلغ ٥,٧٠م وأن طولها يبلغ ضعف هذا الرقم وإنها تقع على عمق ستة أمتار ، أنظر Barthoux, Description d'une forteresse, ; Syria, III, p. 53 H. Sadek, Salah el-Din's Fort, BIE, II. p. 114.

٢٩ - عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١١٩ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٤٩ ؛ حسن الباشا ، تاريخ وآثار سيناء ، ص ٢٦١ .

٣٠ - H. Sadek, Salah el - Din's Fort, BIE, II, p. 116; Barthoux, Description, Syria, III, p. 53; Wiet, Les inscriptions, Syria, III, p. 62, no 6; J.M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, p. 30, no 1.

أنظر أيضًا أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٤٩ ، الذى اختلط عليه الأمر وذكر أن داخل المحراب كتابة متآكلة بقى منها عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلى على محمد» ، مع أن هذا النص منقوش على محراب المسجد الكبير راجع .

Mouton, Autour, p. 39, no 8.

٣١ - H. Sadek, Salah el - Din's Fort, BIE, II, p. 115; J. Barthoux, Description, Syria, III, p. 53;

عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١١٩ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٤٩ ؛ حسن الباشا ، تاريخ وآثار سيناء ، ص ٢٦١ .

٣٢ - H. Sadek, Salah el-Din's Fort, BIE, II, p. 115;

عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١١٩ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٥٠ ؛ حسن الباشا ، تاريخ وآثار سيناء ، ص ٢٦١ ، على حين ذكر بارتو أن طوله ١٠,٧٠م وعرضه ٥,٦٠م أنظر J. Barthoux, Description, Syria, III, p. 54

٣٣ - J. M. Mouton Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, pp. 39-45 nos. 7,8,9.

٣٤ - H. Sadek, Salah el - Din, BIE, II p. 115; J. Barthoux, Description, Syria, III, p. 55.

٣٥ - J. Borthoux, Description, Syria, III, p. 55.

٣٦ - نعوم شقير ، تاريخ سينا ، ص ٥٦٣ ؛ عبد الرحمن زكى ، قلعة ، صلاح الدين ، ص ١١٩ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٥٠ .

٣٧ - J. Barthoux, Description, Syria, III, p. 55 ، على حين ذكر حسن صادق أنها عبارة عن قاعة مربعة تبلغ مساحتها ١٥م٢ أنظر - H. Sadek, Salah el Din, BIE, II, p. 116 وقد نقل عنه كل من عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١٢٠ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٥١ ؛ حسن الباشا ، تاريخ وآثار سيناء ، ص ٢٦١ .

٣٨ - عن أهمية هذه العين بالنسبة لطريق الحج أنظر الجزيرى ، درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ ، ص ٤٨٨ ، ٤٩٠ .

٣٩ - عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ١٢٠ ؛ أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٤٨ .

٤٠ - J. M. Mouton, Autour des inscriptions, Anlsl., XXVIII, p. 480

٤١ - أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧هـ ، ج٢ ، ص ١٦٦ ؛ G. Wiet, Les inscriptions arabes, Syria, III, p. 148; J. M. Mouton, Autour des insciptions Anlsl., XXVIII, p. 48.

٤٢ - ابن واصل ، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ ، جـ١ ، ص ١٣٨ .

٤٣ - ابن واصل ، مفرج الكروب جـ١ ، ص ١٥٦ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، تحرير ونشر حسن الشماع ، بغداد ١٩٦٧ ، المجلد الرابع ، جـ ، ص ٢٨ .

٤٤ - أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ عبد المنعم ماجد ، ظهر خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٤٩٠ - ٤٩١ ؛ J. M. Mouton, Autour des inscirptions, Anlsl., XXVIII, p. 49.

٤٥ - يفهم من المقريزى أن هذه البركة كانت تقع فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها ، أى أربعة فراسخ ، وقد عرفت بعدة مسميات منها جب عميرة ، وأرض الجب ، وبركة الجب ، والجب والبركة ، ثم استقر اسمها على بركة الحاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعودتهم . أنظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٢٧٠ هـ ، جـ٢ ، ص ١٦٣ ؛ أمال العمرى ، بركة الحاج خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٧ .

٤٦ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل جـ ١١، ص ٢٧٤ ؛ المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ ، جـ ١ ، ق ١ ص ٥٨ ؛ G. Wiet Les inscirptions arabes, Syria, III. p. 146.

٤٧ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ص ٢٦٦ ؛ G. Wiet Les inscriptions arabes, Syria, III, p. 146.

٤٨ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص ٦ ؛ G. Wiet, Les inscriptions arabes, Syria III, p. 147 .

٤٩ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ١٩ – ٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ٢٠٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ١١ ، ص ٣١٠ .

٥٠ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص ٢٨ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٩٣ ؛ G. Wiet; Les inscriptions arabes, Syria, III, p. 147.

٥١ – بليدة بينها وبين غزة أربعة فراسخ ، وهى بعد غزة فى الطريق إلى مصر وكان بها قلعة يرى الواقف بها البحر . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٥٢٥ ، ٥٣٧ .

٥٢ – المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ٨٠ .

٥٣ – المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ٨٣ .

٥٤ – المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ٩٣ .

٥٥ – البندارى ، اختصار سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٣٢٢ .

٥٦ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص ٢٧٦ ؛ البندارى ، اختصار سنا البرق الشامى ، ص ١٣٩ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ٦٥ .

٥٧ – المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ٧٢ ، ٧٥ .

٥٨ – ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة ليدن ١٨٦٣ ؛ جـ١١ ، ص ٣٢٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ٧٨ – ٧٩ .

٥٩ – راجع حاشية رقم ٥٦ .

٦٠ – المقـريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٣٣ ؛ السلوك ، جـ١ ، ص ٥٢ ؛ كـريزويل ، وصف قلعـــة الجبل ، ترجمة جمال محمد محـــرز ، الـقــاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٤ – ١٥ ؛ عبد الرحمن زكى ، قلعة صلاح الدين ، ص ٣ .

٦١ – SH. Tamari, Two Further Inscriptions, p. 265.

٦٢ – J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, p. 49.

٦٣ – راجع الهامش رقم (٣٠) .

٦٤ – ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص ١٣٨ ؛ ابن الفرات ، تاريخ الدول ، جـ١ ، ص ٦٧ ؛
J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl. XXVIII, p. 49.

٦٥ – بلدة بجـزيرة صـغـيرة كانت تقع إلى الشـمـال الشـرقى من بحـيرة المنزلة ، قرب بورسعيد الحالية ، أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٨٨ .

٦٦ – المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣١٥ ؛ السلوك ، جـ١ ص ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٦٧ .

٦٧ – يلاحظ أن لفظة «أعمر» تبدو نادرة الاستـخدام فى الكتابات والنقوش التى وصلتنا من العصر الأيوبى أنظر : RCER., IX, X, XI .

٦٨ – J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl. XXVIII, p. 43.

٦٩ – G. Wiet, Les inscriptions de la qal ah, Syria III, p. 63; Inscriptions historiques, p. 51.

٧٠ – Sh. Tamari, Two Further, pp. 263, 264.

٧١ – Desmaisons, Dictionnaire Persane - Française, II, p. 198.

٧٢ – ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٨٣ ، جـ٨ ، ص ٤٥ ، ٦٥ .

٧٣ – ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١١ .

٧٤ – J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl. XXVIII, p. 43.

٧٥ – S. Elbeheiry, Les institutions de l'Egypte au temps des ayyubides, Lille, 1972, p. 8.

٧٦ – عن وظيفة نائب القلعة أنظر ، العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢ ، ص ٩٤ – ٩٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ١١ ، ٨٢ ، ٩٢ ؛ جـ١٢ ص ٢٦ ، ٣٢ .

٧٧ – سبق أن نوهنا أنه عثر بقلعة صدر عن نقش يحمل اسم صارم الدين برغش العادلى مؤرخ فى شهر ذى القعدة سنة ٥٧٨ هـ / مارس ١١٨٣م راجع G. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl. XXVIII, p. 30, No1.

٧٨ – يفهم من المصادر التاريخية أن هذا الأمير شغل وظيفة نائب قلعة حلب اعتباراً من سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م ، ثم عمل نائبًا لقلعة دمشق فى سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ – ١١٩٩م واستمر شاغلاً لهـذه الوظيفـة حتى وفـاته فى سـنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ – ١٢١٢م . أنظر ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٩٥٤ ، جـ٣ ، ص ٧٤ – ٧٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، القاهرة ١٩٣٢ ، جـ١٣ ، ص ٢٠ ومابعدها ؛ النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق الحسنى ، بيروت ١٩٨٨ ، جـ١ ، ص ٢٥٦ . ويبدو أنه شغل أيضًا وظيفة أمير الحج فى سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ – ١٢٠٥م . أنظر ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٦ ، ص ١٨٧ .

٧٩ – J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, p. 54.

٨٠ – عثر على هذين النقشين فى أثناء الحفائر التى قام بها المجلس الأعلى للآثار فى موقع القلعة عام ١٩٨٧ وتم نقلهما إلى متحف بورسعيد ، ثم أعيد نقلهما إلى متحف طابا فى عام ١٩٩٤ حيث تم عرضهما هناك . أنظر J. M. Mouton, S. Abd al - Mâlik, La forteresse de l'ile de graye (Qal' at Ayla) à l'époque de Saladin, AnIsl., XIX, pp. 76 - 77.

٨١ – من المعروف أن لقب الناصر أضفاه الخليفة الفاطمى العناصر على صلاح الدين حين عهد إليه بالوزارة وصار ينعت بالملك الناصر . أنظر أبو شامة ، الروضتين جـ١ ، ص١٦١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٩ ، ص ٤٠٤ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٣٣ ؛ حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٢٥ . وقد سبب هذا اللقب لصلاح الدين مشكلة مع الخليفة العباسى أحمد بن المستضىء الذى لقب بالناصر وكتب إلى صلاح الدين فى سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٨م ينكر عليه بعض الأمور ومن بينها تلقبه بالملك الناصر ، إذ أنه لقب خاص بأمير المؤمنين «وما يستصلحه المولى فهو حرام» على أن صلاح الدين لم يلق بالا لهذا الاعتراض . أنظر مرعى بن يوسف ، نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين ، مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم ٣٢٥ ، ٢٣ ، ورقة ٧ ؛ حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٧٩ .

٨٢ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص ٢٦٦ ، ٢٧٥ ؛ ج٢ ، ص ١٩ ، ٥١ ، البنداري ، سنا البرق الشامي ، ص ١٤١ ، ١٨٢ ، ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٩ ، ص ١٥٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٢ .

٨٣ – أشار المقريزي في أحداث سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م أنه قرئت وصية سلطانية تضمنت ولاية الملك العزيز عثمان بن السلطان لمصر بكفالة ابن عمه تقي الدين عمر ، وولاية الملك الأفضل أكبر أبناء السلطان على الشام بكفالة عمه العادل صاحب . حلب أنظر السلوك ، جـ١ ، ص ٨٥ . ثم عاد فذكر في أحداث ٥٨٢ هـ / ١١٨٦م أن السلطان استدعى ابنه الأفضل عليا من مصر لمنافرة كانت بينه وبين ابن عمه تقي الدين . السلوك جـ١ ، ص ٩٢ .

٨٤ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص ٥٣ .

٨٥ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ص ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ؛ البنداري ، سنا البرق الشامي ، ص ٢٢٣ – ٢٣٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٩ ، ص ١٧٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٩١ – ٩٢ .

٨٦ – المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص ٨٠ .

٨٧ – القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١١ ، ص ٤٤ .

٨٨ – المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص ٨٣ ، ٨٧ .

٨٩ – J. M. Mouton, Autour des inscriptions, AnIsl., XXVIII, p. 52.

٩٠ – أبو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص ٧٠ ؛ البنداري ، سنا البرق الشامي ، ص ٢٨١ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص ٩١ .

٩١ – RCEA, IV, p. 181, No. 1557

٩٢ – زكي حسن ، كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٢٠٢ ؛ RCEA, V, p. 160, no 1937 VI, p. 73, No 2137.

٩٣ – القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٣٠٥ ؛ جـ٧ ، ص ٨٧ ؛ حسن الباشا الألقاب الإسلامية ، ص ٥٢٠ .

٩٤ – RCEA, IX. pp. 108, 115, nos. 3359, 3368.

٩٥ – أشـار فـان برشم أن هذا اللقب لم يظهـر فى النقـوش قـبل سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧-١١٨٨م . أنظر M. Van Berchem, Matériaux pour un corpus insriptionum arabicarum, I,Egypte, Paris, 1903°p. 299; P. Balog, The Coinage of the Ayyubids, London, 1980, p. 81.

٩٦ – الصـيـرفى ، الإشـارة إلى من نال الوزارة ، القـاهرة ١٩٢٤ ، ص ٣٧-٤٨ ؛ محمد حمدى المناوى ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٥٧ .

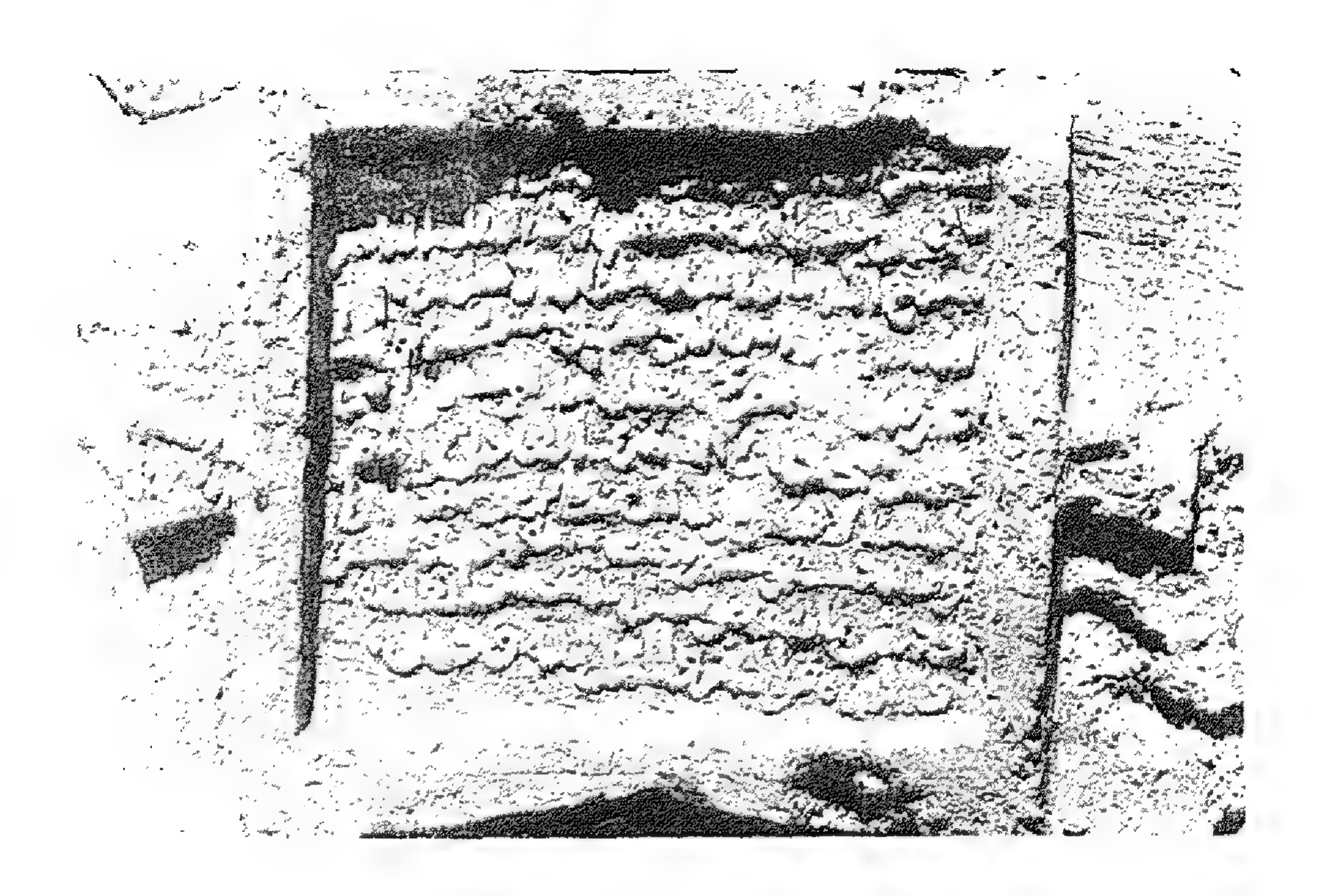
٩٧ – مرعى بن يوسف ، نزهة الناظرين ، مخطوط ، ورقة ٤٠ ؛ حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٢٠٠ .

٩٨ – G. Wiet, Les inscriptions de Saladin, Syria, III, 1922, p. 318; N. Elisseeff, Les titulatures de Nur ad - Din d'après ses inscriptions, BEO, XIV, 1952-1954, p. 193.

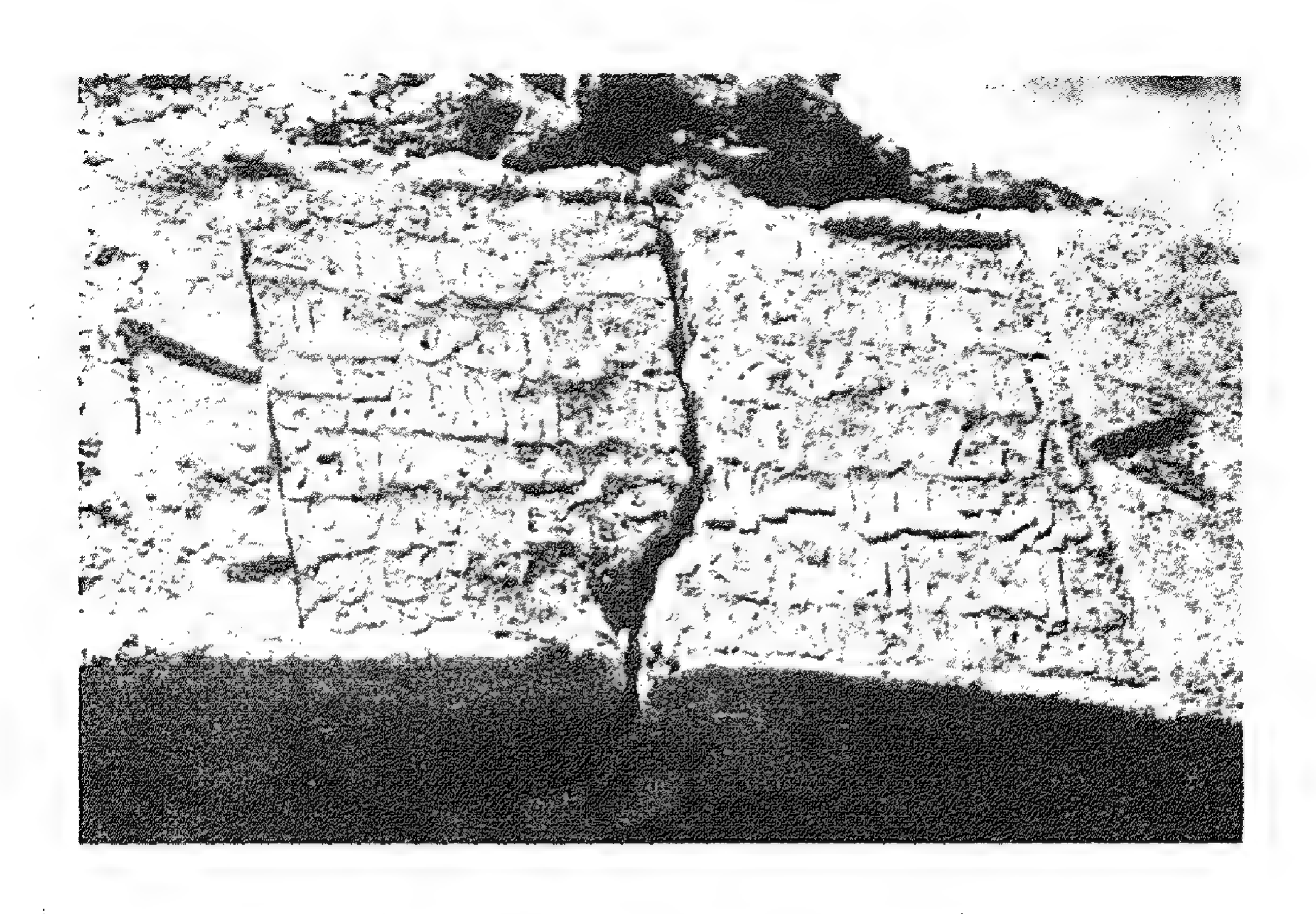
٩٩ – ياقوت ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٩ ، جـ٣ ، ص ٣٩٧ .

١٠٠ – ابن الـدوادارى ، كـنز الـدرر وجامع الغرر ، القـاهرة ١٩٦١ ، جـ٧ ، ص ٢١٦ ، ٢٠٨ .

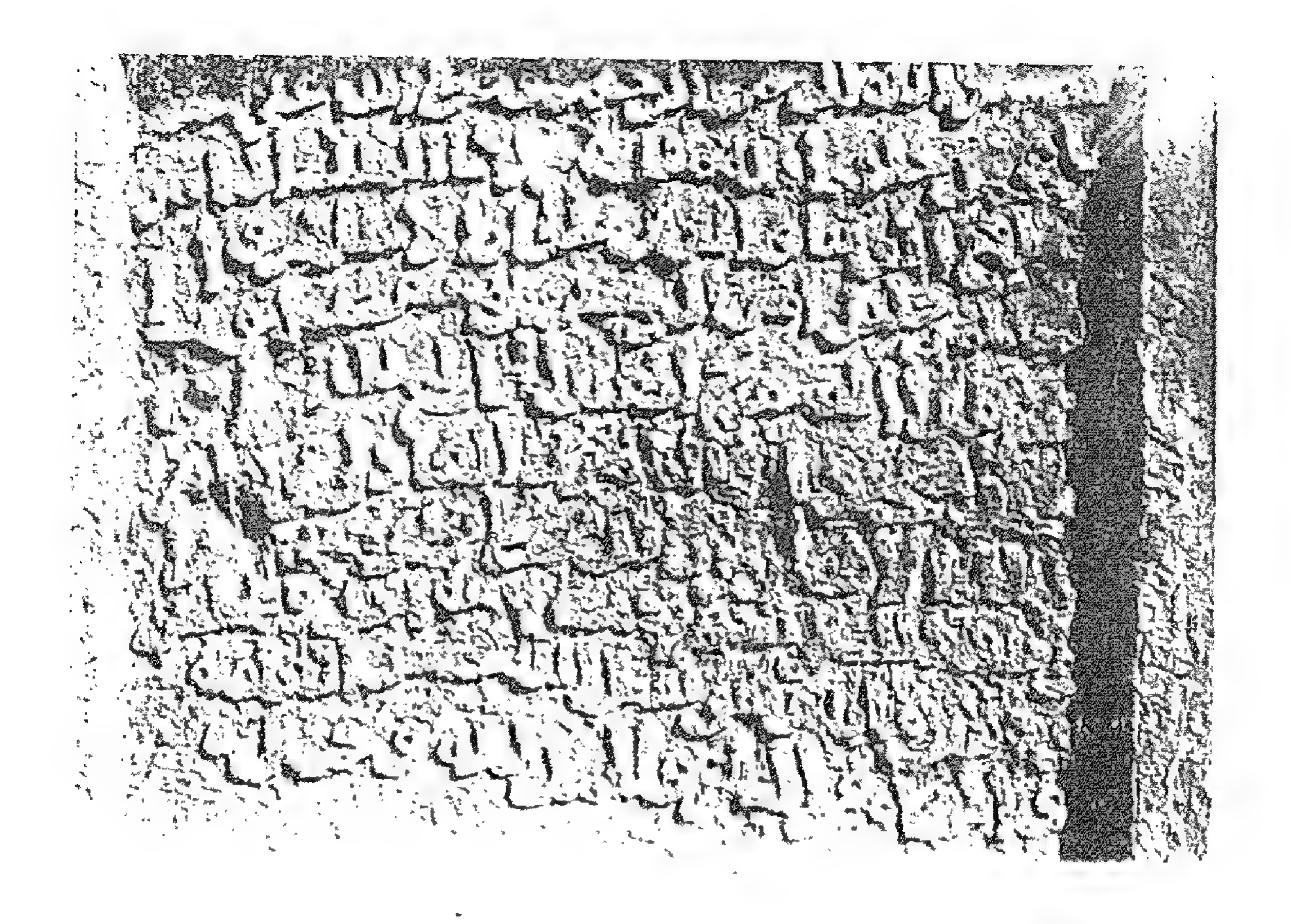
١٠١ – ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص ٢٧٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجـوم ، جـ٦ ، ص ٣٢٠ .



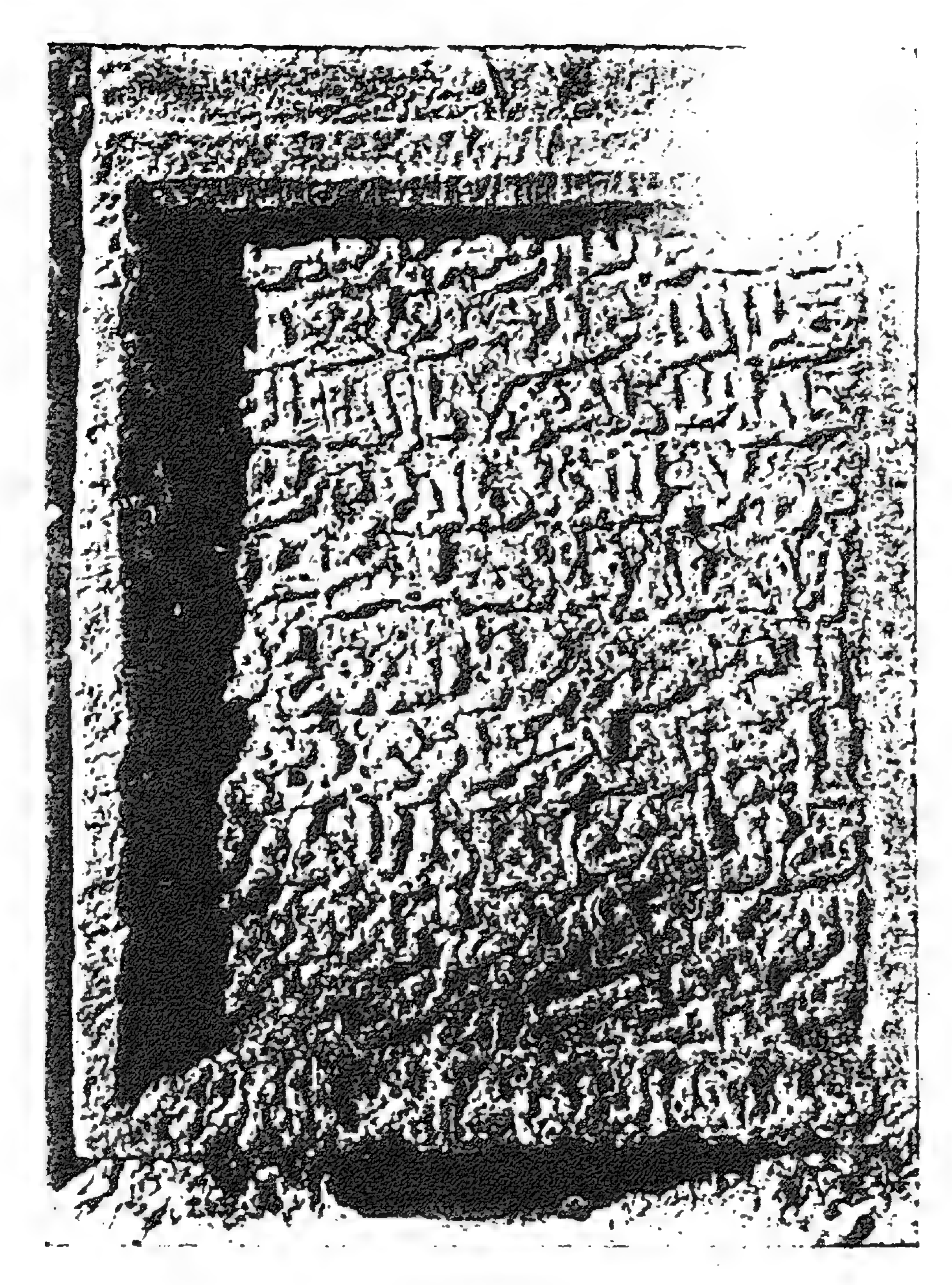
(لوحة رقم ١)



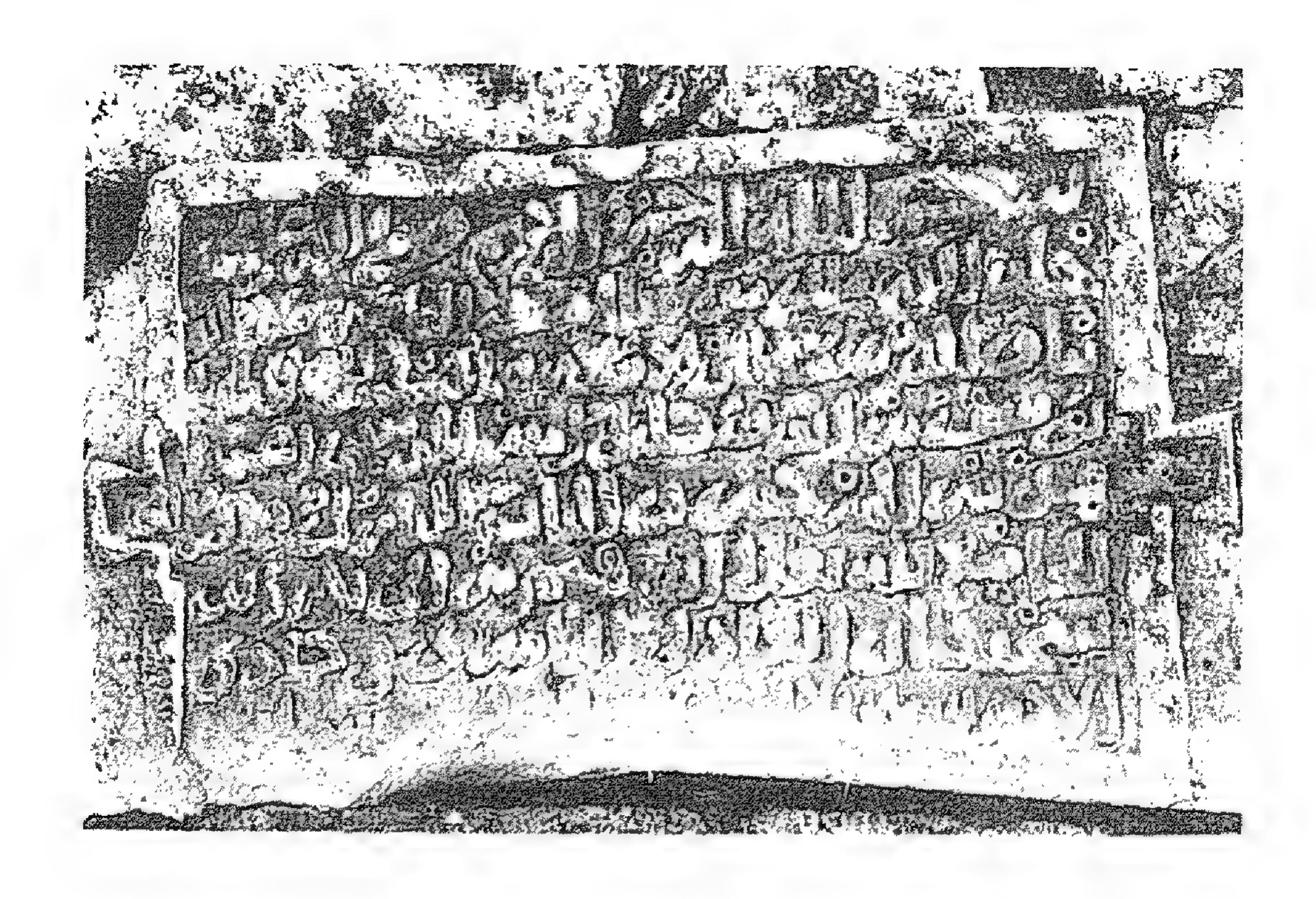
(لوحة رقم ٢)



(لوحة رقم ٣)



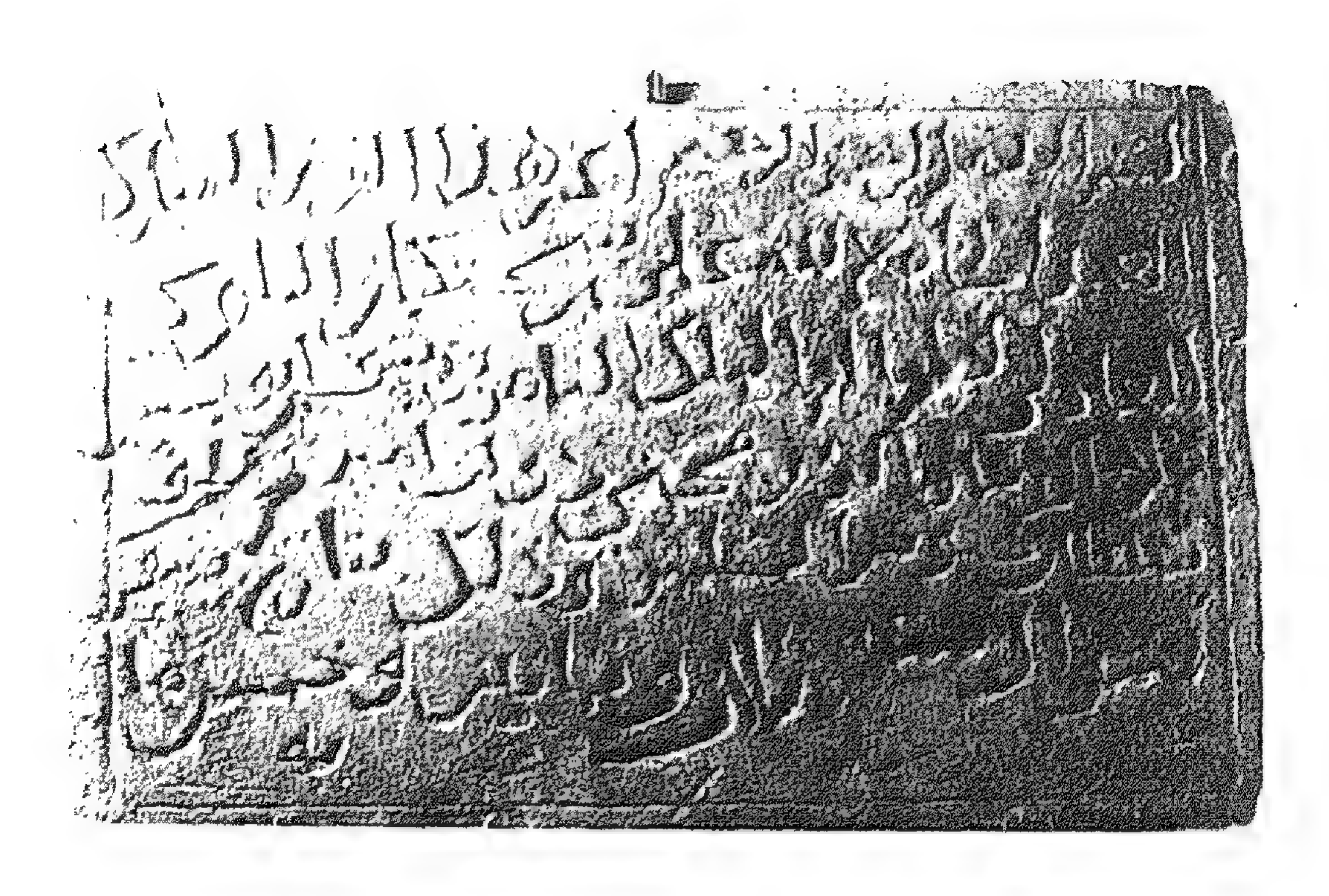
(لوحة رقم ٤)



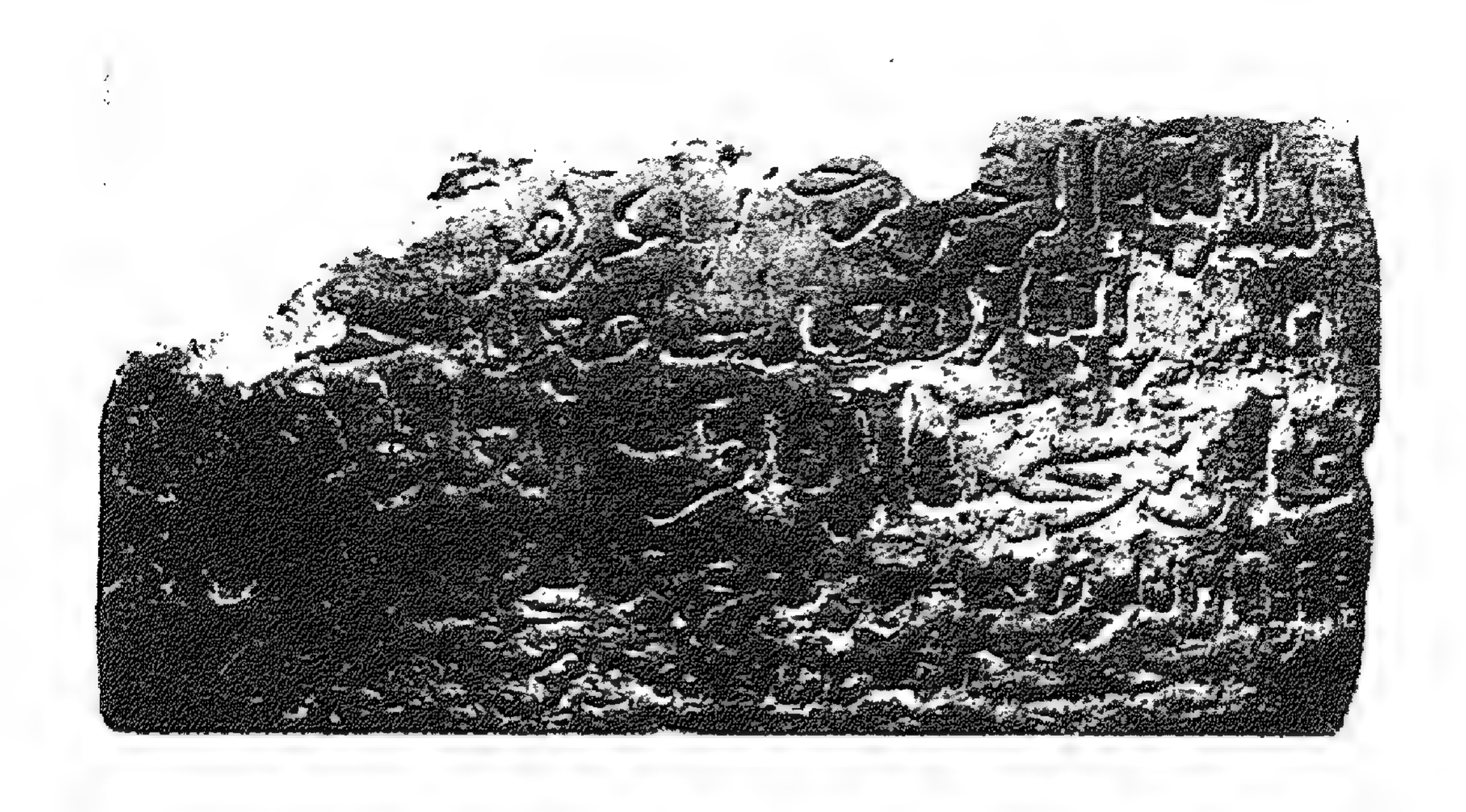
(لوحة رقم ٥)



(لوحة رقم ٦)



(لوحة رقم ٧)



(لوحة رقم ٨)

آثار سيناء الإسلامية المستردة

أ. د. رأفت محمد النبراوى

عميد كلية الآثار جامعة القاهرة

ورد اسم سيناء كثيراً فى النصوص المصرية القديمة والتوراة والانجيل والقرآن إذ تتمتع بشهرة واسعة بما تضمنه من مناجم الفيروز ، والنحاس التى استغلها قدماء المصرين منذ العصور القديمة . بل اشتهرت كذلك بأنها أقدم طريق حربى فى تاريخ العالم القديم سلكته الجيوش المصرية إلى آسيا وكما سلكته الجيوش التى جاءت لغزو وادى النيل . فكانت المدخل الشرقى لمصر مسرحاً لمعظم العمليات الحربية التى خاضتها كما تعد من المنافذ الهامة لقوافل التجارة والحج .

ومنذ احتلت اسرائيل سيناء سنة ١٩٦٧م قامت بنشاط ملحوظ بالكشف عن الآثار ممثلة فى جامعاتها ومتاحفها كمتحف بن جوريون ومتحف اسرائيل القومى والمعاهد والجامعات مثل جامة تل أبيب ومراكز الأبحاث الإسرائيلية إلى جانب عدد من الشخصيات العامة بالجيش الإسرائيلى .

وكانوا يستهدفون إثبات حق تاريخى لهم وكان من ثم تركيزهم على الآثار منذ عصور ما قبل التاريخ إلى العصور الفرعونية واليونانية والرومانية القبطية والإسلامية غير أن العصور الإسلامية لم تلق ما لقيته الأحقاب السابقة من العناية والاهتمام .

فلما أن تمكنت مصر من استرداد سيناء كاملة كان لزاما عودة تراثها الذى استخرجته اسرائيل من باطن الأرض بالبحث والتنقيب ومن ثم وجبت الأشارة إلى الدور الهام الذى تصدت له الصحافة المصرية والمثقفون المصريون فى المطالبة بعودة آثار سيناء ، وكان أن صدر فى ٣ يناير ١٩٩٣م قرار السيد الأستاذ/ (فاروق حسنى) وزير الثقافة بتشكيل لجنة تعمل على استرداد آثار سيناء التى كشفت عنها البعثات الإسرائيلية منذ سنة ١٩٦٧ وحتى سنة ١٩٨٢م .

وكان أن وضع جدول زمنى أتفق عليه بين الجانبين المصرى والإسرائيلى يتضمن أربع دفعات تبدأ من يناير ١٩٩٣ وتنتهى فى ديسمبر سنة ١٩٩٤م لاسترداد آثار التى استخرجت من ٥٩ موقعًا ، وقد تسلم الوفد المصرى أول ما تسلم المخطوطات التى عثر عليها ضباط الاحتلال بقلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون جنوب سيناء وذلك فى اليوم الأول من يناير سنة ١٩٩٣م بتل أبيب وعددها ١٤٤ مخطوطًا فضلاً عن عدد كبير آخر من الموقع نفسه وهو من كتابات عربية من العصرين الأيوبى والمملوكى ، قطع من نسيج يمنى أو نسيج مصرى .

وقد عرضت اسرائيل فى متاحف جامعة بن جوريون ، ومتحف اسرائيل القومى ومتحف جامعة تل أبيب ، من آثار هذه الدفعة الأولى محتوى ٢٨ صندوقًا و ١٠ لوحات يونانية رومانية ، أما الدفعة الثانية

فقد ضمت ١٠٣ صناديق ، والدفعة الثالثة ٤١٥ صندوقًا . أما الرابعة والأخيرة فقد وصلت مصر بطريق البر من القدس عبر منفذ رفح المصرى فى ٨٣٨ صندوقًا بأحجام كبيرة ومتوسطة آثار فرعونية ويونانية ورومانية وإسلامية ، كان منها لوحات فرعونية كبيرة الحجم ، وشواهد قبور من الجبانة المسيحية بموقع الخوينات الأثرى بشمال سيناء ، وقلعة صلاح الدين الأيوبى ذات الدور المؤثر فى حماية الشواطىء العربية فى مصر والحجاز والأردن وفلسطين وخاصة أثناء الصراع الصليبى العربى .

وهذا يوضح كثرة القلاع والحصون المنتشرة فى معظم انحاء سيناء وتبين أيضًا جهود صلاح الدين الكبيرة خلال الغزو الصليبى لبلاد الشام فى إنشاء حصون مثل قلعة الجندى بوادى سدر وقلعة جزيرة فرعون كما قام بإصلاح طريق العريش . وهذه الحصون تقع بالقرب من درب الشعوى الذى اجتازه صلاح فى حروبه مع الصليبيين . وقد شيدت هذه القلعة على بعد ستين كيلو متر من مدينة نويبع جنوبى طابا بحوالى ثمانية كيلو مترات ليكون نقطة حصينة لحماية الطرق البرية والبحرية بين مصر والشام والحجاز وقاعدة بحرية متقدمة لتأمين خليج العقبة والبحر الأحمر من أى غزوة بحرية صليبية ، وكان لموقع القلعة المحاطة بالمياه من كل جانب ، وبعدها عن الشاطى بمسافة ٢٥٠ مترًا ، ولقربها من مصادر المياه الصالحة للشرب . ولارتفاعها النسبى عن سطح المياه ، ولسهولة امتدادها بالذخائر والمؤن وكشفها للطرق على أرض سيناء . مما يفقدها جميعها لعنصر المفاجأة لسهولة اكتشافهم والاستعداد لهم أثر كبير فى أهميتها الاستراتيجية .

وقد بدأ صلاح الدين في بنائها بعد انتصاره على الصليبيين وطردهم من جزيرة ايله سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م . وظلت هذه القلعة طوال العصر الأيوبى تلعب دوراً هاماً فى الصراع الإسلامى الصليبى كأهم نقطة إنذار متقدمة وواحدة من القلاع القليلة التى دخلت ضد الصليبيين فى حرب مباشرة ، وقامت بدور حيوى فى حماية خليج العقبة والبحر الأحمر وبلاد الحجاز من الوقوع تحت السيطرة الصليبية .

وهذه القلعة تشتمل على عدة غرف لحفظ المؤن والمعدات المطلوبة للجند ، وحول هذه الغرف سور تتخلله أبراج للمراقبة وفى السور وفى الأبراج فتحات لرمى العدو بالسهام (المزاغل) فى حالة مهاجمة القلعة ، كما تحتوى على صهريج مياه ضخم ، كذلك احاطها صلاح الدين بسور ضخم سميك من الحجر .

كما عادت التحف الخزفية التى درستها باحثة إسرائيلية للدكتوراه عن الخزف الإسلامى فى شمال سيناء ضمن الآثار العائدة من إسرائيل .

وفى قلعة نخل عثرت بعثة إسرائيلية على :

١ - نقود أثرية إسلامية .

٢ - قطع نحاسية إسلامية .

٣ - لوحة عليها كتابات بالخط العربى .

وتقع قلعة نخل فى قلب شبة جزيرة سيناء وهى من أجمل القلاع التى شيدها السلطان قانصوه الغورى سنة ٩١٥ هـ ، وهى تبعد عن السويس بمقدار سبعين ميلاً وترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالى ١٧٥٠ قدماً وتشكل القلعة مربعاً يتراوح طول أضلاعه من ٣٧ إلى ٣٩ ياردة وارتفاعها من ٢١ إلى ٢٥ قدماً وبالقلعة خمسة أبراج كبيرة مستديرة

فى كل ركن من الأركان الأربعة . أما البرج الخامس فيتوسط الضلع الشمالى حيث المدخل الرئيسى للقلعة ، والقلعة بنيت بالحجر الجيرى . ويحيط بها من جهاتها الأربع من الداخل طابقان من الغرف الضيقة . وفوق السور وأعلى القلعة فتحات لرمى السهام فى أضلاع القلعة الأربعة وفى جدران الأبراج الخمسة المستديرة .

وفى منطقة دهب حيث حصن نبطى عثرت البعثات الإسرائيلية فيه على عديد من التحف الإسلامية المنقولة كالخزف والنقود وكذلك تصدت بعثات علمية إسرائيلية لدراسة آثار سيناء الإسلامية خاصة فى بعض القلاع كقلعة الطينه ، وقلعة الجندى ، وقلعة نحل وقلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون ودرب الحج المصرى .

أما الجهات العلمية التى اشتركت فى الإشراف على أعمال حفائر سيناء خلال الاحتلال الإسرائيلى ١٩٩٧ - ١٩٨٢ فهى :

1 - Institue of Archaeology. Tel. Aviv University Israel.

2 - Ben - Gurion University - Beer - Sheva Israel.

3 - The Israeli National Academy of Science Jerusalem Israel.

4 - Istituto orientale pi Naboli.

5 - The Hebrew University of Jerusalem

- معهد الآثار بالجامعة العبرية بالقدس .
- قسم دراسة علم الحيوان بالجامعة العبرية بالقدس .
- جامعة الينوى الأمريكية .
- متحف القدس .
- متحف تل أبيب - إسرائيل .

- متحف هارتس إسرائيل .
- متحف روكفلر بالقدس إسرائيل .
- متاحف الجامعات الإسرائيلية (جامعة تل أبيب - جامعة بن جوريون - الجامعة العبرية) .
- متحف آثار سيدنى باستراليا .

وقد استقرت هذه الأعداد الكبيرة من الآثار التى استردت من إسرائيل فيما يقرب من ١٣٨٤ صندوقًا الآن بالمتحف المصرى والمركز العلمى لآثار سيناء بالقنطرة شرق . ومتحف طابا . ويقوم المجلس الأعلى للآثار الآن بفحصها لتصنيفها وتسجيلها واختيار ما سوف يعرض بمتحف العريش ، ولئن لم نتمكن من حصر التحف الإسلامية هذه الصناديق لإلقاء الضوء عليها فإننا نناشد المجلس الأعلى للآثار بسرعة تصنيفها وتسجيلها والسماح للباحثين بدراستها لكشف الكثير من الحقائق والمعلومات عن سيناء المصرية .

ملخص بحث

آثار سيناء الإسلامية المستردة

أ. د. رأفت محمد النبراوى

عميد كلية الآثار جامعة القاهرة

يتناول هذا البحث الآثار الإسلامية التى عثرت عليها البعثات الإسرائيلية خلال تنقيبها بسيناء منذ سنة ١٩٦٧ وحتى سنة ١٩٨٢ وقد عادت هذه التحف حسب الاتفاقية التى وقعت بين مصر وإسرائيل والتى بموجبها اتفق على عودة هذه الآثار إلى مصر على أربع دفعات أولها فى يناير ١٩٩٣ وأخرها فى ديسمبر سنة ١٩٩٤م وأهم الآثار الإسلامية التى عثر عليها كانت فى قلعة نخل وهى عبارة عن نقود وقطع خزفية وفخارية ومسارج ولوحة بالخط العربى كذلك عثرت هذه البعثات على حوالى ١٤٤ ورقة مكتوبة بخط اليد ترجع إلى العصر المملوكى ، وللأسف فإن هذه الآثار لم يتم تصنيفها أو تسجيلها من قبل المجلس الأعلى للآثار حتى نتعرف على بياناتها من حيث نوعها وزخارفها وكتاباتها والفترة الزمنية التى تنتمى إليها ونتمنى سرعة تنفيذ ذلك لما له من فائدة كبيرة على الباحثين والمهتمين بالدراسات الأثرية الإسلامية .

استرداد آثار سيناء ١٩٩٠ - ١٩٩٤

أ. د. محمد إبراهيم بكر

بدأت ملابسات موضوع استرداد الآثار المهربة الناتجة عن أعمال الحفائر الأثرية على مدى خمسة عشر عاماً من التنقيب فى سيناء أثناء الاحتلال الإسرائيلى من عام ١٩٦٧م حتى عام ١٩٨٢م عندما أصدر أ. د أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار عام ١٩٨٣م قراراً بتشكيل لجنة لدراسة واستلام الآثار المصرية لدى السلطات الإسرائيلية وبدىء فى تناول المعلومات الأساسية من ملفات الهيئة ، ومما نشر فى الدوريات العلمية عن حفائر (محجر التاريخ) بجامعة تل أبيب بالاشتراك مع جامعة ميتشجين الأمريكية ، واستقصاء ما نشر بعامة عن الحفائر التى تولاها الأثريون .

وقد كلف السيد الدكتور/ محمد عبد المقصود بالسفر إلى فرنسا شهراً ونصفاً استقصاء للموضوع . وانفقت اللجنة سنوات فى إعداد التقارير العلمية استعداداً للتفاوض .

والواقع أننا لابد أن نقرر أن كل ما جمعه الجانب المصرى عن الحفائر الإسرائيلية لا يحيط بكل ما كشف أثناء الاحتلال الإسرائيلى

خاصة وأن النشر العلمى طبقًا للتقارير الإسرائيلية لم يستوف حتى الآن .

وكانت النية قد انعقدت على ألا نكشف أوراقنا منذ إبلاغ الجانب الإسرائيلى فى منتصف عام ١٩٨٧ حتى وافقت إسرائيل أخيراً على سفر وفد المفاوضات المصرى عام ١٩٩٣ لأن ما كان جمع من مقالات وما ألقى فى المؤتمرات العلمية لم يجاوز تقارير أولية لا تتضمن توثيقًا علميًا شاملاً لكل ما استخرج من آثار . أى أن ما أعده الجانب المصرى إنما يمثل سجلاً غير كامل لما كان متوقعًا لدى الجانب الإسرائيلى من آثار مصرية ، ومن ثم عمد الوفد المصرى إلى استكمال السجل من المصادر الإسرائيلية فى إسرائيل ذاتها بالاطلاع على ما لم ينشر من رسائل الدكتوراه التى تناولت آثار سيناء فى الجامعات والمعاهد الأثرية ، وعلى الأفلام التسجيلية التى أعدتها جامعة بن جوريون فى بئر سبع عن أعمال الحفائر التى تولاها فى شمال سيناء ، وخاصة فى موقع «قصرويت» أستاذ الآثار بتلك الجامعة ، وكانت جامعة بن جوريون قد خصصت متحفًا مفتوحًا للزيارة تعرض فيه الآثار المستخرجة من حفائرها فى شمال سيناء ، وكان بعض الإسرائيليين قد قدموا صوراً منه للسفارة المصرية فى إسرائيل . كما تمكن أعضاء الوفد المصرى من زيارته والاطلاع على سجلاته وطلب صور وبيانات منها لضمها للتقرير . وذلك فضلاً عما صدر فى إسرائيل ذاتها من مطبوعات ، ومقالات عن آثار سيناء لم تكن متوفرة فى الخارج ، وكان ممكنًا طلبها أو شرائها مباشرة من المعاهد والمتاحف والجامعات الإسرائيلية بعون السفارة المصرية لاستكمال التقرير لما لم يكن سبقت مطالبة الجانب الإسرائيلى بأرقامها

فى السجلات وعددها وأنواعها ، فقد رأينا التقدم بذلك لاختبار جدية الجانب الإسرائيلى للدخول فى مفاوضات ، خاصة وأن كثيراً من علماء الآثار الإسرائيليين فى المؤتمرات الدولية كانوا يبدون استعداداً لتقديم مثل هذه الكشوف أو القوائم دليلاً على التحضر أمام الرأى العام العالمى والجهات العلمية .

وكان قد اتفق على أن يضم إلى تقارير اللجنة ما نشر بالعبرية والانجليزية عن مذكرات ابنة موشى ديان وزير الحرب الإسرائيلى وقت احتلال سيناء ، لما ورد به من معلومات عن مقتنياته من الآثار المصرية من مختلف المواقع مثل تل الفرما (بيلوزيوم) وتل الحير وتل الفضة وما يمكن شراؤه من إسرائيل . كانت مطالبة الجانب الإسرائيلى بخرائط تحدد المواقع الأثرية وأسماء بعثات الحفر عوناً لنا فى تحديد مواقعها وبعثات الحفائر المصرية فضلاً عن مشروع ترعة السلام لزراعة ٦٠٠,٠٠٠ ألف فدان شمال سيناء فى مناطق تدعى إسرائيل أنها كشفتها وعملت المسح الأثرى لها ، وأنها أعدت خرائط بعديد من مواقع أثرية أنفقت عليه من الدعم المالى الذى وصلها من الدول الأجنبية وقد بلغت المواقع الأثرية المكتشفة ١٣٠٠ موقع من قطاع غزة إلى قناة السويس . ويلاحظ أن معظم البعثات العاملة أثناء الاحتلال إنما كانت بعثات مشتركة مع جهات أجنبية أخرى أجريت معها عمليات قسمة وإهداء للآثار المكتشفة ، ونحو ذلك من المشاكل التى واجهت المفاوضين لاسترداد هذه الآثار .

على أن هناك مواقع أثرية تعرضت للدمار أثناء الاحتلال الإسرائيلى حيث استخدمت مواقع عسكرية للجيش الإسرائيلى ، وأتلفت مبانى وأزيلت طبقات أثرية بأسرها .

وتنقسم المناطق الأثرية التى تعرضت للتخريب إلى الآتى :

أولاً - منطقة آثار الفرما (بلوزيوم) شمال سيناء :

على مسافة ٣٠ كم إلى الشرق من قناة السويس ، وقد استخدمت قاعدة عسكرية لموقعها الاستراتيجى الهام فى مواجهة بورسعيد وإلى الشرق من بورفؤاد على بعد ٢٠ كم منها . وقد أقام الإسرائيليون منشآت عسكرية فى المدينة الأثرية حيث تطلب ذلك فتح طرق داخل المدينة الأثرية أدت إلى تدمير أجزاء عديدة من الأسوار الخارجية لقلعة الفرما .

ثانيًا - مناطق الآثار الواقعة على الطريق الحربى القديم (طريق حورس) :

وهى مناطق : تل أبو صيفى وتل حابو وتل البرج وتل الحير وتل الفضة ، وتقع كلها شمال سيناء فيما بين القنطرة شرق وقرية بالوظة فى نطاق ٣٥ كم .

ثالثًا - منطقة آثار الشيخ زويد بشمال سيناء :

وتقع على مسافة ٢٥ كم إلى الشرق من مدينة العريش على ساحل البحر المتوسط . وهناك أقام الإسرائيليون فوق المنطقة الأثرية نصبًا تذكارياً وقاعدة تشغل مساحة من الموقع الأثرى وفق اتفاقية سيناء (المادة الثامنة من الملحق رقم ١ للبروتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلى من سيناء) ، وقد يمكن الاتفاق على تغيير موقع النصب بعيداً عن المنطقة الأثرية .

رابعاً - منطقة آثار الكوثر بالشيخ زويد :

وهى التى أنشأت عليها إسرائيل مستوطنة دمرتها قبل الإنسحاب ومازالت بقاياها هناك مختلطة بآثار المنطقة .

وهكذا استعد الوفد المصرى للسفر للتفاوض حول استرداد الآثار منذ ١٩٩١ ، ولكن الموافقة النهائية من جانب إسرائيل لم تسمح إلا بالسفر فى بداية عام ١٩٩٣ .

ومن جولة التفاوض الايجابية الأولى والأخيرة هذه يمكن استخلاص النتائج الآتية :

١ - توصل الوفدان إلى جدول زمنى لاسترداد الآثار على دفعات تنتهى بنهاية ديسمبر ١٩٩٤ ، وقد بدأ الوفد الإسرائيلى فعلاً - إثباتًا لحسن النوايا - بتسليم المخطوطات التى عثر عليها فى حفائر جزيرة فرعون بجنوب سيناء ، وتقديم قائمة بأسماء المواقع التى أجريت فيها حفائر أو مسح أثرى بلغ عددها ٥٩ موقعًا ، علاوة على خرائط مساحية للمواقع الأثرية فى الجزئين الشمالى والغربى من سيناء بما يفيدنا فى تحديد مسار ترعة السلام وتفاديًا للمواقع الأثرية عند البدء فى استزراع الأراضى أو بناء التجمعات العمرانية .

٢ - ما سلم فورًا فى بداية مارس ١٩٩٣ هو ما نشر فعلاً ، وقد أعد مقر فى القدس تحت اسم مشروع سيناء لإعداد الصناديق والتغليف والقوائم والصور والسجلات الخاصة بالآثار العائدة . أما الآثار التى كشفتها الجامعات ومختلف المعاهد وأفراد الجيش الإسرائيلى ولم تنشر علميًا

فقد خصصت لها الحكومة الإسرائيلية مليون دولار ، دفع نصفه عام ١٩٩٣ والنصف الثانى عام ١٩٩٤ بعقود مع البعثات الإسرائيلية المختلفة مرتبطة بجدول زمني ، ولن يسلم الجزء الثانى من المبلغ إلا بعد تسليم البعثات جزءاً من الآثار التى ترد إلى مصر .

٣ - حرص الوفد المصرى على التسجيل والبحث العلمى للإثار المكتشفة بداية من الشقف الصغيرة إلي القطع الكاملة والعينات ، الأمر الذى أسفر عن أن كميات كبيرة من الآثار معظمها من مخازن للآثار ومعامل الدراسة وجانب منها معروض فى متاحف مثل متحف جامعة بن جوريون ، ومتحف إسرائيل القومى ، ومتحف جامعة تل أبيب ، ويرجع السبب فى كثرة القطع من الشقف الظران أنها جمعت من أعمال المسح الأثرى بشمال وجنوب سيناء وهى مهمة لما تحدد من مواقع أثرية لم يسبق الكشف عنها ولم تجر بها حفائر ، فكانت المصدر الوحيد حاليًا عن تاريخ هذه المواقع ، كما قد يؤكد انتماء بعضها إلى علاقات كنعانية .

٤ - وقد رفض الجانب المصرى بتأييد من السلطات العليا التنازل عن ٢٤ قطعة على بعضها كتابات عبرية من موقع الكنتلا عجرود . وسط سيناء ، وأكدت ضرورة عودة كل ما كشف إلى مصر ، مع رفض كل مطلب إسرائيلى نظير إعادة الآثار كاملة .

٥ - كانت الدفعة الأولى ٢٢٨ صندوقًا ، تضم شواهد قبور من مجموعة موشى ديان من منطقة الخوينات شمال سيناء وتم على مدى أربع مراحل طبقًا للإتفاقية تسلم ألفى صندوق .

٦ - صعوبة الموضوع أنه لم ينص على استرداد الآثار فى كامب ديفيد ، ولعل النجاح يرجع إلى أنها الورقة الوحيدة التى أضيفت إلى الاتفاقية بعد توقيعها .

٧ - وكان لسرعة المبادرة باشتراك ١٢٣ بعثة أجنبية للعمل فى حفائر ترعة السلام فى سيناء رد فعل إيجابى بأن تسلطت أنظار العالم وعلمائه على تصرفات الجانب الإسرائيلى فى مفاوضات استرداد الآثار المصرية .

كما أسهمت الاكتشافات الجديدة فى سيناء فى إظهار دور مصر العظيم فى الاهتمام البالغ بتاريخ هـذا الجـزء العزيز من أرضها الغالية .

أ . د / محمد إبراهيم بكر

الكنائس والأديرة فى سيناء

أ. د. مصطفى عبدالله شيحة

كلية الآثار - جامعة القاهرة

لئن كان القديس مرقس الإنجيلى **St. Mark** مؤسس الكنيسة المصرية الأولى فى الإسكندرية ، فلقد سبق ذلك أن جاءت العائلة المقدسة إلى مصر هرباً من وجه هيرودوس ملك اليهود واستقر بها المطاف فى جبل قستام حيث دير المحرق الآن ، وذلك فى موضع باركه السيد المسيح الطفل لتصبح الكنيسة المصرية بعد ذلك من أولى الكنائس القديمة فى العالم .

وكان فى سيناء بصحرائها الشاسعة السبيل الآمن الذى سلكته العائلة المقدسة من الفرما بين العريش وبورسعيد حيث أقيمت فيما بعد كنيسة تحمل اسم السيدة مريم العذراء تذكارا لمرور العائلة المقدسة بالفرما .

وكان فى سيناء أن شق القديس مرقس الإنجيلى طريقه إلى الإسكندرية ليتخذ فيها مكانه السرى وينتشر أول دعوة للدين الجديد الذى وجد صدى كبيراً فى نفوس المصريين بعد أن أثقلتهم عمه الوثينة، كانت سيناء بقعة مقدسة فهى ، أرض الأنبياء وأرض الروحانيات .

ومن هنا كانت ملاذاً آمنا للرهبان الأوائل الذين لجأوا إليها بعيداً عما كان يجرى فى أرض مصر من اضطهاد أباطرة الرومان حتى يرتدوا عن عقيدتهم الجديدة المسيحية ويعودوا إلى وثنيتهم الأولى .

لقد شهدت شبه جزيرة سيناء مزيد من أعداد الرهبان فى القرون الثلاثة الأولى للميلاد حيث تخفوا فى صحرائها وعاشوا فى جبالها ومغائرها يحافظون على عقيدتهم الجديدة حتى أُعترف بالمسيحية ديناً رسميًا للامبراطورية البيزنطية فى نهاية القرن الرابع الميلادى ليعم الأمان مصر وكل أنحاء الدولة البيزنطية ويتغير الأمر فتبنى القلالى يتعبد بها الرهبان فستكون النواة الأولى لنشأة الدير ويكثر عددهم وتتطلب الحياة فيما بينهم أن يجتمعوا فى معيشة مشتركة متخذة لتفادى أخطار التعدى عليهم فى دير له مفهومه المعمارى المتكامل من أسوار وكنائس وقلالى وحصون ومكتبات ومطابخ وأفران وآبار وغير ذلك مما تتطلبه عمارة الدير المتكامل . ومع مطلع القرن الخامس الميلادى يمكن القول بوجود عدة أديرة حتى ولو كانت بسيطة للغاية فى سيناء يقيم فيها الرهبان وقد تزايدت أعدادهم بهجرتهم إلى هذه الصحراء بربوعها المقدسة .

ولا أريد الخوض فى هذا الموجز فى التعريف بالدير ومشتملاته أو فى الكنيسة وتخطيطها من البازيليكى والبيزنطى والقبطى فهذا أمر مرهون حاليًا بمزيد من أعمال التنقيب فى سيناء وهى مسئولية المجلس الأعلى للآثار حيث نعتقد بأن الكشف عن العمائر القبطية أمر مهم لمعرفة أنواع طرز الكنيسة المصرية على وجه التحديد فى مراحلها المبكرة ، إضافة إلى الأعمال العلمية للبعثات الأجنبية . المفيدة جداً فى هذا المجال .

والمهم أيضًا أن دير سانت كاترين يعد بطبيعة الحال من أهم أديرة سيناء حيث يقع على سفح جبل موسى الذى كان عنده أن كلم الله سبحانه وتعالى نبيه موسى ، وكانت أول كنيسة فى هذا الدير عام ٣٢٧م كما تذكر المراجع التاريخية بأمر هيلينا أم الأمبراطور قسطنطين مؤسس الدولة البيزنطية حيث تذكر بعض المصادر أنها زارت جبل موسى وأمرت ببناء الكنيسة ثم جاء الامبراطور جستنيان حوالى منتصف القرن السادس الميلادى فأحاطها بأسوار عالية مزودة بأبراج محصنة كما بنى كنيسة بازيلكية الطراز كبيرة داخل هذه الأسوار شيدها المهندس اليونانى اسطفانوس . كان هذا الدير يعرف بدير السيدة العذراء ثم تغير الاسم إلى دير القديسة كاترين فى القرن الحادى عشر الميلادى حينما رأى رهبان الدير رؤية تشير إليها .

وبمرور الوقت زادت العمارة فى الدير فأضيفت إليه ملحقات عديدة سيتحدث عن بعضها غدا بعض الزملاء كما بنى المسجد الصغير للآمر بأحكام الله والأمير أبى القاسم شاهنشاه الذى أمر بانشائه سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م ، هذا فضلاً عن المكتبة التى تعد من أشهر مكتبات الأديرة فى العالم .

ولم تقتصر الآثار المسيحية فى سيناء على دير سانت كاترين ، بل إن هناك بقايا عمائر مسيحية أخرى منتشرة إطلالها يقارب بعضها ارتفاعها المتر أو يزيد وكثير منها فى مواقعها تحت سطح الأرض ومن هذه الأطلال دير أنقوش فى منطقة سانت كاترين ويدخل إليه من وادى النصب ، ودير وقلايات وادى سجيلة المتفرع من وادى فيران وخرائب دير قديم وكنيسة أخرى فى وادى فيران ، تبتعد عن سانت كاترين

بحوالى ١٤٠ كم ، إضافة إلى كنائس أخرى فى الوادى ككنائس تل المحرض وكنائس وادى جبال داخل الوادى نفسه وكنائس جبل الدير حوالى ثلاث كنائس وكنائس جبل الصفصافه ، خلف وادى الأربعين مثل كنيسة الصفصافة وكنيسة الحمراء ، وكنيسة إيليا وكنيسة دير اللوزة وكنيسة الصليب المقدس ، مفرق جبل موسى وكنيسة المغارة .

وكذلك دير النبى إيليا فى جبل الطاحونة ودير النبات فى الطريق من فيران إلى كاترين ، ودير الوادى بوادى الطور على بعد حوالى ٥ كم من مدينة الطور . وهناك أيضًا مجموعات أخرى من القلالى والكنائس فى منطقة جبل أبو صويرة وأعلى جبل الحمام بالقرب من وادى الطور ، على بعد حوالى عشرة كيلو مترات وكنيسة تل الأعوج فى وادى الأعوج على بعد ٥ كم من وادى الطور . والجدير بالذكر أن بعض هذه القلالى فى حالة طيبة حاليًا وعلى بعضها كتابات بالخط الكوفى وكتابات أخرى يونانية لعلها تسجيل للزائرين المارين بهذه القلالى والكنائس .

وفى منطقة سانت كاترين أيضًا كنائس أخرى متناثرة ككنيسة كليمنكس فى وادى تلعه خلف مجلسى مدينة سانت كاترين وكنيسة الربة بمدخل وادى الأربعين وكنيسة كاترينا بجوار جبل موسى وكنيسة وادى الوطية ويطلق عليها كنيسة مقعد موسى على طريق وادى الشيخ القريب من جهة سانت كاترين ، ويقول أهل المنطقة أن هذه الكنيسة مكانها قبة الزمان ، وهو المكان الذى كان يتلقى فيه سيدنا موسى الوصايا من الله سبحانه وتعالى . وكذلك كنيسة أو مقام النبى هارون ، كما يطلق عليها حاليًا ، وتقع إلى اليسار من داخل دير سانت كاترين وكذلك كنيسة موسى داخل دير البنات على الطريق إلى دير سانت كاترين .

وهناك من الأديرة والكنائس الأخرى ما لا يتسع الوقت لذكره وكل ذلك يدل على مدى ما كانت عليه سيناء من كثرة عدد الرهبان والمتعبدين في أرجائها .

وقد تهدمت هذه الكنائس والأديرة خلال الغزو الفارسي لمصر قبل الفتح الإسلامى مباشرة وربما لم تنج كنيسة أو ينجو ديراً من وحشية الغزو الفارسي لمصر وخاصة فى شبه جزيرة سيناء بل وفى الإسكندرية ومنطقة نتريا أو وادى النطرون .

وبالفتح الإسلامى لمصر دخلت البلاد مرحلة جديدة من التسامح تمشيًا مع ما ورد ، وليس أدل على ذلك ماورد فى العهدة النبوية المنسوبة إلى رسولنا الكريم وأخذها السلطان سليم العثمانى إلى الأستانة بعد أن ترك صورة مكتوبة فيها ومعها ترجمتها بالتركية فى دير سانت كاترين وفيها تبرز معانى احترام الأديان وسماحة وعظمة الإسلام واحترام الرهبان فى كنائسهم وأديرتهم وهى السياسة التى سار على نهجها القائد عمرو بن العاص منذ أن تم له فتح مصر .

ومروراً بكل الدويلات الإسلامية التي حكمت مصر فقد نعمت الآثار المسيحية بكل الأحترام والتقدير فهذا يُعمر كنيسة وذاك يضيف جديداً إلى عمارة الدير وثالث يُنعم بأجود أفدنة الأراضى المصرية ووقف ريعها على هذه الأديرة . وبطبيعة الحال فإن الآثار القبطية محط عناية للدولة حالياً ممثلة فى المجلس الأعلى للآثار والأمل فى إجراء مزيد من الحفائر فى مواضع هذه الأديرة والكنائس وإشراك البعثات الأجنبية فى الكشف عنها .

أ. د. مصطفى عبدالله شيحة

وكيل كلية الآثار لشئون التعليم والطلاب

سيناء والأسرة الثانية عشرة

حفلت سيناء من نقوش الدولة الوسطى عامة والأسرة الثانية عشرة خاصة بما لم تحفل به فى عصر سابق أو لاحق من تاريخ مصر الفراعنة إذ تنطق عما اجترم ملوكها وتولى أهلها من جهد ونشاطر فى تلك الاصقاع ، وذلك فضلاً عما تتميز به وتكشف عنه من صبغة العصر وما ساد المجتمع يومئذ من سماحة كانت مصدقًا لما أشيع من كهانة لعراف اسمه نفرتى قيل إنه كان من رعية الأسرة الرابعة فى عهد عاهلها سنفرو ، إذ بشر العراف بعهد جديد وحكم سديد .

كان امنمحات الأول رأس الأسرة الثانية عشرة – قبل احتياز العرش من أساطين الأسرة الحادية عشرة ومن كبار رجال آخر ملوكها منتوحتب نب تاوى رع . وكان له من جهوده ما تحدث به ورواه فى سيرته ، إذ سُجل عنه أنه اقتاد بأمر مليكه بعثة من عشرة آلاف عامل منهم ثلاثة آلاف جندى لاقتطاع حجر لتابوته . ولكن امنمحات لم يلبث أن تطلع إلى العرش والاستيلاء عليه فكان له ما أراد . غير أنه وقد كان معروفًا للناس ولم يكن بذى نسب ملكى أو شبه ملكى يستند إليه ويؤهله فى عيون الرعية للملك كما اعتادت الرعية قد رأى من الحكمة وتقدير المعارضة التوسل بالعقائد والدين والايحاء بأن الملك المنتظر وإنما يتولى بإرادة الأرباب ، وذلك فيما دسه من تلك النبوءة رُدَّت إلى قرون خلت من قبله

مع الاعتراف بسلالته الشعبية وأصله المتواضع ، معلنا أن العرش سوف يؤول إلى ابن إنسان (أمر كما تقول اليوم «ابن ناس») صعيدى وأن أمه امرأة من نساء النوبة . ولكنه عمد كذلك إلى الاغراء بالوعود وبأنه سوف يملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت عنفًا وجوراً ، ويوفر لها الحماية بعد الغد والأمن بعد الخوف ، وما قد نسميه اليوم بلغتنا كرامة المواطن وحقوق الإنسان . وقد أثر عنه فى نص آخر ما اجرى على لسانه من قوله : «لا جائع فى عهدى ولا ظمآن كذلك» وفيما نستخلص من نقوش سيناء ما قد نصفه ديمقراطية تقدر العامل وتعترف بجهده فى ذلك الزمان .

ومهما يكن من شىء فقد بر امنمحات بوعوده إذ رفع راية العمل والجهد الذى يورث الرخاء ، وكانت عنايته واهتمامه بالمناجم والمحاجر مما حرص فى سبيل ذلك عليه وعن سياسة أرساها لاخلافة من بعده ولعله صدر عن تاريخه وحياته الأولى فى قيادة بعثات اقتطاع الحجر والتعدين . وقد كان ذلك من غير شك عن بصر وبصيرة وبرنامج مدروس . فلم يكتف بما كان مطروقًا من مناجم ومحاجر وزيادة تعاقب البعثات والعناية بسيناء(*) ، بل عمد إلى كشف مناجم جديدة لم تؤلف من قبل بما يدل على علم ومساحة أرض مصر واستقصاء الجدوى من مواقعها ، فكان من خططه استقلال موقع صرابيط الخادم فكان فتحًا مبينًا ، وقد أوحى التخطيط ومداه البعيد ، وما كان معولاً عليه من تواصل البعثات واتصال إقامتها هناك برعاية الجوانب الروحية والاهتمام بالدين ، فكان مشروع معبد صرابيط الخادم هذا حيث تعبد حتحور ربة مدرجات الفيروزج كما سميت سيناء ، فضلاً عن غير حتحور من أرباب مصر» .

وقد توخى المهندسون والبناة إقامته فى موقع صَمَدىٍّ من فوق هضبة عالية ترى ما حولها على امتداد الأفق حمــاية لمستقر العمال وكشفاً لمن عسى أن يبتغيهم بالاغارة من قبل قبائل البدو هناك .

كان المصريون منذ انبلاج الضحى من تاريخهم يسجلون ويدلون على من أرسلوا من بعثات إلى سيناء ، إذ نرى ذلك فيما صور على الصخر من منظر للملك سخم خت من الأسرة الثالثة ، ثم ما أتصل من بعد من تسجيل دلائل تلك البعثات على امتداد عصور مصر منذ الدولة القديمة ، حيث اقتصرت إذ ذلك كما قدمنا حتى أواخر الأسرة الخامسة على تسجيل اسم الملك المعاصر ليس غير ، وإن طفقت أسماء كبار أعضاء البعثات تظهر منذئذ هناك ، وفى ذلك على كل حال ما أنس فيه المؤرخون من تطور المجتمع المصرى الذى ظل مع المثابرة والأناة على إثبات مكانته واستخلاص حقه وكرامته من من المهيمنين فضلاً عن الملك ، فإذا بالملك تفراير كارع ثالث عواهل الأسرة الخامسة يأذن لوزيره واستباح تكريماً له بتقبيل قدمه بدلاً من تقبيل الأرض بين يديه . وكذلك فضل الملك نغرف رع خامسها مع زوج ابنته پتاح شپسس ، إذ نهاه عن ذلك بتقبيل قدمه ، فلما كانت الأسرة الثانية عشرة إذا بالملك يأمر بألا يعنو رجل من رجاله بجبهته لمن هو أكبر منه .

وشتان بين ما يتجلى فى ذلك العصر من وفرة من نقوش سيناء واعتراف بحق العاملين المجتهدين المجهدين وتقدير قادتهم والإعلاء من منزلتهم وبين ما سبق فى الدولة القديمة من نقوش اقتصرت على الملوك واحتكارهم الفضل والتقدير . ولاشك فيما نجد من تلك الوفرة ما يدل

على عصر ما بعد ايبدور وضع خير رع سبت والفلاح الفصيح . إنه عصر ما قد نسميه «عصر بزوغ حقوق الإنسان» فقد كان أيّامَ الأسرة الثانية عشرة أن تطورت النقوش ومضامينها – وإن التزمت بداهة شأن كل عصر ومصر بإعلاء اسم الملك فتجلت نُصَبا والواحا تذكر من تولى البعثات بالقيادة ومن ضمت من كبار المسهمين فيها بالعمل والجهد ، بل ولم يفضل بعضها أسماء عامة العاملين وألقابهم ولمحة مما تولوا من واجبات ، بل لقد ورد من عهد امنمحات الثالث من بعد اسم قائد الحملة ما يوحى بتقدير الكافة من جمعها بحكم ما سجل من عدد العمال ، إذ بلغ سبعمائة وأربعة وثلاثين عاملاً فى أحداها ، ومائتى عامل وتسعةً فى أخرى ، كأنما أريد بذلك الاعلان عن أن ما أنجز إنها جاء بفضل العاملين أجمعين ، وذلك فضلاً عن حرص بدا فى ذكر طوائف بعينها من العمال والصناع ، بل لقد اتسعت السماحة لذكر أسماء العمال العاديين وإن لم يتجاوز ذلك حالتين يؤيدان المبدأ ولا يناقضانه بحال ، فإن عصر الأسرة الثانية عشرة عصراً ذهبيًا بحق . وفى ذلك كله على كل حال ما مكن المؤرخين من الاحاطة بتشكيل البعثات واختصاص أعضائها ومسئوليات شخوصها وصفة رؤسائها ، ومنهم من تولاها على غير اختصاص تشريفًا ودلالة على منزلته أو منزلة البعثة ومع ذلك فقد أوشكت رئاسة بعثات الدولة الوسطى إلى سيناء أن تقتصر على من كان «سجاوتى نثر» بمعنى المستشار الربانى أو خازن الرب وذلك على غير يقين منا مما هو مقصود من الرب فى تلك العبارة أهو الاله أم الملك الذى وصف أحيانًا فى الأسرة الرابعة بالاله العظيم tp والاله الطيب tp . وكان الخازن الربانى هو المنوط بتزويد الخزانة الملكية بكل شىء مهما

يكن مصدره ، ومن ثم كان كثيراً ما يسند إليه فضلاً عن ذلك لقب «آمر الخزانة الكبير» «أمير عخنوتي ورق پرحج» وقد يختصر أحياناً إلى «أميرا عخنوتي» ، كما أنسنا كذلك لقب ادنون اميراپرور أي نائب الوصيف الكبير ولقب أميراً سجوتي أي أمر الخزانة . وذلك كله بما نستخلص من أن بعثات التعدين في سيناء إنما كان يتولاها المسئولون عن «خزانة الدولة» ولعلهم كانوا المسئولين عن جمع ما يستخرج من ركاز وحفظه حتى يسلم إلى خزانة الدولة . وكذلك حمل لقب آمر الوجه البحري وفي ذلك ما عساه يدل على أن سيناء إنما كانت تابعة إدارياً للوجه البحري لا الصعيد ، ولذلك فغير بعيد أن كانت أقدم البعثات تنطلق برا من الدلتا قبل انطلاقها فيما بعد بحرا من القصير .

وقد كان يسهم في بعثات سيناء كذلك موظفون من الخزانة صغار «مثل مساعد أمر الخزانة ونائب آمر الخزانة ثم موظف الخزانة الصغير «إرى عت برحج» . وأكبر الظن أن مرد ذلك الاهتمام البالغ إنما كان لما تعود به البعثات من حصائد الفيروزج خاصة وكان ذا منزلة . في خزانة الدولة ويحتكره الملك - كما نجد خادم الخزانة وخادم البيت العظيم أو الخادم» .

أما العمال فكانت جلتهم من قطاع الحجر «خريتونز» ممن مهر حفر الاتفاق ، وقد بلغت عدتهم في بعثتين مائتين لكل منهما كانوا يقسمون عشرة عشرة على رأس كل منها مراقب . على أن من الحجارين من انفرد بصفة لا تدل على عملهم هو «إيكويد» وإن دل عددهم القليل بالقياس إلى سائر العمال على تخصص معلم (٣ : ٢٠٠ ، ٨ : ٨٠)

وذلك فضلاً عن عمال الحجر فرجا» ونحات الحجر «قس عات» ثم عامل الحجر الكريم مرمروو . وكان يصحب البعثة كذلك النجارون وعمال النحاس ، «والنقاش» ولعله المكلف بنقش أخبار الحملة لفظًا وتصويراً على الصخر . وكذلك نجد فى البعثة طباخا وبستانيين للعناية بما حول المعبد من بستان وذلك فضلاً عن وظائف أخرى غمض تفسيرها على أن ما يلفت النظر يومئذ ، خلافًا لما كان من قبل ، ما تجلى من استغناء البعثات عن قوات خاصة من الجيش لحماية عمالها وأعمالها . ولعلها - إن كان لا محاله - اصطحبت سراياً صغيرة بحكم سواد الأمن يومئذ فى سيناء ورسوخ سلطان الدولة هناك . وقد كان حسب العامل - فى حالة الضرورة - الدفاع عن نفسه بما يصحب معه من سلاح .

ولكن الجدير بالذكر ما كانت البعثة تصحب دائمًا من كبير للأطباء وى سونو ومسئول العقارب أو مبيد العقارب والمعزم على العقارب .

وكذلك كانت مع البعثات ما لا يحتاج بداهة ، فيما عرف عن مصر القديمة ، إلى ذكر الكتاب وكانت البعثة تصحب وفرة منهم يُسجلون كل شيء ويشهدون على كل شيء عنهم كاتب الخزانة والكاتب الملكى .

أما الكهان فلم يكونوا كثرة فى سيناء فى الأسرة الثانية عشرة إذ لم يرد إلا ثلاثة احتفى أحدهم بالالهة حتحور . وغير بعيد أن كان يتولى الكهانة بعد أعضاء البعثة ، كما يجرى فى أيامنا هذه فى بعض قرى مصر . إذ يتولى الإمامة فى المسجد بعض أهلها .

ولقد بلغ من استتباب الأمن فى سيناء ورسوخ السيادة المصرية عليها أن دخل رؤساء البدو خدمة المصريين يعملون معهم ويعينونهم وخاصة فى عهد امنمحات الثالث إذ صنفوا فى المصرية بالأجانب خاسنيو والسوريين أى من رتنو ومنهم ورد ذكر أخى أميرها خبدد . وصور من صور منهم ملونة جسومهم صفراء دلالة على جنسهم السامى وقد تنياغم مع ذلك ما شملت البعثات من مترجمين كانوا عادة اثنين لكل بعثة أما جهاز النقل يومئذ ، فقد غاب عنه كثير مما كان بارزا فى نقوش الدولة القديمة من ألقاب البحارة حيث لا يتيسر تعليل ذلك إلا أن يكون تغييراً وتحولاً عن مسالك الدولة القديمة إلى سيناء ، ومع ذلك فلدينا لقب «أميراً عحمو» أى «آمر سفن الشحن» وقد حمله الخازن الربانى (المستشار) وذلك فضلاً عن عشرين مجدفًا (خنو) فى نص ، وثلاثين حبًارا «چـايو» لا يكادون يختلفون فى واجبهم عن العبارين المعروفين بلقب «سبق رندن چات» وقد ذكر منهم عشرون فى نقوش أخرى .

أما النقل البرى فكان على حمير يسوقها الفلاحون وذلك بمتوسط خمسمائة حمار للرحلة ، وقد تهبط أحيانا فى البعثات الصغرى إلى خمسين حماراً .

وبعد فتلك لمحة عما نقش المصريون وخلفوا من أخبارهم فى سيناء أيام الأسرة الثانية عشرة منذ زهاء أربعين قرنًا من الزمان . وقد تعود مقدار ما كانوا يتكبدون ، وبقدر مع ذلك ما كان فيهم من حرص مع الجهد على إثبات ذلك نقشاً وما قد نستشعر منه من إحساس بالذات وتقدير الذات ، وما مكن من قراءته ومتابعته الدارسون والمؤرخون .

سـرابيط الخادم ووادى مغـارة

أ . د . محمد الصغير

مقدمة :

على مـدى تاريخ طويل ممتد له عراقته وأبعاده ، لعبت سـيناء دوراً بارزاً فى تاريخ الحضارة المصرية ، وكان لها تأثير واضح فى حياة مصر الطبيعة والعرقية منذ أقدم العصور ، وكانت سيناء دائمًا وأبداً جزءاً لا يتجزأ من أرض مصر ، رغم وقوعها فى قارة أسيا ، تجمعهما وحدة جغرافية وبشرية وتاريخية وسياسية ، فسيناء امتداد طبيعى لأرض مصر وسلسلة جبال البحر الأحمر ، وإليها كان يجرى الفرع البليوزى يحمل إليها ماء النيل يروى جزءًا كبيراً من أرضها . وعلى أرضها عاش الإنسان المصرى منذ الدهور الحجرية القديمة ، واستفادت مصر من مواردها الطبيعية ، فاستخرجت معادنها (النحاس) واستغلت محاجرها وتزين أهلها بأحجارها شبه الكريمة . وفوقها أقيمت المعابد ، وشيدت الحصون والقلاع ، وعبدت الدروب ، وحفرت الآبار ، وفضلاً عن ذلك كانت سيناء المعبر الرئيسى للقوافل التجارية بين مصر وجيرانها إلى الشرق ، فهى بوابة مصر الشرقية ، انطلقت منها حضارة مصر إلى كافة بلدان العالم القديم ، وكانت طريقًا لا ينقطع رواده ذهاباً وإياباً

وهم يحملون رسالة مصر ومشعل الحضارة والثقافة المصرية إلى غيرهم من شعوب العالم المعاصر - (لوحة : ١) .

عرفت سيناء فى اللغة المصرية القديمة باسم (تامفكات) بمعنى أرض الفيروزج ، و (ختيومفكات) بمعنى مدرجات الفيروزج ، و (جومفكات) أى جبل الفيروزج ، و (خاست مفكات) وتعنى حقل الفيروز أو صحراء الفيروز ، كما عرفت أيضاً باسم (تاشسمت) أى أرض المعدن الأخضر ، إشارة إلى النحاس المختلط بكربوناته الخضراء ، وهى مادة الدهنج (أو الملاخيت أو التوتياء الخضراء) ، مختلطاً بكربوناته الزرقاء وهى مادة الآزوريت ، وسيلكاته وهى مادة الخريسوكولا ، وكلها مواد سطحية يمكن تحصيلها بأدوات بسيطة صهرها بمجهود يسير (تتوفر خامات النحاس فى سيناء فى سرابيط الخادم ، ووادى مغارة وجبل أم رغا ووادى سمارة ، ووادى مالحة ووادى خارج . أما فى الصحراء الشرقية فيوجد فى وادى عربة وجبل عطوى ودارا ، وأم حميد وأبو سيال) . وعرفت أيضاً بمعنى (أرض) المناجم . أما الاسم الحالى لسيناء فهو على الأغلب مشتق من اسم إله القمر لدى الساميين الآله (سين) على اعتبار ما للقمر من أهمية أثناء السير ليلاً فى منطقة يشتد فيها الحر نهاراً . وذكر جاردنر أن سيناء مشتقة من اسم الإله سوبد الذى كان يعبد فيها جنباً إلى جنب مع الآلهة حتحور .

وإذا كان الحديث عن سيناء متشعب الجوانب وله مجالات شتى لايسعنا الوقت لذكرها ، فسوف اكتفى بالحديث اليوم عن منطقتى سرابيط الخادم ووادى مغارة إذ هما المصدر الرئيسى للثروات الطبيعية

التى حرص المصرى القديم على استغلالها منذ أقدم العصور ، كالنحاس والفيروزج وعلى أساس الارتباط المبكر للنشاط المصرى بهاتين المنطقتين وإقامة أكبر مركز دينى بهما .

أولاً - سرابيط الخادم

تقع سرابيط الخادم على بعد ٦٠ كيلو متراً جنـــوب شرقى مدينة أبو زنيمة الحالية ، والمنطقة عن جبل مستطيل الشكل ، يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠ متر فوق سطح الأرض ، وهو مسطح من أعلى حيث أقيم معبد سرابيط الخادم على جزء منه ، ويؤدى إلى سرابيط الخادم ثلاث طرق تمر بثلاثة وديان هى : طريق روض العيـر ويؤدى إلى المدخل الرئيسى للمعبد ، والطريق الثانى من وادى الخصيف ، والثالث من وادى الطليحة .

وقد اختلف الكتاب فى كتابه سام المنطقة ، فأطلق عليها البعض اسم «سرابة الخادم» ، وأطلق عليها البعض الآخر اسم «سربة الخادم» أو «سربدت الخادم» . أما «سرابيط الخادم» فهو أكثر الأسماء شيوعًا وأقربها إلى الصواب ، لأنه يعبر عن طبيعة المكان وتكويناته الصخرية ، فكلمة «سرابيط» عند أهل سيناء جمع «سربوط» وهو الصخر المرتفع القائم رأسيًا ويشبه فى تكوينه العمود ، والمنطقة بصفة عامة وعرة تتميز بهذا النوع من الصخور القائمة رأسيًا ، ولهذا فإن الاسم مشتق من طبيعة المكان وتكويناته الصخرية . أما كلمة الخادم ، فتعود - حسب

رواية البدو – إلى تمثال أسود كان قائماً بالمنطقة (لم يعد له وجود الآن، أطلق عليه الأعراب اسم الخادم . والواقع أن اختلاف الصور اللفظية لاسم هـذه المنطقة فى العصر الحديث ليس هو بيت القصيد ، ولكن ما يعنينا هنا هو الأسماء التى أطلقها الأجداد على المنطقـة وعلى وادى مغارة من حيث هما مصدر الفيروزج والنحاس معًا وهى الآسماء التى أشرنا إليها فى المقدمة .

معبد سرابيط الخادم :

يقع على قمة الجبل وهو بطول ٨٠ متراً وعرض ٣٥ متراً وقد كرس لعبادة الإله حتحور التى خلعت عليها النصوص لقب «نبت مفكات» سيدة الفيروز ، كما يضم المعبد قاعة لعبادة الإله سوبد رب الصحراء الشرقية وسيناء ، وقد أطلقت عليه النصوص لقب «نب سشمت» أى رب سيناء . والمعبد يتألف من مدخل تكتنفه لوحتان ، أحداهما من عصر الملك رمسيس الثانى والآخرى من عهد الملك ست نخت أول ملوك الأسرة العشرين ، ثم يلى المدخل صرح شيد فى عصر الملك تحتمس الثالث يؤدى إلى مجموعة من الآفنية المتعاقبة التى تتضمن الحجرات والمقاصير ، شيد البعض منها دون التزام بتخطيط المعبد على خلاف ما اعتاده المصرى القديم وقد يرجع ذلك إلى استخدام عدد من العمال المحليين ذوى الكفاءة المحدودة ، أو لعل هذا التخطيط فرضته طبيعة المكان . (لوحة : ٢) ويحتوى المعبد على هيكل الالهة حتحور ويمثل قدس الآقداس للمعبد وهيكلاً أخرى للآله سوبد .

ويرجع أقدم أثر بالمعبد القائم حالياً إلى عهد الملك أمنمحات الأول (١٩٨٥ ق.م) (عثر له على تمثال كهيئة صقر يحمل اسمه) وقد عد أمنمحات من أول من تصدوا لتشييد هذا المعبد من الملوك وإن لم تمنع هذه الحقيقة افتراض قيام المعبد فى هذه البقعة منذ أن بدأ المصرى القديم يكثف نشاطه فيها أى منذ عصر الدولة القديمة على أقل تقدير ، ويؤيد هذا الافتراض أن جميع المعابد الكبيرة على أرض مصر كان لها كيان مبكر قبل إقامة المنشآت المتبقية حالياً فى عهود لاحقة .

وزاد سنوسرت الأول إضافات إلى هذا المعبد وكذلك فعل امنمحات الثانى وسنوسرت الثانى والثالث . وكان الملك امنمحات الثالث (١٨٥٥ ق.م) أكثر ملوك الدولة الوسطى اهتماماً به حيث أضاف إليه الكثير واستمر الملك أمنمحات الرابع على السياسة نفسها حيث شيد الهيكل المعروف باسم هيكل الملوك وخصص لعبادة حتحور وسوبد وبتاح والملك سنفرو وكان من الرعيل الأول من الملوك الذين اهتموا بسيناء اهتماماً كبيراً وعملوا على استغلال معادنها وأحجارها شبه الكريمة وأدبوا الخارجين على القانون فيها . وأبدى ملوك الأسرة الثامنة عشرة اهتماماً كبيراً بمعبد سرابيط الخادم ابتداء من عهد الملك أمنحوتب الأول (١٥٢٥ ق.م) إذ قام بترميم هيكل حتحور (لوحة : ٣) وهيكل سوبد ، كما شيد الهيكل المعروف باسم «حتحور» وهو المكان الذى كان مخصصاً للتطهير . وأضاف كل من تحتمس الثالث (١٤٧٩ ق.م) وحتشبسوت مجموعة القاعات المتعاقبة للمعبد (لوحة : ٤) وكذلك الملك أمنحوتب الثانى وتحتمس الرابع وأمنحوتب الثالث حيث أقام الأخير مسلتين على جانبى المدخل الرئيسى للمعبد . ومن ملوك الأسرة التاسعة

عشرة نجد أسماء سيتى الأول ورمسيس الثانى ، ثم رمسيس السادس من الأسرة العشرين ، وكان هذا الملك هو أخر من قاموا بنشاط ملحوظ فى هذا المعبد من ملوك مصر القديمة .

وقد دمر معبد سرابيط الخادم وخصوصًا فى فترة الاحتلال الإسرائيلى لسيناء ، كما نقلت إسرائيل بعض عناصره المعمارية وبعض لوحاته وتماثيلة وغيرها . ومع ذلك والمعبد دليل ثابت على أن سيناء أرض مصرية منذ أقدم العصور ، كما يدل قيامه فى تلك المنطقة الوعرة على ارتباط المصريين ببلادهم وعلى حرص الملوك المصريين على تخليد ذواتهم وتخليد الآلهة بأضخم الآثار على كل بقعة من أرض مصر مهما نأت ، إذ كان الملوك يرون أنفسهم من نسل الآلهة وأنهم خلفاؤها فى الأرض ، وأن من واجبهم إقامة المعابد فى كل مكان بل وفى قلب الصحراء وفى أشد الأماكن وعورة ، ليعم الخير ويتيسر لهم الحصول على الذهب والنحاس والفيروزج ، وتوفق البعثات ، وينتصر الملك على أعدائه بما يحقق للبلاد من السلام والرخاء .

وفوق جبل سرابيط الخادم وبالقرب من المعبد مغارات الفيروزج فضلاً عما تزخر به صخورها من النقوش الهامة التى تسجل أخبار بعثات التنجيم والتعدين . وكان المصرى القديم يقوم بالحفر فى صخر الجبل لتتبع الأماكن التى بها الفيروزج أى فوسفات الألمونيوم المائى Hydrous Phosphate Dumina يكون عادة داخل كتل من الصخر مستديرة الشكل ويغلب عليه اللون الأزرق فى حالة اختلاطه لفوسفات الحديد ، أو اللون الأخضر فى حالة اختلاطه بفوسفات النحاس . وقد أعجب المصريون بهذا الحجر شبه الكريم وبألوانه فقلدوه فى معظم قلائدهم باستخدام عجينه زجاجية بلونه .

وقد عثر فى مغارات الفيروزج وفى مساكن العمال على الكثير من الأدوات الظرانية وبعض الفؤوس اليدوية من حجر البازلت أو الديوريت وهى الأدوات التى كانت تستخدم فى تفتيت الصخر والحفر للوصول إلى أماكن الفيروزج إلى جانب الآزاميل النحاسية .

أما مساكن العمال فعلى مسافات متفاوته حول المعبد وكانت دائرية الشكل ، مبنية بطريقة بدائية بكتل من الحجر الرملى وتتراوح أقطارها ما بين ١,٥ متراً إلى ٢ متر - (لوحة : ٥) .

أما أخبار بعثات التعدين والتحجير فمسجلة على عدد وفير من اللوحات المنقوشة على صخر الجبل ومن أشهرها لوحتان للمدعو منتوحتب رئيس بعثة التعدين فى عهد الملك أمنمحات الثانى ، ولوحة للمدعو سوبكحرحب وأخرى لبتاح ور وثالثة لسانفرت رؤساء خزنة بين المال فى عهد الملك أمنمحات الثالث . ولوحات أخرى من الدولة الوسطى والدولة الحديثة وكلها تدور فى فلك تسجيل أخبار البعثات وما قاموا به من أعمال . هذا فضلاً عن اللوحات التى أقيمت باسم الملوك داخل المعبد نفسه ويبلغ عددها أكثر من ٤٢٠ لوحة ونقشاً - (لوحة : ٦ ، ٧) .

النقوش السينائية :

يرتبط بمنطقة سرابيط الخادم التى تضم المعبد ومغارات الفيروزج ومناجم النحاس الكشف الذى تصدى له العالم الانجليزى فلندرز بترى عام ١٩٠٥ حيث عثر بمعبد سرابيط الخادم وفى مناجم (مغارات) الفيروز على ١٢ نقشاً تضمنت علامات لم تكن معروفة من قبل ويشبه

بعضها العلامات الهيروغليفية ، وجرى تأريخها حينذاك بعهد كل من تحتمس الثالث وحتشبسوت . وفى السنوات التالية قامت أكثر من بعثة بالعمل فى المنطقة (بعثة جامعة هارفارد عام ١٩١٧ وبعثة فنلندية عام ١٩٢٩ ثم بعثة هارفارد عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٥ ثم بعثة جامعة كاليفورنيا عام ١٩٤٨) حيث عثر على نقوش أخرى ليصل إجمالى عدد النقوش إلى ٢٥ نقشًا . وقد أطلق الباحثون على هذه العلامات اسم الأبجدية السينائية نسبة إلى سيناء . وأتضح أن هذه العلامات محورة عن العلامات المصرية القديمة ومتأثرة ببعض الكتابات السامية على أساس أن سيناء كانت مركز التقاء للقادمين من آسيا . ويبدو أن بعض العمال الساميين الذين كانت تستخدمهم البعثات المصرية أو بعض التجار أو الأسرى الآسيويين قاموا بهذه الكتابات وهم أصلاً سوريون كما ثبت من بعض اللوحات التى كشف عنهـا ومنها على سبيل المثال اللوحة رقم ١١٤ وقد تضمنت أسماء عشرة أفراد من «رتنو» أى سوريا كانوا يعملون مع البعثة المصرية ، واللوحة رقم ١٢٠ التى تضمنت ستة أسماء من بلاد «رتنو» أيضًا ، وكذلك النقوش أرقام ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١١٢ حيث ضمنت منظر حاكم «رتنو» واسم أخيه الأمير «خبرد» . واتضح بعد إجراء المزيد من الدراسات أن الكتابة السينائية هى أصل الأبجدية الفنيقية ثم أصل الأبجدية اليونانية واللاتينية وأصل أبجديات اللغات الأوربية الحديثة .

ثانيًا - وادى مغارة

يقع وادى مغارة على بعد حوالى ٨٠ كيلو متراً إلى الشرق من مدينة أبو رديس ويمكن الوصول إليه عبر وادى سدر وقد اكتسب الوادى اسمه من المناجم التى فيه وتشبه المغارات فى شكلها حيث كان المصريون القدماء يحفرون المناجم فى قلب الجبل إلى أعماق تصل إلى ١٠٠ متر للحصول على الفيروزج أو النحاس وتتبع مواطنها وقد أطلق الأعراب على هذه المناجم اسم المغارات ومن هنا جاءت تسمية الوادى باسم وادى مغارة . وهو سهل منبسط تحيط به جبال عالية من طبقات صخرية مختلفة أولها الجرانيت والديوريت تعلوها طبقات تختلف فى تكوينها وألوانها فمنها طبقة أرجوانية على ارتفاع نحو ٧٠ متراً من سطح الأرض حيث الفيروزج ، تعلوها طبقة من الطفلة الحمراء فوقها طبقة من الحجر الجيرى يتراوح سمكها ما بين ٢٠ - ٤٠ متراً حيث النحاس أو الملاخيت ، ومن فوق طبقة الحجر الجيرى طبقة أخرى من الحجر الرملى يبلغ سمكها فى بعض الأماكن نحو ٢٠٠ متر ، تعلوها طبقات من البازلت . ويلاحظ أن جميع فتحات المناجم (المغارات) فى الطبقة الرملية على ارتفاع ٧٠ متراً من سطح الأرض ، وعلى هذا المستوى وجدت جميع النقوش تقريبًا وعددها ٤٥ نقشًا يرجع أغلبها لعصر الدولتين القديمة والوسطى ، وأقلها من عصر الدولة الحديثة . ورغم أن أقدم النقوش بوادى المغارة يرجع لعهد الملك زوسر (٢٧٨٠ ق.م) الذى أرسل حملة لتأديب من كانوا يتعرضون من البدو للبعثات التى يرسلها ملوك مصر ، إلا أن الأدلة تشير إلى بدء نشاط المصريين هناك مع بداية

الأسرة الأولى وخاصة فى عهد الملك «عج إيب» (٣٠٠٠ ق.م) أو قبل ذلك ، أى منذ العصر الحجرى النحاسى . (وعثر على بطاقة من العاج فى أبيدوس تخص الملك عج إيب ، تشير إلى حملة أرسلها إلى الشرق تصور حصونًا ورد ذكر بعضها يقينا على الحدود الفاصلة بين مصر وفلسطين) .

ونهج الملك «سخم خت» نهج أبيه زوسر حيث ترك نقشًا بالقرب من نقش أبيه يمثله وهو يؤدب الخارجين (لوحة : ٨) وهو النقش الذى اعتقد بعض الآثريين خطأ أن صاحبه هو الملك «سمرخت» من ملوك الأسرة الأولى . ومن الأسرة الثالثة أيضًا هناك نقشان للملك «سانخت» أحدهما يخص التعدين والآخر يمثله وهو يؤدب الأعداء .

وتزايد الاهتمام بسيناء وخاصة منطقة المناجم والمحاجر ، فى عهد الأسرة الرابعة بما يعبر عن الرغبة فى الحصول على المزيد من النحاس والفيروزج ، إذ أهتم الملك سنفرو (٢٦٨٠ ق.م) بتأمين المناجم والمحاجر فعمل على تحقيق الاستقرار فى هذا الجزء من أرض مصر ، فأقيمت الحاميات وحفرت آبار المياه على امتداد الطرق المؤدية إلى المناجم والمحاجر ، وعثر على مجموعة من النقوش من عهد الملك سنفرو فى المغارة وفى سرابيط الخادم تصورة وهو يؤدب الخارجين ممن يهددون بعثات التعدين والتحجير ، وتشير الألقاب إلى سنفرو أنه : الآلة العظيم هازم الأراضى الصحراوية . واستمر خوفو على سياسة أبيه فى استغلال مناجم ومحاجر وادى المغارة وتهيئة المناخ للعمل فيها .

ومن الأسرة الخامسة (لوحة : ٩) هناك من عهد الملك ساحورع (٢٥٥٣ - ٢٥٣٩ ق.م) ، ومن عهد الملك نى وسررع (٢٥١٦ - ٢٤٨٤ ق.م) ، ومن عهد الملك منكاوحور ، ثم أربعة نقوش من عهد الملك جد كارع - اسيسى (٢٤٧٦ - ٢٤٤٨ ق.م) أحدها مؤرخ بالعام الثالث من حكمه والثانى بالعام التاسع .

أما من الأسرة السادسة ، فهناك نقش يؤرخ بالعام الثامن عشر من حكم الملك ببى الأول (٢٤٠٢ - ٢٣٧٧ ق.م) ، يمثله وهو يؤدب الأعداء ، وهناك نقش من عهد الملك ببى الثانى (٢٣٧٧ ق.م) يسجل ألقابه وألقاب أمه الملكة عنخ نس مرى رع ، يؤرخ بالعام الثانى من حكمه وبأسفله عدد من أسماء الموظفين . هذا بالإضافة إلى بعض النقوش التى سجلها بعض الموظفين من عهد الدولة القديمة مثل خنوم ... وايدو وسابى ورابع يدعى ايدو أيضاً وهم جميعاً مفتشون إداريون .

وعندما استردت مصر وحدتها بعد القضاء على الثورة الاجتماعية التى أعقبت حكم الأسرة السادسة ، ومع بداية عصر الدولة الوسطى كان من بين أهداف الملوك استرداد هيبة مصر فى هذه المنطقة فأرسلوا العديد من الحملات لتأمين حدود مصر الشرقية وتنشيط التجارة واستئناف مختلف الأنشطة (منتوحتب الثانى والموظف خيتى) . وخطا ملوك الأسرة الثانية عشرة خطوة كبيرة نحو استغلال مناجم ومحاجر سيناء خاصة فى وادى مغارة وسرابيط الخادم ، وتأمين دوربها وتعمير معابدها وبالأخص الملوك سنوسرت الثالث وأمنمحات الثالث وأمنمحات الرابع .

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة لم يعد دور سيناء يقتصر على الجانب الاقتصادى المتمثل فى التجارة عبر أراضيها ، واستغلال ثرواتها الطبيعية ، بل لعبت دوراً عسكرياً يتناسب مع عصر الانطلاقه الحربية لمصر ويناسب ما يجرى على مسرح الأحداث فى منطقة الشرق القديم . وفى عصر الدولة الحديثة بصفة عامة انتقل النشاط الاقتصادى إلى منطقة سرابيط الخادم ، فلم يعثر بوادى مغارة إلا على نقشين ، أحدهما فى عهد الملك تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت ، والآخر فى عهد الملك رمسيس الثانى .

نخلص مما سبق :

أن منطقتى سرابيط الخادم ووادى مغارة كانتا مركزى النشاط المصرى المكثف لاستغلال موارد سيناء الطبيعية كالنحاس والفيروزج وربما المنجنيز ، ولهذا حرص ملوك مصر القديمة منذ بداية عصورهم التاريخية وربما قبل ذلك على استغلال هذه الموارد وارسال بعثات التعدين والتحجير بصفة منتظمة لاستخراج هذه الموارد لأهميتها الاقتصادية فى الحرف والصناعات المختلفة ، كما حرصوا على إرسال الحملات العسكرية لتوطيد الأمن فيها ، إذ كان من واجب الملوك منذ الأسرة الأولى أن حماية قوافل التجارة وبعثات المناجم والمحاجر وفرض الطاعة على بدوها الرحل يمد . ولذلك تمثل معظم النقوش الملك وهو يؤدب الخارجين .

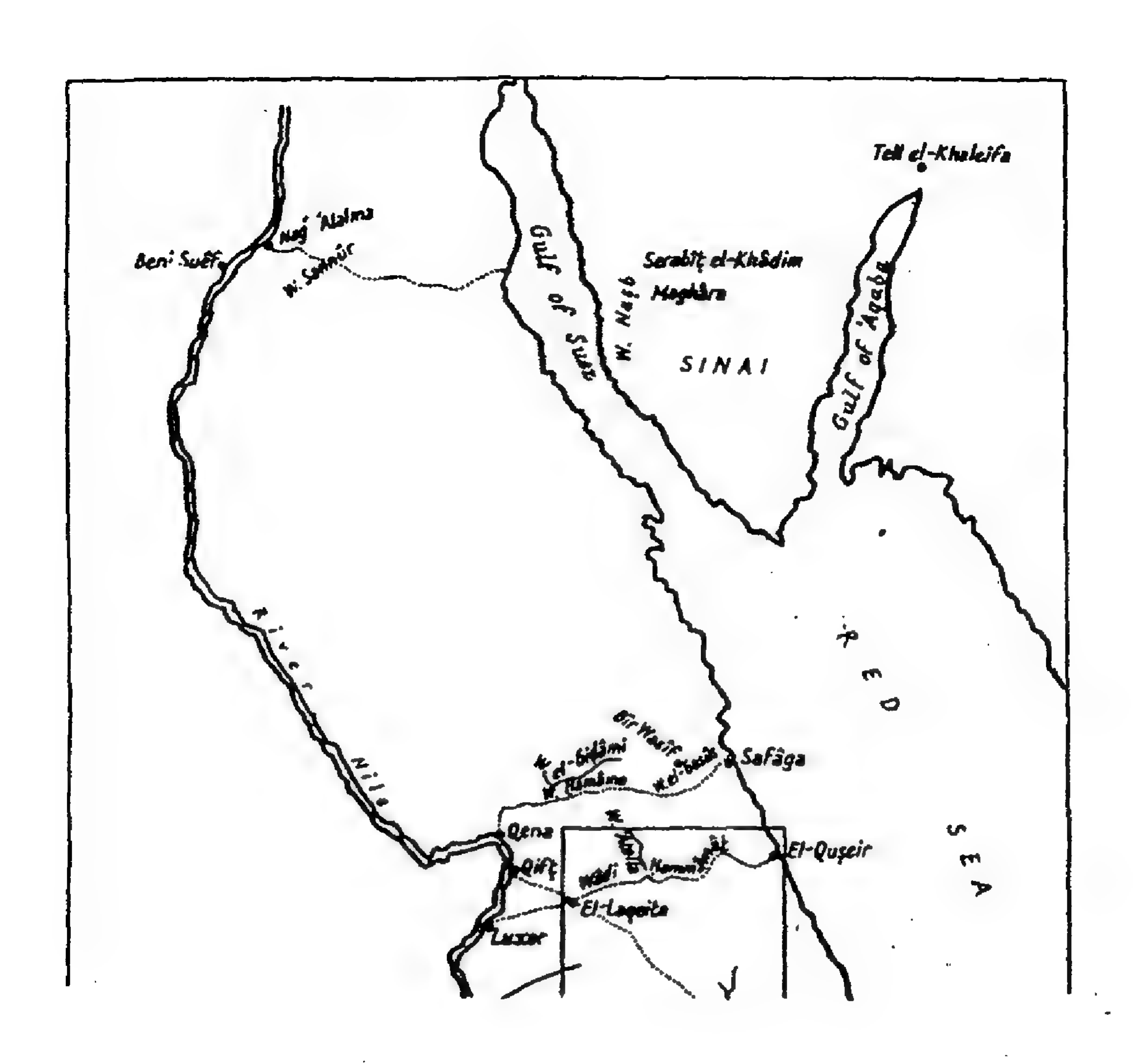
ولوحظ أن معظم بعثات التعدين والتحجير كان يرأسها موظف كبير من موظفى الخزانة حيث أن الفيروز من ممتلكات القصر الملكى . ومن رؤساء البعثات من كان مديراً للقصر الملكى ومنهم من كان رئيساً لأحد القلاع مثل قلعة ثارو .

وقد تضمنت إحدى البعثات ذات الطابع الحربى ٩١ من رؤساء الحظائر والفرسان و ٥٠ من العسكريين ذوى الرتب المختلفة و ٥٠ موظفًا من وظائف مختلفة و ٢٠٠ من صائدى الأسماك وكان ينحصر عملهم فى توفير الأسماك لغذاء أفراد البعثة .

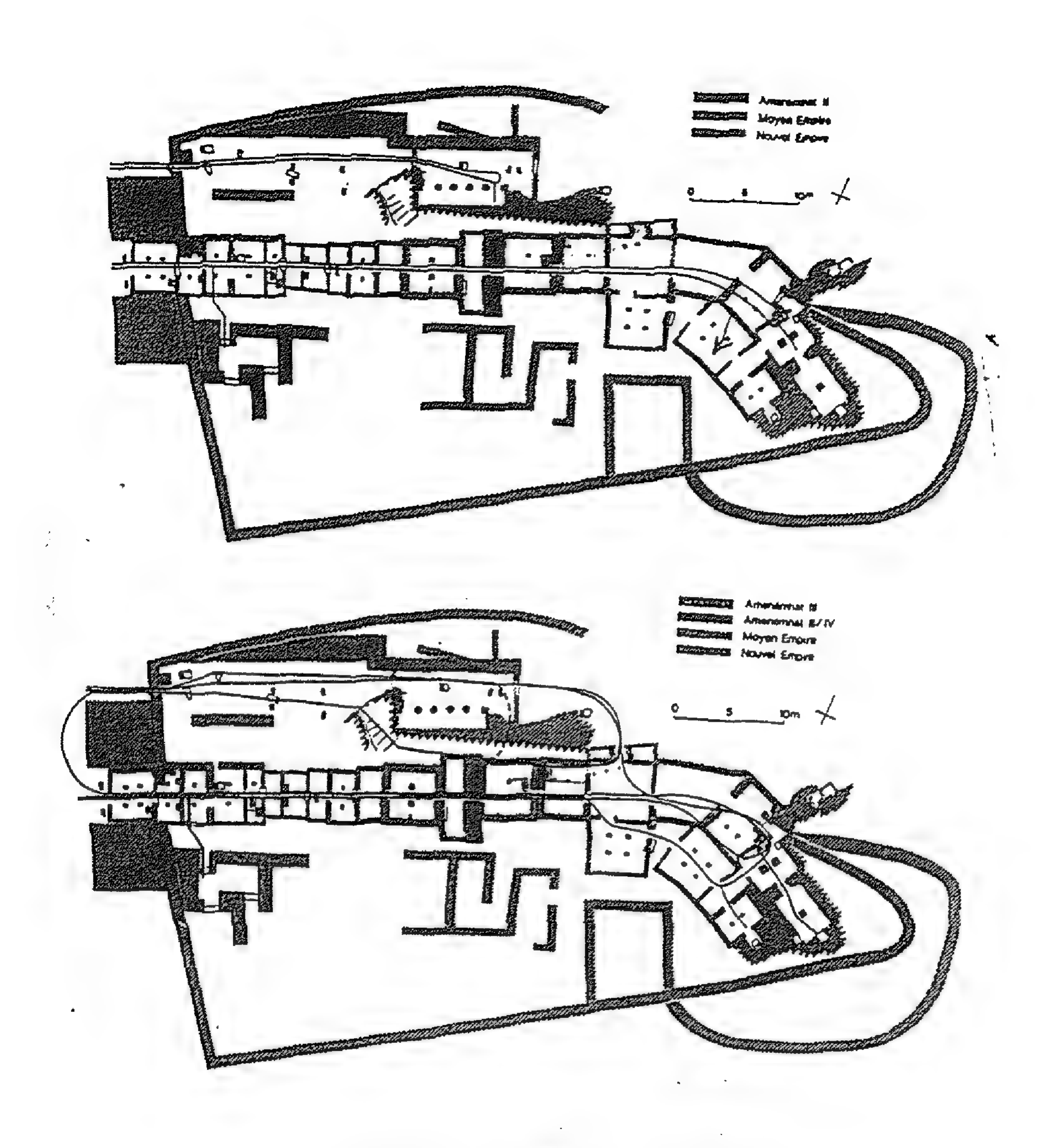
وقد بلغ عدد أفراد أحدى البعثات الحربية ٥٠٠٠ جندى بالإضافة إلى ٢٠٠٠ من خدمة المعبد و ٨٠٠ من المرتزقة الأجانب وهم غالبًا من الآسيويين و ٩٠٠ موظف حكومى ، وضمت البعثة رئيس جماعة الفنانين ورؤساء العمال فى المحاجر و ١٣٠ حجاراً ونحاتاً ورساماً و ٤ حفارين . وللآسف الشديد حدث فى عام ١٩٠١ أن تكونت شركة انجليزية بغرض استغلال مناجم ومحاجر الفيروز القديمة فى وداى المغارة ، ولم يكن لدى الشركة عمالة تكفى للقيام بهذا العمل فلجأ أصحابها إلى استخدام الديناميت فى نسف المناجم وتفتيت الصخور وترتب على هذا الاستخدام تدمير كثير من النقوش واللوحات الأثرية . وقد سجل بترى هذه الواقعة عندما وصل على رأس بعثة أثرية عام ١٩٠٥ لتسجيل نقوش وادى مغارة إذ يذكر بالحرف الواحد «عندما وصلنا إلى الوادى وجدنا أكثر الآثار المعروفة من قبل قد حطمت أو أصابها التلف ... ومنها نقوش خوفو ونقوش الملك جد كارع - اسيسى ، ونقوش الملك ببى الأول ،

ونقوش الملك أمنمحات الثالث ، وأتلفت لوحة الملك سنفرو بعد الدق عليها بمطرقة شوهت صورة الملك وهو يؤدب الأعداء كذلك جزءاً من لوحة ساحورع ولوحة منكاوحور وغيرها ولم ينجو من التلف غير لوحة الملك سخم خت لأنها فى مكان مرتفع جداً » .

ويقول بترى : ولما كانت الأمور بهذا السوء ... استمر أهالى المنطقة بعد ذلك فى استكمال عملية التخريب لاستخرج الفيروزج . وقد رأى بترى أن يقوم بانقاذ ما تبقى من النقوش واللوحات واستطاع تجميع القطع الصغيرة من النقوش المتناثرة من تفجير الديناميت كما قام بقطع بعض النقوش الصخرية وتحميلها على سفينة إلى السويس ثم نقلها إلى المتحف المصرى .


Tell el-Khaleifa
Beni Suef
Nag 'Alalma
W. Sannur
Gulf of Suez
W. Nasb
Serabit el-Khadim
Maghara
SINAI
Gulf of 'Aqaba
River Nile
RED
SEA
Bir Wasif
W. el-Sid
W. Hamama
Safaga
Qena
Qift
Wadi
Hammamat
El-Quseir
El-Laqeita
Luxor

(لوحة رقم ١)



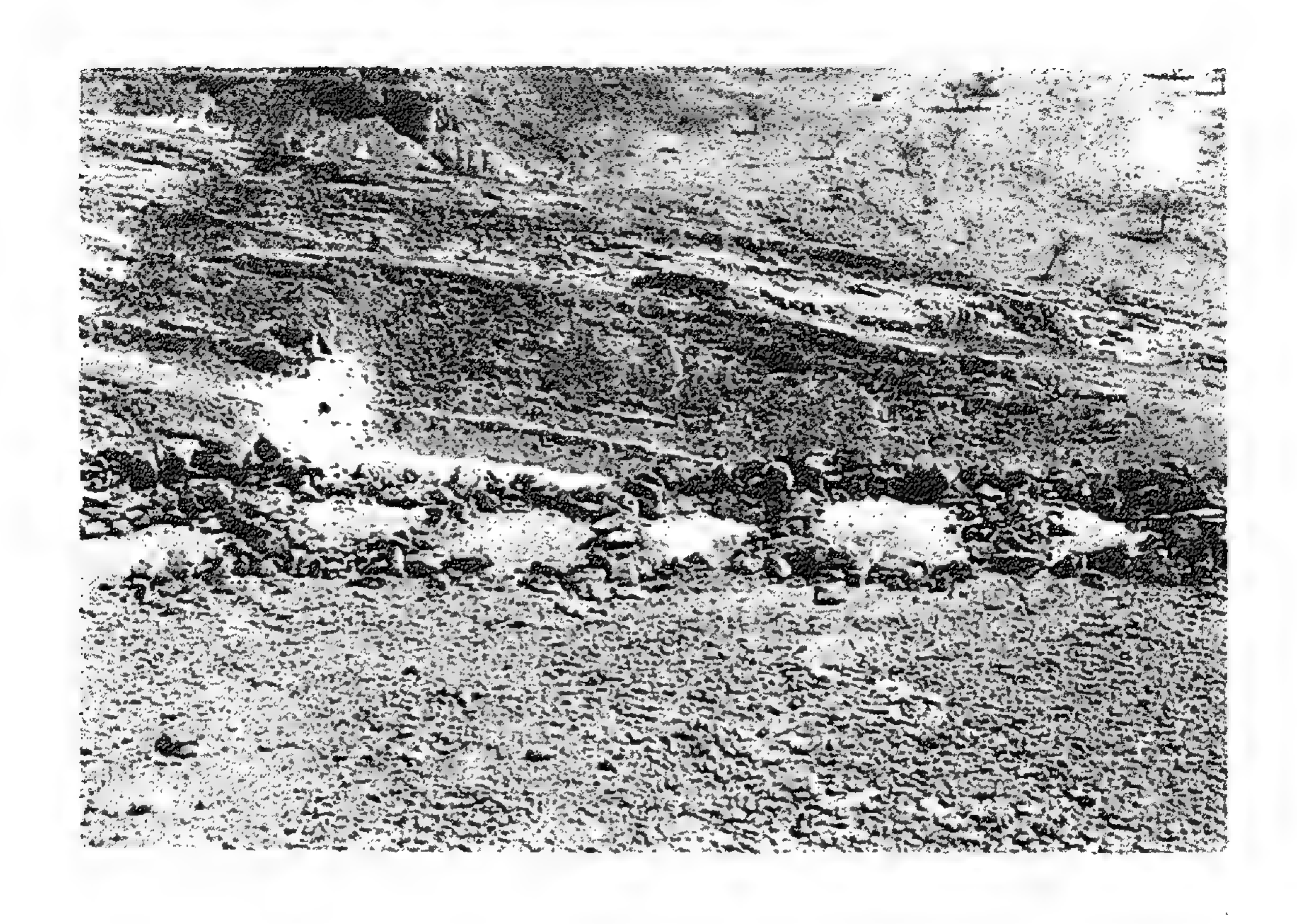
(لوحة رقم ٢) معبد سرابيط الخادم



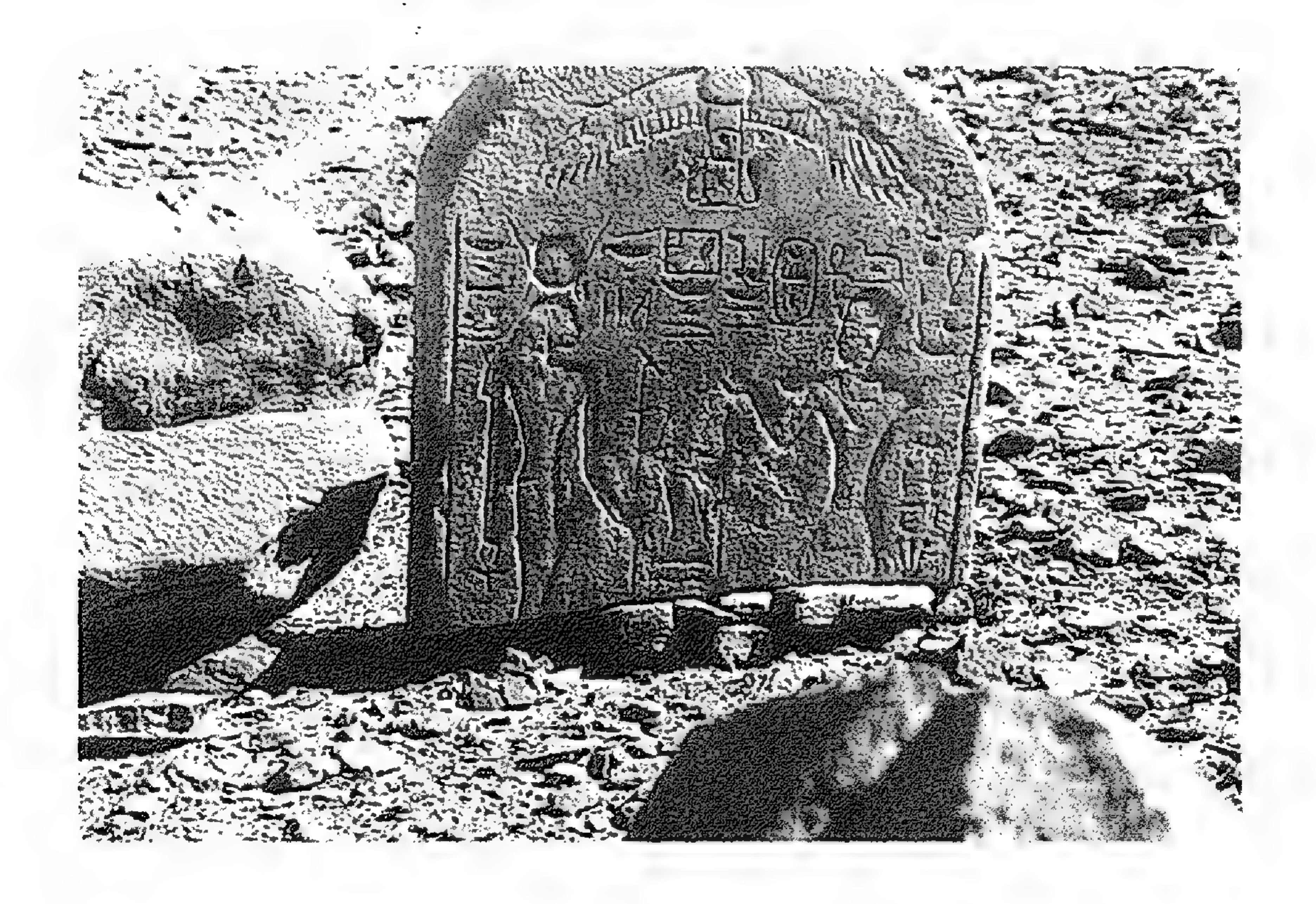
(لوحة رقم ٣) هيكل حتحور



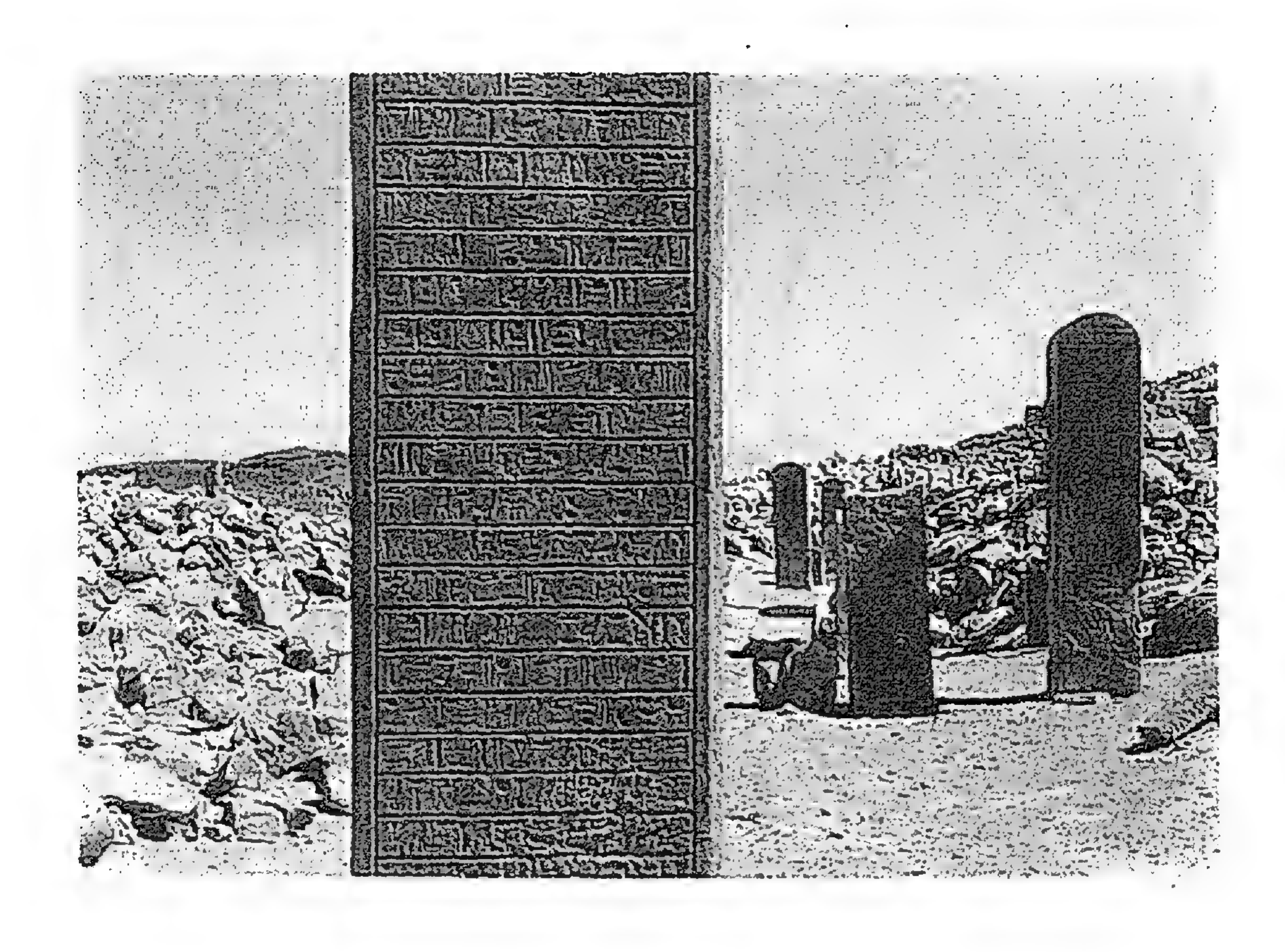
(لوحة رقم ٤) قاعات متعاقبة



(لوحة رقم ٥) بقايا مساكن العمال بسرابيط الخادم



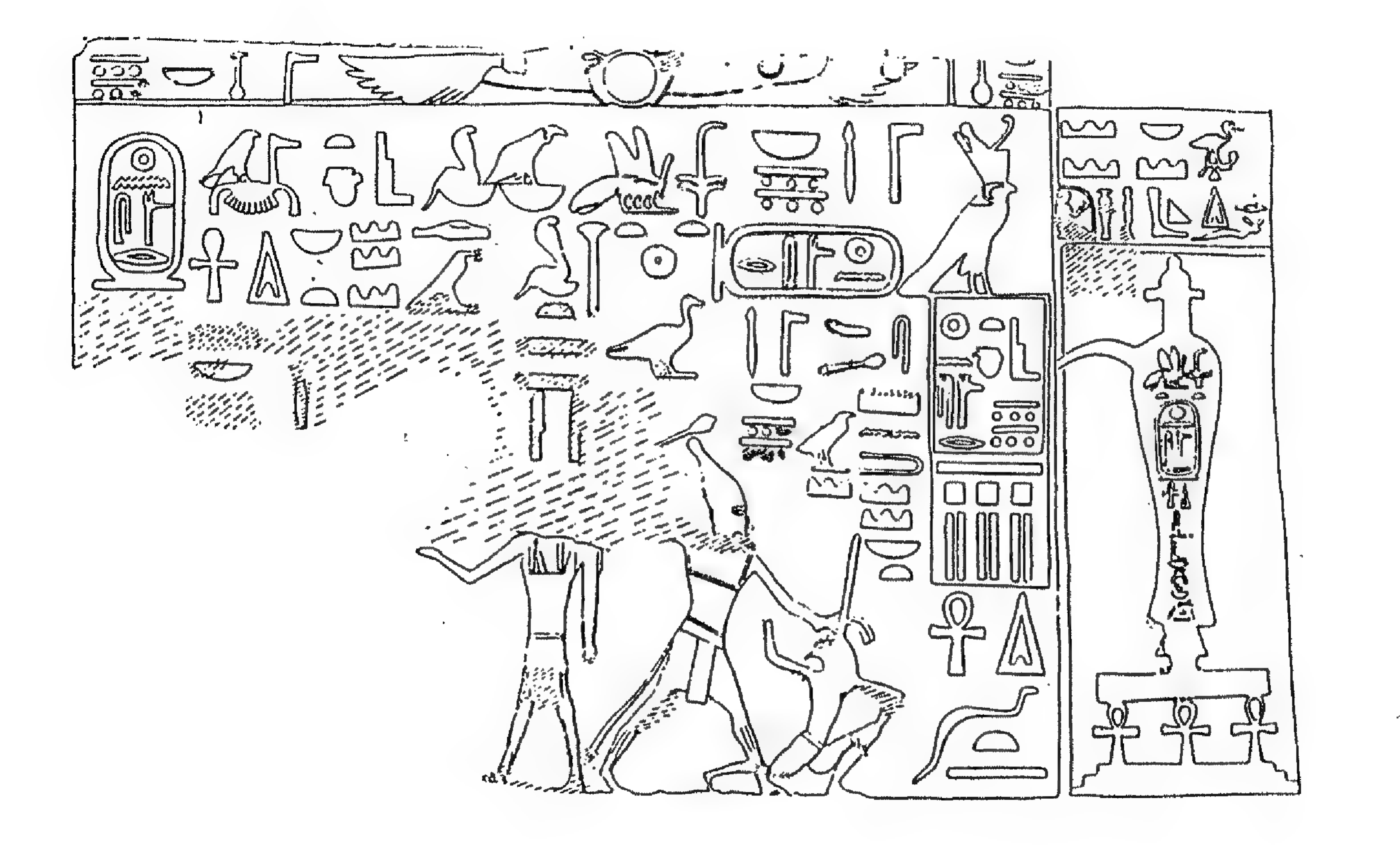
(لوحة رقم ٦) لوحة من عهد الملك تحتمس الثالث
بمعبد سرابيط الخادم



(لوحة رقم ٧) عدد من النصب واللوحات بمعبد سرابيط الخادم



(لوحة رقم ٨٠) الملك سخم خت يؤدب الأعداء



(لوحة رقم ٩) الملك نى وسر رع يؤدب الأعداء
بوادى مغارة

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
آثار سيناء فى العصر العثمانى	٣
المحور الأول : الاهتمام بالمنشآت الدفاعية	٤
المحور الثانى : الاهتمام بالمناطق الدينية فى سيناء	١٦
- ملاحق البحث	٣٢
- مراجع البحث	٤٣
- الأشكال	٤٦
- اللوحات	٥٢
- مشروع توثيق المواقع الأثرية باستخدام التكنولوچيا الحديثة ...	٥٧
- تاريخ وآثار سيناء فى العصر الإسلامى	٦٧
- أعمال أسرة سختكمان المعمارية فى قلعة صدر ، المعروفة بقلعة الجندى بسيناء	٨٩
- الهوامش	١١٨
- اللوحات	١٢٩
- آثار سيناء الإسلامية المستردة	١٣٧

الموضـوع	رقم الصفحة
- ملخص بحث آثار سيناء الإسلامية المستردة	١٤٣
- استرداد آثار سيناء ١٩٩٠ - ١٩٩٤	١٤٥
- الكنائس والأديرة فى سيناء	١٥٣
- سيناء والأسرة الثانية عشرة	١٥٩
- سرابيط الخادم ووادى مغارة	١٦٧
- اللوحـــات	١٨١

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٥٢٢ / ٢٠٠٢

اهتم السلاطين العثمانيون بسيناء اهتمامًا بالغًا نظرًا لإدراكهم أهميتها الاستراتيجية والحربية خاصة وأنهم تمكنوا من دخول مصر عبر أراضيها.

وأدرك العثمانيون أيضًا أهمية سيناء الدينية إذ إن طريق الحج المصرى كان يمر بها، وهو الطريق الذى يربط مصر بمكة المكرمة والمدينة، وعليه كانت تسير قوافل الحجاج المسلمين القادمين من مصر، كما أدركوا أيضًا أهمية سيناء التجارية حيث كانت سيناء تمثل منطقة عبور بين مصر وبلاد الشام.

الغلاف / نسرين حسك